نورمان ميللر

يا لها من فتاةٍ شقراء
تبًّا! إنها مارلين ...

دار الجديد

أذكُرُ، حين حَظِيتُ بالدور في فيلم «الرجال يفضلون الشقراوات»، أن جاين راسل، السمراء، نالت البطولة لقاء ٢٠٠ ألف دولار. أمّا أنا، الشقراء، فلم يُصرف لي سوى خمسمئة دولار لقاء كلّ أسبوع عمل؛ ولكنتُ أجِدُ هذا المبلغ طائلاً.

لقد كانت جاين رائعة في تعاملها معي. الأمر الوحيد الذي أشعرني بالضيق هو عدم تخصيصي بحجرة في موقع التصوير ممّا دفعني آخرَ الأمر - ويحدثُ لي أحياناً أن أسلك مثل هذا السلوك المُسْتَهجَن - دفعني للقول:

- إسمعوا، أنا الفتاة الشقراء، وعنوان الفيلم «الرجال يفضلون الشقراوات».

- فما كان من أحدهم إلّا أن تبرع بتذكيري أنني لستُ نجمة.

عندئذٍ خرجت عن طوري وصرخت:

فليكنْ، لست نجمةً، ولا أدري من أكون، ولكنني الفتاة الشقراء... الشقراء... رغم أنوفكم.

نورمان ميللر

يا لها من فتاة شقراء تبًّا! إنها مارلين ...

ترجمة
بسّام حجّار

دار الجديد

تنفيذ وتوزيع شركة دار الجديد ش. م. م. ◻ صندوق بريد: ١١/٥٢٢٢ بيروت - لبنان ◻
هاتف: ٣٤٣٧٥٢ ◻ نضد النص: سناء سلامي وجميلة هزيمة ◻ انشاه كتاباً: علي حمدان ◻
ضبطه على أصوله: محمود عساف ◻ خط خطوط الغلاف: علي عاصي.

كان صدور هذا الكتاب في طبعته الإنكليزية عام ١٩٨٠ تحت عنوان *Of Women and their Elegance* وفي طبعته الفرنسية عام ١٩٨٢ تحت عنوان *Mémoires imaginaires de Marliyn*.
الصور مستلة من كتاب *Marilyn Monroe and the Camera* إصدار Schimer Art Books.

هذا الكتاب الذي يُحيل إلى محطات في حياة مارلين وإلى ذكريات آمي وميلتون غرين، لا يزعم أنَّه يقدِّم عرضاً تاريخيّاً للوقائع، ولا يرغب، بأية حال، في الإيحاء بأنَّه يعبر حقيقةً عن أفكار مارلين مونرو أو أيٍّ من الشخصيات التي يرد ذكرها.

مقتطف من مقابلة أجريت مع مارلين مونرو ونشرتها مجلة لايف *(Life)*، في عددها الصادر في ٣ آب، (أغسطس)، ١٩٦٢.

«لقد قال غوته، (Goethe): «إنَّ الموهبة تَنْمو صميمية». أوَتَعلَمُ؟ أجدُ أنّ قوله هذا صحيح. إذ ينبغي أن يحفظ المرءُ بعض أسراره لنفسه وألّا يُظهرها للعلن إلّا في لحظات، خلال التمثيل.

... أحياناً، أرتدي معطف شاموا وشالاً، من دون ماكياج، وأذهب بخطىً واثقةٍ لشراءِ بعض الحاجيات، أو أكتفي بأن أرى مِنْ حولي كيف يحيا الناس؛ ولكنْ، كما تعلم، هناك دائماً فتيات في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة مِمَّن لا يُعْوِزهُنّ الدهاء أُصادفهنّ فيقُلْنَ: «ياه! مهلاً.. أتعلمون من أظنّها تكون؟» ويلحقن بي. مثل هذا الأمر لا يزعجني على الإطلاق، ويُسارعن للاتصالِ برفيقاتهن. وهناك أناس مُتَقَدِّمون في السنّ يقتربون منّي ويقولون: «عندما أخبر زوجتي بما جرى...»، فيبدو وكأنَّ نهارهم قد تبدَّل بالكلّيّة.

وفي الصباح، يلتفت عمّال القمامة الذين ينشطون في الشارع ٥٧، حين أغادر البيت، ويقولون: «مرحباً، يا مارلين! كيفَ أصبحتِ؟» فأجدُ في ذلك ما يُشَرِّفني، وأُحبّهم لأنهم يخاطبونني على هذا النحو. والعمّال، حين أمرّ بمحاذاتهم يعلو صفيرهم إعجاباً. في البداية يصفرون لأنهم يقولون في سرِّهم: «آه! يا لها من فتاة شقراء لا بأس باستدارات جسمها»، ثمَّ يقولون: «تبّاً! إنها مارلين مونرو!». لمثل هذه المصادفات حسناتها... وكما تعلم فإنَّ مثل هذه اللحظات رائعة، فالناس يعلمون مَنْ تكون وكلّ شيء، ويتولّد لديك انطباع أنَّك تُمَثِّلُ في أعينهم شيئاً ما.

حين يُصيب المرء حظّاً من الشهرة تُصْبح صلاته بالطبيعة البشرية أقرب إلى القسوة. ذلك أنّ الشُّهرة توقظ الحَسَد، وهذه حقيقة. يعتقد الناس أنّك لمجرَّد أن تكون مشهوراً، يُصبح من حقهم المبرم عليك أن يقتربوا منك وأن يقولوا لكَ أيَّ كلام من دون أن يُسبِّب لك هذا الكلام أيَّ ضيق... ذات يوم كنتُ أريد شراء بيت وتوقفت عند العنوان الذي أشير به عليَّ. فتح لي الباب رجل؛ كان ودوداً جدّاً ومرحاً وقال لي:

ـ آه! انتظري، أودّ أن تراكِ زوجتي.

وفي تلك الأثناء، جاءت زوجته وقالت:

ـ أكون مسرورةً جدّاً لو غادرتِ على الفور!...

أذكُرُ، حين حَظِيْتُ بالدور في فيلم «الرجال يفضلون الشقراوات»، أن جاين راسل، السمراء، نالت البطولة لقاء ٢٠٠ ألف دولار. أمّا أنا، الشقراء، فلم يُصرف لي سوى خمسمئة دولار لقاء كلّ أسبوعٍ عمل؛ وكنتُ أجِدُ هذا المبلغ طائلاً.

لقد كانت جاين رائعة في تعاملها معي. الأمر الوحيد الذي أشعرني بالضيق هو عدم تخصيصي بحجرة في موقع التصوير ممّا دفعني آخرَ الأمر - ويحدثُ لي أحياناً أن أسلك مثل هذا السلوك المُسْتَهْجن - دفعني للقول:

- إسمعوا، أنا الفتاة الشقراء، وعنوان الفيلم «الرجال يفضلون الشقراوات».

- فما كان من أحدهم إلّا أن تبرع بتذكيري أنني لستُ نجمة.

عندئذٍ خرجت عن طوري وصرخت:

فليكنْ، لست نجمةً، ولا أدري من أكون، ولكنني الفتاة الشقراء... الشقراء... رغم أنوفكم.

كانت شقة صغيرة مُؤَلَّفة من غرفة نومٍ وتوابعها، في الطبقة السابعة والثلاثين من عمارة والدورف تاورز، ومنها كنتُ أرى جادَّة لكسنغتون حتّى الإيست ريفر. كان المنظر جميلاً حقّاً، وأمضيت يومين كاملين قبل أن أدرك أنه ليس بالحيّ الملائم، وكان يُفترض أن أطلّ على بارك أڤينيو. يبدو أنني لا أتمتَّع بالكثير من الدراية والدهاء.

مع ذلك، لم أطالب بتبديل مسكني. فما إن أُمضي ليلة واحدة في مكان ما، حتّى أطبعه بطابعي. وهكذا فالانتقال، بالنسبة لي هو اقتلاع. لي طريقة في مدٍّ جذوري في المكان، أشبه بالجنون. وقد أكون عشبة برّية كما قد أكون ما لست أدري من ورودِ الحقل.

غير أنَّ ما كان يُزعجني فعلاً هو إحساسي بأن ميلتون يقتصد في إيجار المسكن. لقد قال لي منذ يومين، وكان الحمّال قد أحضر آخر حقيبة من حقائبي:

ـ يا صغيرتي، ها أنت الآن حيث يجب أن تكوني. في عمارة والدورف، حيث ستتعلمين عدداً لا يُحصى من الأمور.

قبّلني على جبيني فبادلته بقبلة عاجلة على شفتيه. ثمَّ غادرني وبدا لي مُغتمّاً.

إنه لأمر حَسَن أن أذكر تلك العبارة. فبإمكان ميلتون أن يتّخذ هيئة كلاب الرعاة التي تستطيع، تحت مظهر الدمامة، أن تكون جميلة إذ تُحِبُّكَ إلى درجة أنها تموت لأجلك. لم يكن ذلك إذاً ما يُسميه ميلتون حالة غضب حقيقية. وعلى الرغم من كلِّ شيء، كنتُ أقولُ في سرّي إنَّه جمعَ بين أمرين: فمن جهة، كان يقول إنني سأصبح المرأة الأكثر أناقة في نيويورك ـ وهذا، بأية حال، ما يجب أن يحصل إذا كنت أودّ فعلاً أن أُغيِّر الصورة التي يراني فيها الجميع ـ وفي الوقت نفسه، كنت أُدرك، ما إن أرى ما يحاول إخفاءَه من سيماء وجهه، أنه قلق بشأن وضعنا المالي.

بهذا المعنى أقول إنَّه يمتلك وجهين وإنْ كان من الطبيعي جدّاً أن ينشغل المرء بأمرين في وقتٍ معاً. منذ سنوات، كنت أدرس التمثيل في هوليود على يد أستاذ يَعتَبره الجميع مخبولاً. لم أُتابع دروسه إلّا لوقت قصير جداً. كان له شاربان مُصَفَّفان بعناية، ينتهيان بطرفين مروّسين. الأمر الذي يحدُّ، دون شك، من تنوُّع الأدوار التي قد يلعبها! وحَصَلَ ذات يومٍ أن دعاني هذا الرجل لقضاءِ أمسية برفقته. ولم تكن الصلة بيننا لِتَصِل إلى العلاقة الجنسية إطلاقاً. حمداً للّه! فأيُّ ارتياح تبديه حين تكون المسألة مجرَّد صحبة لاحتساء شراب! جلُّ مقصده كان أن يشرح لي فلسفته السريّة: نوع من السيكولوجيا فوق العادة، كما كان يُسمّيها.

ـ أتؤمنين بالروح؟ سألني.

أجبته أن ثمة ما يخالجني أحياناً ويُوَلّد لدي انطباعاً بأنني على

وشك أن أطير. وإذ ذاك، هزَّ برأسه قائلاً:

ـ ليس لدينا روح واحدة، بل اثنتان.

ـ اثنتان؟

ـ شخصيّتان كاملتان في داخلنا. ألم نولد من مخلوقين اثنين؟

أذكر أننا كنا نتناول شراباً في بيتش آ. تيكي، وهو بار في جادّة ملروز جُعِلَ ديكوره أشبه بكوخٍ تاهيتي: أشجار نخيل اصطناعية عتيقة وذابلة، وشراب عصير الرمان الذي يُمزج بكافة أنواع الكحول. والآن، حين تعود بي الذاكرة إلى ذلك اليوم، أحسب أنني كنتُ أبدو كالعاملةِ في سيرك، (وهذا ما يلائم أعماق شخصيتي)، لأنني طلبت شراباً مُقَبِّلاً أحمر اللون يبدو نافراً بإزاء شعري الأشقر اللامع، وهو اللون الذي اخترته لشعري في تلك الفترة؛ وأرتدي بنطالاً أزرق فاتحاً وصدرية خضراء تكسوها البروق الاصطناعية. لستُ فقط عشبة برّية، بل إني، في طبيعتي، قذارة.

ـ مخلوقان! أتقصد أُمَّنا وأبانا؟ سألت.

ـ بالضبط.

كان طرفا شاربيه مُنْسَلَّيْن حتى بدا لي أنَّه يمكن استخدامهما كأسياخ في حفلِ شواء. وهذا، على وجه الدِّقّة، ما كان يُضفي الأرجحيّة على نظريته.

ـ لا أب لي ولا أُمّ، أجبته، إنني يتيمة.

كان من قَبيل الحَمَق أن أُردِّد هذا القول في أحيان كثيرة، غير أنني، لا أدري لماذا، كنتُ في ذلك الوقت لا يمرّ عليّ أسبوع واحد

دون أن أُردِّد هذه العبارة. وكان صوتي يتهدَّج دائماً حين أتلفَّظ بها. غير أن هذه الكلمات الثلاث كانت أشدَّ وقعاً على السامع من عبارة: «إني أحِبُّك». ليس فقط لأنَّها تُبَدِّل من نظرةِ مُحادثك إليك، بل أيضاً لأنَّها تنزع من رأسه أية رغبة في التحرُّش بك.

أستاذ التمثيل هذا، ويُدعى أبراهام روبرت تشارلز، كان بالكاد يُصغي إليّ. لم يكن مثل الآخرين. بل لعلّه أسوأ أستاذ حظيتُ به، لأنَّ التمثيلَ الفكاهي كان موضوعه المُفضّل خلال حصصه الدراسية. أما نحن، التلامذة، فلا يتاح لنا أن نُفَرِّج عن شفاهنا ولو بكلمة. فما إن يقف واحدنا لأداء حوار منفرد، حتّى ينتهز الأستاذ أوّل علامة وقفٍ لكي ينتزع منه حواره ويسترسل به دونما هوادة. وبما أن القاعة التي يجري فيها درسه تقع في مبنى يُطلّ على سوق صغيرة لبيع الملفوف والقُنَّبيط والكرنب والأرضي شوكي، فإنَّ رائحة هذه الخضار النيئة كانت تأتي على كافة الجهود التي نبذلها للإصغاء.

ـ ليس مُهمّاً جداً أن تكوني يتيمة، قال، فقد وُلدتِ من صلبِ شخصين.

وعلى الأثر طلب لي كأساً أخرى. ما يعني أنه ابتداء من هذه اللحظة سوف يتوجب عليَّ أن أُكابد أعباء فلسفته الكاملة. وأطرف ما في الأمر هو أنني لم أنسَ هذه الفلسفة على الإطلاق. كانت كلماته تنسلُّ في أعماقي حتّى أني رحت أُبدي موافقتي هَمْهَمةً شأن من يرى الشيءَ جنوناً محضاً إلّا أنّه عين الصواب. لقد كان ذلك الرجل ساحراً حقاً. وكنتُ أشعر بأنَّه يجذبني إليه كالمغنطيس.

ـ حين يتكوّن جنين، يقول لي، فإنّما ذلك لأنَّ روحين قد اتحدتا.

«وبعد ذلك، ولبقية ما سيحياه هذا الجنين، يقول مُفَسِّراً، ما عليه إلّا أن يتكيَّف مع هاتين الروحين المختلفتين. كلُّ روح منهما تصبح فيك شخصاً على حدة. وكلتاهما تغتذي كلَّ يوم من نفسِ التجارب ولكن على أنحاءٍ مختلفة. إذ يبدو الأمر كَمَثَل ممثلين عاريين في خزانة حائط يتنازعان كلَّ لباس يُعطى لهما لكي يتاح لأحدهما أن يكتسي به لأداءِ دوره.

«يُحكى عن أهل النهار وأهل الليل، أردف قائلاً، غير أنَّ الأمر ليس على هذا النحو. إذا كانت إحدى شخصيتيك أشدّ ميلاً إلى الليل، فإن الأخرى، برأيي، تميلُ إلى النهار».

في ذلك العهد من صباي كنتُ لا أجرؤ على الكلام، (للأسف! لأنني أصاب دائماً بالذهولِ حيال الغرباء). كانت الأفكار تدور وتدور في رأسي، غير أني كنت ألزم الصمت، وأكتفي أحياناً بضحكة استهزاء. ومع ذلك، شعرت في ذلك المساء، بأنه ليس لديّ ما أخسره. فقد هجرتُ الرجل الذي أحبّه منذ وقت غير بعيد.

ـ تقصد أنه الفصام، قلت.

ـ لا! لا! إنَّه خطأ شائع جداً. يكون واحدنا فصامياً في حال انقطاع أي تواصل أو اتصال بين الشخصيتين فيه. إسمعي، أردف قائلاً بشيءٍ من الإشفاق كما لو أنه يمقت اللجوء، في كلِّ مرَّة، إلى مثل هذا التفسير، إفترضي أن الأمر يُشبه الانقسام بين جمهوريين وديموقراطيين. فقد يتولّى أحد الحزبين السلطة، غير أن الحزب الآخر

يُشاركه هذه السلطة على الرغم من كلِّ شيء. وإلّا فلن يطول الأمر حتى يسود عهد الفاشيّة.

ربَّما بدأتُ أدرك المقصد ممّا يقول. فليس الأمر على شاكلة تناوب نور الشمس وروح الليل، الحالكِ مثل دراكولا، بل جُلُّ ما في الأمر أن في داخل كلٍّ منّا شخصيّتين تتكاملان باستمرار. وكان أستاذي يُسَمّي الشخصيتين آيب وبوب، (اختصاراً لأبراهام و روبرت). وصادف أنهما يعيشان سوياً في شخص السيد تشارلز. أو في الأقلّ هذا ما كان يرويه. كائنان متمايزان داخل كلٍّ واحدٍ منا، كان يقول: ولا يني كلُّ كائن منهما يكتسبُ العلم والدراية ويضفي على الكلِّ صفات تمايز. ومعاً يشكلان الكائن الفريد الذي يراه الآخرون.

ـ خُذي مثلاً مظهر الذكورة ومظهر الأنوثة، أردف السيّد تشارلز قائلاً، فإذا كان المعنيُّ رجلاً، ربَّما كان من الأسهل على إحدى روحيه أن تدرك التجربة الذّكورية، فيما تعثر الأخرى على عددٍ أكبر من العناصر في التجربة التي نرى إليها من زاوية نظر أنثوية. لنقل، على سبيل المثال، إنني، أنا تشارلي، حين أرى امرأةً تضع أحمر الشفاه، ربما كان آيب فيَّ هو الذي يُفكّر بأنه يَوَدّ أن يقبلها، في حين أن بوب ربما يشعر بأحمر الشفاه اللزج يوضع على الشفتين. وربَّما كان بوب شاذاً بعض الشيء، وإن كان آيب شخصاً سويّاً.

كُنْتُ أُطلق قهقهةً لا أتمالكها؛ فقد أدركتُ لعبته أخيراً. إنَّه بوب ولا شيء آخر. ولم يكن يُضيرني شيءٌ ممّا يقوله، سوى أنَّ كلَّ ذلك بدا لي مَحْضَ جنون. كان جالساً قبالتي، أشبه بقاتل مجري مهجوس: حليق الرأس، أحمر الوجه، مُشَعَّث الشاربين؛ غير أنه، من وراء هذا

المظهر، أفلح في أن يجعل منطقه متماسكاً إلى النهاية.

وسألته ضاحكة:

ـ ولكن، كيف يستطيع السيد تشارلز أن يدرك متى يصبح مجنوناً؟

ـ إذا رفض آيب أن يخاطب بوب، عندئذ لا يلبث السيد تشارلز أن ينهار.

ـ أحسب أنه انهيار مُحَقّق.

ـ ولكنْ ما إنْ يتاح لهما أن يُحادث أحدهما الآخر، قال، يحصل التواصل الداخلي. وهذا ما يعادل الصحّة النفسية.

اليوم، إذ أقف وحيدةً وسط شقتي في والدورف تاور، وبعد انقضاء أعوام طويلة أُحصيها فيتضح أنها ستة أعوام، تُراودني عبارات ميلتون والقلق الذي يساوره بشأن المال، وأقول في سرّي: هناك داخل شخصية صديقي ميلتون غرين، رجل ثري ورجل فقير، ويذكرني هذا القول بنظرية أبراهام روبرت تشارلز.

كان أثاث ردهة الاستقبال مصنوعاً من نجود يغلب عليها الزهري الفاتح ممزوجاً ببعض الأخضر الباهت. أما الجدران فقد طليت باللونين السّكّري والرمادي؛ في اختصار كان كل شيء من حولي بشعاً يثير الغثيان، والأمر الوحيد الذي يُشعرني ببعض الراحة هو أن ميلتون، سواء كان أكثر الرجال سخاءً أو أبخلهم على الإطلاق، قد ابتاع لي أربعة فساتين من متجر نورمان نوريل للألبسة، بلغت تكلفتها الإجمالية نحو ثلاثة آلاف دولار. ومن بينها ذلك الفستان المصنوع من الموسلين الأسود الشفّاف الذي يَلتصق بجسمي، والذي سيُكتبُ لي

أن أُذيع شهرته، إذ، كما يقول ميلتون، لا مجال للسهو والخطأ مع ثوب من صنع نوريل.

لذا أسأل نفسي لِمَ أجدني دائماً أتَّهم ميلتون بالبخل. في كونيكتيكوت، اشترى لي معطفاً من فرو القاقم الأبيض. وما إن زال عني انفعال الفرحة الأولى، حتى بكيت لمدة ساعة كاملة. فقد كانت تلك الهديَّة أجمل ما بُذلَ من أجلي ما حييتُ، لا سيّما وأنّها وصلتني بُعيدَ تصريحي بأنني أحلم أن ألعب دور جان هارلو إذا عُرِض عليَّ ذات يوم السيناريو المناسب. وعلى الفور صرخ ميلتون بصوته الذي أفسدته الكحول والذي أعشقه إلّا في الأوقات التي لا أقدر فيها على احتماله: «فرو القاقم يا مارلين، هذا ما كانت ترتديه هارلو على الدوام». وفي اليوم التالي، وصلني المعطف، وإذ ذاك شعرت بأنني أمتطي نجمة. حتى أني أغفر له حقيقة أنَّه اشتراه بسعر الجملة. باختصار، شربت الفودكا، وحاولت ألّا أنظر إلى لكسنغتون أڤينيو، إذ كان ينبغي عليّ دائماً أن أفكر بأنني امرأة فاضلة، هذا ولكنني لا أذكر أنني عشتُ يوماً واحداً دون أن يراودني السؤال عمّا إذا كنتُ إنساناً خيِّراً أم لا.

◆

حين التقيته بدا لي ميلتون رجلاً لطيفاً وساحراً. وهذا أمر طبيعي. فبعد أن أمضيت شهرين في كندا برفقة أوتو بريمنغر لتصوير مشاهد فيلم «نهر اللاعودة»، بِتُّ لا أجد صعوبة في أن أرى الناس مُحَبَّبين. وما زاد الطين بلّة إصابتي بتمزق في عضلة الساق أثناء العمل، ووصول

جو ديماجيو على متن طائرة، خصيصاً، لإنقاذي مؤقتاً من السيّد بريمنغر. أحسب أنها لم تكن أسعد حقبة في حياتي. فقد كان جو د. يودّ الزواج مني، وزاده إلحاحاً على ذلك مجيئه الطارىء إلى كندا لنجدتي. ومع ذلك لم أكن واثقةً من أنني أرغب فعلاً في الزواج منه.

عدت إذاً إلى هوليود لمتابعة تصوير مشاهد «نهر اللاعودة»، ولكن هذه المرة داخل الأستديو بدل اللقطات الخارجية فوق مياه النهر الباردة. وذات صباح، جاءني روبرت آلن من مجلة *Look*، وقال لي إن المُصَوّر ميلتون غرين المقيم في نيويورك سيحضر خصيصاً لكي يرانا. وقد أنبأني شيءٌ ما في نبرة روبرت ألن أنه ينبغي الحذر من ميلتون غرين. في تلك الحقبة من حياتي، لم أكن أمتلك الثقافة التي كنت أودّ أن أمتلكها؛ كان ذهني مُشتتاً ولم أكن أقرأ كلّ الكتب التي ينبغي أن أقرأها. ومع ذلك، كنتُ أفطن إلى الحقيقة لمجرَّد التنبُّه إلى نبرة الناس. فما إن يُذكر اسمٌ أمامي، كالسير لورنس أوليڤييه، على سبيل المثال، وعلى الرغم من جهلي المطبق بأفلامه وعمله، كنت أُسارع إلى القول: «آه! بلى، إني أعشق لورنس أوليڤييه. إنه أعظم الممثلين الأحياء». كنتُ أدرك من نبرة الصوت أنَّ المعنيّ بالكلام هو نجم حقيقي. لذا، ما كان على روبرت آلن إلّا أن يقول «ميلتون غرين»، حتّى تحضر في ذهني أسماء المجلاّت الكبرى: *Vogue, Town and Country; Harper's Bazzar, Mecall's*، وصور الغلاف لأحد أكبر مصوري الموضة في نيويورك، لحساب مجلة *Look* و *Life*. وهذا يعني: «إذا استطعت أن تجعل ميلتون غرين يُصَوِّرك، تُعَدُّ في المشاهير. وتصبح أسطورة» ومن

شأن من هو مثله ألّا يحبّ إلّا غاربو وديترﭬيتش.

توقف قلبي عن الخفقان حين أخبرني روبرت أن زيارة ميلتون تعنيني أنا شخصياً. فقد كانت عضلة ساقي المُمَزَّقة تسبب لي آلاماً مبرحة، ورحتُ أتوقَّع الأسوأ. سيأتي ميلتون غرين إلى الأستديو وسوف يُنظر إليَّ كما لو أنني فتاة ترتدي ثوباً ريفياً وتُوَزِّع أكواب الجعة وهي تمسح العرق المُتَصَبِّب من وجهها. كم أمقت إحساسي العميق بأنني خرقاء. ويشلّني تماماً مجرّد الإحساس بأنني مرغمة على أن يكون لي أسلوبي الخاص. لقد صادفت أناساً لا يخوضون شِجاراً في حياتهم ويقرأون أعداداً هائلة من الكتب، ومع ذلك يعشقون من يقول لهم: «آه! أوَتَدري، أحسب أنك عتعيتٌ في أي عراك تخوضه». مثل هذه العبارة تجعلهم كالخاتم في إصبعي. وهكذا استطاع رجلان أو ثلاثة أن يُشيعوا الدفء في قلبي لأنهم بادروني، بشيءٍ من الذكاءِ، بالقول: «مارلين، أنتِ الأناقة صُوِّرَت امرأةً». في الحقيقة، أقول صدقاً إنَّ رجلاً واحداً لم يقل لي شيئاً من هذا القبيل أُغرمت به طيلة شهر، على الرغم من أنه لا يملك شيئاً آخر ليعطيه.

غير أن ميلتون لم يكن على صورة الشخص الذي توقَّعت أن يكونه. فأوّل ما لمحته فيه هي تلك الابتسامة العريضة وخلفها يقف مصوِّر شابّ. لم يكن أطول قامة مني بكثير. له عينان عسليتان هما أرقّ ما رأيت، ولأَشْبَهَ جون غرفيلد في شبابه، لو أن هذا الأخير علكه أسَدٌ فَقَد بعضَ أسنانه. كان ميلتون ذا طلعةٍ لا بأس بها دون أن يكون وسيماً. إنه يُشبه ذلك الإيرلندي الرَّبْعة ذا الشعر الأسود الذي يقطن في حَيِّكم ويملأ لكم خزّان البنزين، وله

في طلعته تلك السمة الغريبة، الغامضة والجذابة.

ـ لكنَّك فتيٌّ جداً، قلت له.

ـ وأنتِ لستِ بعجوز أيضاً، أجابني قائلاً؛ ثمَّ راحت آلتا التصوير تتكّان على صدره كصنّاجاتِ راقصة محترفة.

في اليوم التالي التقط لي صوراً. كان قد أحضر معه صدرية من صوف أسود؛ وأراد أن يلتقط لي صورة وأنا أرتديها، فشرعتُ بخلع ثيابي أمامه.

ـ تمهّلي قليلاً، وأشاح بوجهه عني.

ـ هذا لا يُحرجني على الإطلاق؟

ـ أما أنا فالأمر يُحرجني، أجاب ميلتون.

كان طيلة فترة التصوير يُجبرني على سَتْرِ ما يرى أنَّه عُرْيٌ مُفْرِط. كما أجبرني على إزالة كمٍّ لا بأس به من الماكياج الذي كنتُ أضعه بحجة أنه يُشبه الوسخ. بعد ذلك قصدنا مطعماً صغيراً لتناول طعام العشاء. كنتُ أُثابر على دفعه إلى الكلام. أردت أن أعرف كلَّ ما يُمكن أن يروى عن طفولته. لقد أحببت نبرة صوته كثيراً. كان صوتاً رقيقاً يُهدهدُ سامعه. كما أنَّ أحداً من قبل لم يستطع إضحاكي مثله. وعندما أخبرته بأنني ترعرعتُ في ميتم، قال:

ـ دَعْكِ من هذا، أما أنا فقد عُثِرَ عليَّ في برميل قمامة.

غير أنه لم يتمكن من المثابرة على مزاعمه هذه لوقتٍ طويل لأنه، في الحقيقة، كان الإبن المدلّل لأسرته التي وفّرت له كلَّ شيء.

ـ كيف كان والدك؟ أسرتك؟

كان ينبغي أن أعرف، فأنا أعشق أن يسرد الناس على مسامعي حكاية طفولتهم.

ـ لقد كان أبي من أصل روسي، ويجيد صنعة الملابس. كان يرسم المعاطف والتايورات النسائية. أما أنا فكُنْتُ أبيع الصحف أو أمسح الأحذية أو أتسكّع في صالات البليار سعياً وراء الدفء. وفي عطلة الأسبوع كان أبي يُصِرُّ على أن يكون مظهرنا لا غبار عليه لكي نقوم بالزيارات العائلية. وحين تجري أعماله على خير ما يرام كان يشتري ألماسة مصوغة في خاتم ويأتي بها إلى البيت.

بدت لي صورة والده جليةً في عينيّ: شاربان كثيفان أسودان، وبريقٌ غويٌ يُغلّفُ نظراته.

ـ حين تسوء أحوالنا المالية، يردف ميلتون قائلاً، كان والدي يرهن الخاتم وكنتُ في الثامنة حين شهدت انتقالنا التاسع إلى دارةٍ جديدة. حتى أنّني شاركتُ في تلك الحقبة في حروب العصابات المذهلة.

ـ كنت تخوض العراك؟

ـ لا! قال ميلتون، لم أكن قوي البنية؛ غير أني كنتُ أتدبّر دائماً أمر تواجدي في الجوار. كنت لا أشعر بالخوف وأجيد المناورة. في انتقالنا التاسع، غادرنا تيفاني ستريت في البرونكس وأقمنا ناحية برايتون بيتش في بروكلين. وهناك اكتشفت شغفي بالفن. ثمة أناس يولدون بإحساسٍ أرهف من إحساس الآخرين، وهذا أمر لا مَرَدَّ له. أما أنا فكنتُ تأتاءً. وفيما بعد لم أصلح للخدمة العسكرية وتمّ تسريحي لعدم الأهلية. كنتُ عاجزاً عن النطق. يطرح علي الطبيب سؤالاً فأعجز حتى

عن التلفظ باسمي. «دعوه، قالوا، إنه عصبيّ المزاج، ولا حاجة لنا به».

إغرورقت عيناي بالدموع.

ـ أترين، أنت مرهفة الإحساس أيضاً.

وعندئذ اقترحت عليه أن اصطحبه في سيّارتي إلى المطار. ولمّا حان وقت الوداع قبّلته؛ وكنت أهم بجذبه نحوي مرة أخرى لكي أُقبِّله من جديد، حين قال لي:

- رويدك، لقد حان دوري أنا، وقبّلني.

ـ لا أدري إنْ كنتُ أودّ الرحيل فعلاً، قال.

ـ أما أنا فأودّ لو أنك لا ترحل.

ـ سأعود، قال ميلتون همساً.

فيما بعد حين شاهدت الصور التي التقطها، اتصلت به هاتفياً في نيويورك. لقد كان بالفعل مصوراً عظيماً، وارتأت مجلّة ***Look*** أن تنشر صورتي على الغلاف.

◆

ربَّما كان آيب ينظر إلى الفتاة التي تضع أحمر شفاه، وربما كان بوب يتحسَّسُ أحمر الشفاه لزجاً على شفتيه، غير أن هذا كلّه لا يُقارَنُ بما كنتُ أصنعه بشَخْصِيَّتَيَّ التوأم حين يكون عليَّ أن أواجه عدسة المصوّر. فإذا كانت إحدى «ذاتيَّ» جالسة هنا، تُحَدِّق إلى عدسة المصوّر، فإن ذاتي الأخرى تَتَسَلَّلُ بالفعل إلى رأسِ المصوّر. لذا

كنت أشعر دائماً أنَّ عيني هي التي تشيرُ على إصبعه بأن تضغط زرّ التصوير. وأدرك أفضل مما يدرك هو نفسه ما الذي يُصَوِّره. حتّى حين كانت شركة فوكس لا تؤمن كثيراً بمواهبي كممثلة، (مُطْلِقَةً عليَّ الألقاب الحمقاء على غرار «متخلِّعة الوركين»)، ولا تمنحني الأدوار التي أحبّ أن ألعبها، حتّى في ذلك الوقت كنتُ فاتنة الأستديو الأولى من حيث طلبات الصور الموقّعة من قبل نوادي المعجبين.

غير أن الفاتنات لا يكتفين بفتنتهنَّ. فقد تكون المرأة جميلة، لكنّ جمالها لا يجديها نفعاً إذا كانت لا تحسّ به. وإذا أحسَّت به، تعلم أن الناس يتحببون إليها لأنها ترتدي قناعاً جميلاً. وعندئذٍ يصبح السؤال الذي تطرحه على نفسها: «متى سيسقط القناع؟»، فأنا أعتقد أن المرء حين يبذل جهداً لكي يبدو جميلاً ينتابه الإحساس بالشيخوخة التي تحتّ جسده. وفي المقابل، إذا كان المرء يتمتع، كما يُروى عنّي، بما يُسمّى الجاذب الجنسي، فلا يسعه أن يبدو جميلاً إلّا إذا بدا مثيراً. وهنا يكمن أمرٌ المُرَّيْن. إذ من غير المريح على الإطلاق أن يرغم المرء نفسه على الإحساس بأنه مثير حين يكون انطباعه عن نفسه مغايراً. والحقيقة أنّ مثل هذا الجهد أورثني التشنجات العضلية المفاجئة. أجلس هناك، وأحاول أن أتنفس أمام عدسة المصوّر، كأنني عملياً أقول للناس: «قبّلوني، أنا جنّة ملذاتكم». ولكنْ في قرارة نفسي لدي انطباع أكيد بأنني مجرّد بالون على وشك الانفجار.

كان اتهامي بأني «مُتَخَلِّعة الوركين» يثير حفيظتي إلى أقصى الحدود. كيف لا، وهُمْ يسخرون من مؤخّرتي. طبعاً باستطاعتي أن أسخر، أنا نفسي، من هذه المؤخرة، لكنَّ الحقيقة أنَّني أُحِبُّ أن

أتخلَّع في مشيتي. فهناك عدد لا يُحصى من الناس المُحافظين الذين تُفقدهم هذه المشية صوابهم. لو كنتُ إيرلندية، لقلت: «تباً للإيرلنديين!» فلطالما كان عليَّ أن أدفع الثمن. لا أقول هنا إنني سهلة المنال حقاً. ما زلتُ أبدو في سنّ البراءة، وهذا أقلّ ما ينبغي أن يُقال فيّ، ذلك لأني يجب أن أعترف . أبدو على شيءٍ من السّوقيّة، والله وحده يعلم كم أتقزّز من سماع هذه الكلمة!

لذا، حين شاهدت الصور التي التقطها لي ميلتون مرتدية الصدرية الصوف السوداء، شعرت بسعادة لا توصف. والسعادة هي الكلمة المعبّرة هنا. إذ لم أجد أني مثيرة جنسياً فقط، بل كنت أيضاً مثيرة للاهتمام. ومن يرى صورتي لا تراوده الرغبة في أن يلمسني، أن يتحسَّس كلَّ موضع من مواضع جسدي وحسب، بل تراوده الرغبة أيضاً في أن يُصغي لما أريد قوله. لقد جعلني ميلتون أبدو وكأنني أهبط سلَّم يخت بدل أن أظهر فجأة من وراء كنبة.

والحقيقة أنني أدركت عندها أنني لم أُفكِّر ولو مرَّة واحدة خلال فترة التصوير في عدسة المصوّر، على الرغم من أنني كنت أحسب دائماً أنني أعرف باطن آلة التصوير وما تحتويه كما يعرف الآخرون ما يجري في معدتهم؛ لقد كنتُ، ببساطة، أنظر طوال الوقت إلى ابتسامة ميلتون.

◆

لَمْ يَمْضِ شهر واحد حتّى عاد ميلتون غرين إلى لوس أنجلس، فقد

كُلِّف بتصوير موضوع غلاف آخر لمجلة *Look* حول روّاد هوليود: بيل هولدن وأسرته، بوب هوب وجين كيلي وأسرتاهما. وبما أنني كنت مُنهمكة بتمارين الرقص لفيلم «الاستعراض المَرِح»، لم نلتقِ إلّا يوم الأحد في أحد استديوهات شركة فوكس.

هذه المرّة التقط لي صوراً في زيّ غجرية، ثم في زي برناديت كما في «نشيد برناديت». ما من لقطة عُري واحدة. الأمر الذي أربكني. وكأنَّ الثياب التي أرتديها تشعرني بعريي أكثر فأكثر. وأن أُعامل كممثلة ذات مستوى أمر بالنسبة لي يُشبه نظام قيادة المركبات إلى اليسار.

ثمّ كان عليّ أن أنصرف إلى تمارين الغناء يوم الإثنين، فذهب ميلتون بدوره لتصوير ممثلين آخرين. وكان علينا أن ننتظر نهاية الأسبوع لكي نستأنف جولة تصوير أخرى.

ـ لو نذهب سوياً إلى بالم سبرنغ! اقترح ميلتون. بإمكاننا أن نصوِّر في الصحراء هناك.

وينبغي القول هنا إنني حين كنتُ لا أزال في التاسعة عشرة أمضيتُ أسبوعين في الصحراء بصحبة مصوِّر لم يَكُفَّ لحظة واحدة عن مطالبتي بخلع ثيابي ليُصَوِّرني عارية. وكان مثل هذا الأمر مبكراً بعض الشيء بالنسبة لي. أما هذه المرّة، فكنت لأوافق غير أن ميلتون لم يطلب مني أبداً أن أخلع ثيابي. وكان باستطاعته أن يفعل. كنتُ أرى أن نظرته للتصوير الفوتوغرافي أشبه بنظرةِ المُمَثّلين الكبار لفن التمثيل.

تحادثنا كثيراً خلال تلك العطلة في بالم سبرنغ. كنتُ أودّ أن أعرف أكثر حول بدايات ميلتون في هذا المجال. ما يعني أنني كنتُ أُحِبُّه حقاً

وأنني أردته صديقاً مُقَرَّباً. فبإمكاني أن أحكم على صدق مشاعر الصداقة لديّ حيال شخص ما من الاهتمام الذي أوليه لمعرفة تفاصيل عمله.

الحقيقة أنني أشعر أحياناً بأنني أحبّ جو ديماجيو ـ وهناك كلام على احتمال زواجي منه ـ وإن كنتُ أحسب أن زواجي منه أشبه بزيارة طبيب الأسنان، (ذلك أن جو د. يمتلك أسناناً رائعة!)، ومع ذلك لا أحيا معه كما يحيا المرء مع صديق. إذ ينبغي أن أتقاضى أجراً لقاء الكلام على رياضة البيسبول! باستثناء ميلتون، لا أدري كم عدد الأصدقاء الذين حظيت بصداقتهم في حياتي إلى اليوم. كان لي أصدقاء، وكان لي من يعملون على حمايتي. جو ديماجيو، كان أحد الحماة الرائعين. فبإمكاني أن أُصافح نمراً محصوراً، براحة بال، حين أرى أن جو بجانبي. ولكن بالطبع، ما إن يغادر النمر المشهد، لا تعود قصتنا، جو وأنا، ذات قيمة. ليس لأنه لا يمتلك حسّ الفكاهة، فهو إيطالي الأصل. غير أن الضحك لديه لا يكون ضحكاً إلّا بإشارة منه. أمّا أنا فأرى أن الضحك مثل الأرضية الزَّلِقَة. والضاحك ينزلق فوقها، حتّى إنَّه قد يتعرّض للأذية. ولكنّ جو يرى أن الأمر لا يكون مثيراً للضحك إلا إذا صدر عنه.

لكن لنستأنف كلامنا على ميلتون. كنت أعلم أنه حين كان لا يزال طالباً في المدرسة الثانوية، كان يستقل المترو ذات يوم من برايتون بيتش في بروكلين للقاءِ المصوّرين الذين كان يعمل لحسابهم في الشارع ٤٧، بالقرب من الجادة السادسة في منهاتن، وأنه لم يعد إلى المنزل قبل الحادية عشرة أو منتصف الليل.

ـ وكيف تنجز واجباتك المدرسية؟ سألتُ.

ـ الحقيقة، قال ميلتون، كنتُ أعمد خلال الوقت الذي أقضيه في المترو إلى قراءة دروسي ثلاث مرّات، ثمَّ كتابتها ثلاث مرّات، ومن بعدها ينتابني القلق ثلاث مرّات. لم يكن في رأسي هاجسٌ إلّا هاجس التصوير الفوتوغرافي. وكان لي ربّ عمل يُدعى مارتي بومان، أحد عباقرة هذا الفن من الناحية التقنية. وإذا رغب واحدنا حقاً أن يتعلّم فلا بدَّ أن يتعلَّم على يديه. كان مارتي يقول لي دائماً أن أذهب في اتجاه هيوه وكان ينبغي أن أحزر إذا كانت هيوه هذه تعني يمنةً أو يسرةً.

كنتُ أُصغي إليه وأهزُّ برأسي. كانت لديه أشياء كثيرة يسردها. واصلنا محادثتنا خلال نزهتنا المُطَوّلة في السيارة في أنحاء بالم سبرنغ بحثاً عن الصخور في الصحراء حيث بإمكانه أن يلتقط لي صورة بجانب شجرة صبّار. وكنتُ قد شرعتُ بدوري بالكلام، وكان يصغي إليّ مُنصتاً، ما يعني أنه كان مسروراً جداً لسماعي، لسماع ما أقول، ولاسترسالي في الكلام. إذ لم تكن تلك المحادثات المُطَوَّلة مما اعتدته من قبل. فأنا خجولة الطباع مثل ميلتون. كان ميلتون يتولّى قيادة السّيارة، لذا كان أسهل عليه أن يسترسل في الكلام على نفسه دون أن يكون مُجْبراً على النظر إليّ طوال الوقت. وعندئذ خطر ببالي أن التحادث في السيّارة ربّما كان الحلّ الأمثل لتأتأته في أعوام صباه: فبإمكانه دائماً أن يسكت إذا لم يستطع استكمال جملته، إذ يُستعاض عنها بهدير محرّك السيّارة!

«ذات يوم، بعد انصرافي من العمل، أردف ميلتون قائلاً، قُمْتُ بِطَلْي أرضية استديو بقياس ١٥ متراً بثلاثين، خلال الليل، لكي يكون العمل منجزاً في صباح اليوم التالي. كنتُ مُرهقاً حتى أني لم أدرك

تماماً كيف استطعت أن أنجز مثل هذا العمل دون مساعدة أحد. وفي اليوم التالي، حين وَصَلْتُ إلى الأستديو وجدت فتاة في مغطسٍ مليءٍ برغوة الصابون، ورأيت الزبون والمصوّر وآلة التصوير الضخمة قياس ٢٠/٢٥ وأجهزة الإضاءة، وكانت الفتاة عارية تماماً!».

راح ميلتون يهزّ رأسه كرجل عجوز تستثيره صورة فتاة جميلة عارية.

قيل لي: حسناً يا ميلتون! إصنع بعض الرغوة. وضع قليلاً منها على صدر الفتاة وعلى الكتفين، وعلى حلمة أحد الثديين.

حلمة الثدي! كادت تصيبني الرعدة. واشتدّت عليّ اللعثمة حتّى الاختناق.

وجلّ ما أفلحتُ في التلفظ به هو: «مـ ..مـ ..ما.. ذا؟»؛ فأجابني ربّ العمل بإصرار:

- ضَعْ رغوةً على حلمةِ ثديها، على بُلْبُلَةِ الثدي.

كان الأمر مريعاً يا مارلين. أخذتُ بعض الرغوة وقلت لها! «اعذريني»، ووضعتُ قليلاً منها على الثدي. وحين لامست يدي بشرتها انتابني إحساس رائع ولكن، كما تعلمين، كنت لا أزال مُجَرَّد مساعد مصوِّر. تَلَذَّذ بوضع الرغوة، قلتُ في سرّي، وحاول أن تجيد ما تفعله: القليل منها ههنا، والقليل هناك. وإذا بالفتاة قد أنِسَت لما أفعله. حين أنجز العمل وانصرفنا لتناول طعام الغداء، قالت لي الفتاة: «شكراً لك. أرى أنك قمت بعمل ممتاز». وفي ذلك اليوم ربَّما أكون قد أدركت فعلاً أنَّ الصمت أحياناً قد يكون من أصوب الأمور في الحياة. إذ لم أكن أريد أن أسترسل في تأتأتي!

ـ أحسب أنك علّمت نفسك بنفسك كلَّ شيء؟

ـ أجل، لقد تدرَّبت في البداية على الآلة ذات الإجاصة الكهربائية. درجة دقَّتها خُمْسُ الثانية. نضع اللوحة الحسّاسة، ونُجهّز العدسة، وتِكْ، نضغط الإجاصة البلاستيكية. خمس الثانية. إن لم تضغط بالضبط لخمس الثانية، أفسدتَ الصورة. وبإمكان المصور أن يقف بجانب الآلة ليُعاين كيف تتشكَّل اللقطة، على الشفتين، في العينين، وتِكْ، قضيَ الأمر. لم يكن عملاً فاتراً كما هو اليوم، حيث العين لا تغادر المُصَوِّب. ما الذي يحتويه المُصَوِّب؟ المؤكّدّ أنه لا يُضاهي الرؤية بالعين.

تنحنح قليلاً كأنه لا يُصدِّقُ حقيقة أن الفرصة قد أتيحت له للكلامِ طيلة هذا الوقت.

كنتُ أشعر أنني لا أفهمه حقاً. الناس جميعهم يعرفونه. لقد أصبح من مشاهير هوليود؛ واسمه يتردَّد هنا وهناك. ويُقال عنه إنَّه الرجل الذي تغرم به النساء وتتردَّد في هذا السياق بعض الأسماء: سوزي باركر، أودري هيبرن. سألته إذا كان يعرف هذه السيدة.

ـ إنها صديقة، قال بتحفظ.

أحسستُ بالحَنَق. أودري هيبرن هي طراز الفتيات اللواتي يُشغف بهنَّ، لا بدَّ. فتاة تحول رهافتها دون أن تعرض نفسها لعدسات المصوّرين. بينما أنا، يكاد أنفي يَحْمَرُّ لفرط ما أدسّه بين العدسات.

ـ بالنسبة لتأتاءٍ مثلك، لا بدَّ أن أقول إنَّك تتدبر أمورك على أحسن ما يرام.

ـ ماذا لو ترافقنا إلى احتفال هذا المساء؟ إقترح ميلتون. لقد دُعيتُ إلى حفلةٍ لا بأس بها.

◆

كانت الحفلة ستقام تلك الليلة في دارة كليفتون ويب، الذي لم أزره من قبل، غير أني سمعت الكثير عن السهرات التي يُقيمها السيّد ويب. في تلك الأمسية كان الحضور مميّزاً: ڤان جونسون، جون هيوستن، بربارة ستانويك، جين كيلي، نيك كونت، إيڤلين كييس، لانا ترنر، جوان كراوفورد، جودي غارلاند، همفري بوغارت، لورين باكال، روبرت ميتشوم، آڤا غاردنر والسيّد فرانك سيناترا. وكنتُ، لارتباكي وسط هؤلاء، لا أجرؤ على الكلام. كان الناس يُحادثونني فلا يصدر عني إلّا صوت غريب خافت بمثابة جواب. وكان بإمكاني أيضاً أن أُخاطبهم قائلة: «مرحى، أنا مارلين الفأرة». وكم كنتُ أشعر بالضيق خصوصاً أنهم جميعاً كانوا يعاملوننا، ميلتون وأنا، بمودة كبيرة. «آه! هذه أنتِ، مارلين»، كانوا يُرَدِّدون كلّما التقيت أحدهم، ويعبّرون عن إعجابهم بـ«غابة الأسفلت» و «حوّاء» و «الرجال يفضّلون الشقراوات» و«كيف السبيل إلى الزواج من مليارديرِ». حتى أنهم أحبّوا «نياغرا». كانوا جميعاً يُبدون غبطتهم للتعرّف بي. «مارلين مونرو الغامضة، قال لي أحد مؤلفي كلمات الأغاني، (وهو رجل قصير القامة، لا يتوانى عن التخلّع بردفيه هو أيضاً)، أنت تماماً مثل غاربو، (غريتا)، تفضلين الاختباء». وما إن أنهى عبارته، حتى ابتعد متخلفاً.

كانت أعصابي مشدودة جداً، فقد كانت جوان كراوفورد حاضرة هي أيضاً. وكم وددتُ أن أرمي بها إلى الخارج، لو استطعت إلى ذلك سبيلاً. وينبغي أن أقول هنا لمَ راودتني هذه الرغبة: حين مُنِحْتُ جائزة مجلة فوتوبلاي، في العام المنصرم، كنت أرتدي فستاناً ضيّقاً مذهّباً كان الاستديو قام بخياطته قطعة قطعةً أنا أرتديه. وكانت الطريقة الوحيدة لخلع هذا الفستان أن أفعل كما فعلت حين ارتديته: أي قطعة قطعة. وكنت أعلم جيّداً أن جو د. لن يصطحبني إلى حفلِ استقبال وأنا أرتدي مثل هذا الفستان ولو على حسابِ حياته. لذا ذهبتُ إلى الحفل بصحبة سيدني سكولسكي، المخبر الصحافي. وحين وَصَلْتُ، كان الوقت متأخراً بعض الشيء، وكان جيري لويس الذي يتولّى تقديم الحفل يدبُّ على أربعٍ ويقفز فوق الطاولات مُقلِّداً أصوات الشامبانزي. تناهت إلى سمعي عبارة واضحة من شأن قاطن سنغافورة أن يسمعها كما هي: «يا للوقاحة!»، وحسبتُ أن جيري لويس هو المقصود بهذا القول. وفي هذه الأثناء تَمَزَّقت إحدى الحمالتين وأحسست بأنَّ أحد نَهْدَيَّ قد أصبح عارياً تماماً... ولم يمرّ يومان على الحادثة، حتّى صرَّحت جوان كراوفورد للصحف بأن ما جرى هو «وصلة تَعَرٍّ فاضح»؛ ما أثار حفيظة أهل الوسط الفني. «لقد ارتكبت الآنسة مونرو هفوة تصديق دعايتها. وعلى أحدهم أن يُصلح من تَشَوُّش أفكارها وسلوكها. فالممثلات هم أيضاً سيّدات مجتمع».

وعلى الأثر، لزمتُ شقتي لمدة أسبوعين واتصلت هاتفياً بلويلّا بارسون وقلت لها: «لطالما كنت من المعجبات بالسيّدة كراوفورد لكونها أمّاً رائعة، ولأنها تبنَّت أربعة أطفال لتضمن لهم حياة عائلية.





فمن يستطيع أن يتفهم مغزى ما فعلته كما أستطيع أنا؟» وكنتُ أعلم بالطبع، من طريق أحد العاملين غير المتكتمين في الأستديو أن جوان كراوفورد تضرب أبناءها بالتبني وتُسيء معاملتهم. وصدَّقت قوله هذا. فقد قال لي أحد عشّاقي السابقين ذات يوم، وهو يعمل شرطيّاً: «إن القاضي لن يغفر لك جرماً يكون قادراً، هو نفسه، على ارتكابه».

وهبَّ العاملون في الاستديو لنصرتي، وصرَّحوا للصحافة بأن «الآنسة مونرو ليست في حاجة للفساتين الضيقة لكي تبدو مثيرة. فهي تبدو مثيرة حتى لو ارتدت شوال بطاطا». وعمد المصورون الصحافيون إلى فتح ثَقْبين لذراعي وثَقْبٍ لرأسي في شوال بطاطا وألبسوني إيّاه والتقطوا لي صوراً وأنا أرتديه. وعلى الرغم من ذلك فإنَّ مجرّد رؤية جوان كراوفورد ما زالت تشعرني بالغثيان. لذا كان ميلتون لا يدع كأسي فارغةً، فيسكب لي الشمبانيا ببذخ لكي يُبدِّد شيئاً من حال التوتّر التي انتابتني. في وقت لاحق من هذه السهرة، طلب مني السيّد ويب أن أُغنّي؛ وكنتُ لا أدري حينها إذا كنت قادرة على إنشاد نوطة واحدة؛ هذا بالإضافة إلى وجود أمثال فرانك سيناترا وجودي غرلاند وداريل زانيك. ولكن السيّدة كراوفورد كانت حاضرة أيضاً. فغنيّتُ وشعرتُ بأنَّ أدائي لم يكن رديئاً على الإطلاق. وفي ختام السهرة قال لي ميلتون بأنني كنتُ رائعة، ومثيرة جداً. فقد كانت نبرة صوتي تعلو ثمَّ تُصبح خفيضة جداً دون أن تفقد طابعها المثير. ربَّما لم يكن اللفظ رائعاً، «ولكن لا شيء يدعوك إلى الخجل؛ فقد كان أداؤك مذهلاً». وأدركت عندها أنَّ الفضل في ذلك يعود إلى شخصيتين أسهمتا في

إنجاح غنائي. الأولى هي ميلتون غرين، والثانية هي الشمبانيا. ولا يظنَّن أحد أن الشمبانيا ليس لها شخصية!

◆

في الحقيقة أنني كنتُ أوحي ببعض الغموض في ذلك الوسط الفني. إذ لا يُشاهدني أحد بصحبة مشاهير هوليود. وفي عالم السينما كان عدد كبير من الناس يعتبر أنني طائر غريب. فلا بدَّ أنهم كانوا يحسبون أنني أقف أمام مرآتي وأنعقُ منفردةً. وباستثناء جو د.، وفي أوقات قليلة السيّد فرانك سيناترا الذي كان صديقاً لجو د. ، لم يكن يراني أحد لا في السهرات ولا في زيارات لأهل الوسط. عند الصباح أذهب إلى عملي وأعودُ إلى بيتي عند المساء. وكان أوّل من عرفني جيداً كما أنا، هو ميلتون. وحاول أن يبدِّل شيئاً من طباعي هذه، ليس فقط لأسباب دعائية، بل أيضاً لألتقي رفاق المهنة.

حادثته عن حبّي لأبراهام لنكولن، وهو أمر لم أُسِرَّ به لأحد من قبل، (ما عدا أرثر ميلر الذي أمضى ذات مساء، ساعات طويلة وهو يُداعب إبهام قدمي فيما كنا نتبادل أطراف الحديث). والحقيقة أنني كنتُ أصاب بالهلع حين أتخيَّل الناس وقد أُغمي عليهم من الضحك حين يعلمون أنني معجبة برئيس ذائع الصيت مثل أبراهام لنكولن. ومع ذلك كنتُ من مُعجبيه الخُلَّص. وأحلم أحياناً أنني من أحفاده المكتومين.

- ولمَ لا تكونين أحد أحفاده الشرعيين؟ سألني ميلتون.

ولم ينتظر جوابي، بل سرعان ما أقنعني بأن يلتقط صورة لي وأنا

في سيارتي الكاديلاك وأحمل صورةً لجدّي العتيد. ولا بدَّ أنني أغرمت بميلتون في تلك اللحظة بالذات، لأنني قبلتُ أن أجاريه في مثل هذا العمل الذي من شأنه أن يُفشي بعض ما أحتفظ به لنفسي.

إنهم أشخاص من هذا النمط، أذكياء ومحبّبون، ويفلحون في التسلُّل إلى قلبك. بعد أيام قليلة على عودته إلى نيويورك، اتصل بي ميلتون هاتفياً:

- سأتزوَّج، قال لي، فباركي لي.

- أعلم. إنه أمر رائع، (ولم أكن أعلم شيئاً).

- سنبقى أصدقاء إلى الأبد، قال ميلتون.

- أرجو ذلك. فالمصورون المبدعون قلّة في هذه الأيام. ثمَّ لم أتمالك نفسي من القول: إنهم كالقرود يحبيون على الأشجار.

- سوف نتحابّ إلى الأبد، قال لي بكلّ ثقة.

حين عاد إلى لوس أنجلس تعرَّفتُ بزوجته الشابة. كنتُ أُفكّر دائماً بما قاله لي في اتصاله الهاتفي: «سأذهب لأُكَوِّن أُسرة»، ما يعني بالطبع، أنه لم يرد أن يكوِّن أسرة معي. لقد كانت صدمة لي. أمّا الصّدمة الأشدّ قسوة فقد جاءتني من إدوارد الذي أحببته فيما مضى. كانت أُمّه تحبني كثيراً، وكنتُ أُحبّ إدوارد كثيراً. أما هو فكان لا يُحبّ إلّا نفسه. وذات يوم تطرّق الحديث بطريقة ما إلى موضوع الزواج، فرمقني إدوارد بنظرات من يرى وحشاً سينمائياً يقتلع الأشجار ويدوسها، وقال لي: «يا إلهي، لو حَصَل أن توفيت، فلا بدَّ أن تعتني بابنتي الصغيرة»... (فقد كان لإدوارد تجربة زواج كئيبة لم تدم

طويلاً). لقد مسَّني كلامه هذا في أعماقي. ومازلتُ إلى اليوم، حين أذكر كلامه تعتملُ المشاعر في داخلي كأنها موج عارم في صدري، وتتدفق الدموع من عينّي من تلقائها.

كنتُ إذاً على أتمّ الاستعداد لأجد أن آمي، زوجة ميلتون غرين، امرأة غير محبّبة ولا تطاق، وما زاد في الطين بلّة أننا لم نكد نتعارف حتى أصرَّ ميلتون أن نذهب يوم السبت، نحن الثلاثة، إلى منزل جين كيلي لنلعبَ لعبة الألغاز. وكان مجرَّد النظر إلى آمي ينبىء بأنها خُلِقَت لإتقان هذه اللعبة. لقد كانت رقيقة الجسد، فهي أصغر عارضات نيويورك سنّاً، وجميلة كأنها خرجت للتوّ من صفحات المجتمع في المجلّات. إلا أن ذراعيها هزيلتان، وكنتُ أعجب كيف بإمكانها أن تُضاجع ميلتون دون أن يطقطق عظامها بثقله. ومع ذلك ينبغي أن أعترف أنها أكثر امتلاءً بكثير مما قد تحلم أودري هيبورن. حين شرعنا في اللعب، أظهرت جين كيلي مهارة لا تُضاهى في لعبة الألغاز، تليها، من حيث البراعة، آمي. وكانوا جميعاً يتصايحون ويتضاحكون. كانوا سعداء. أما أنا فلم ألعب حتّى. لقد بدت لي اللعبة من دون فائدة. وحين يعمدون إلى اختيار معسكراتهم، كنتُ آخر من يُسأل، ولم أُحبَّ هذا الأمر. مكثتُ إذاً جالسةً هناك، أُحاول الظهور بمظهر المبتهجة، غير أنَّ من يلزم الصمت في منزل جين كيلي يبدو في مظهر النجمة الثانوية، أعلى كعباً واحدة من حاضنة الأطفال. آه! كم كانت آمي غرين تلك ذات مظهر مميّز. شعرها المزيّن كأنه مرسوم لا تحيد شعرة واحدة منه عن الخطّ المرسوم، على الرغم ممّا تبديه من حماسة وابتهاج كمن فقد عقله. كنتُ لا أصدِّق ما أرى. فلطالما ظننت أنَّ

ميزة المزاج المشوَّش تكمن في القدرة على الاستمتاع، ولكنَّ هذا الأمر لا ينطبق على السهراتْ في منزل جين كيلي. وعاودتني ذكرى حادثة الفوتوبلاي، وثوبي الموشّى بالذهب وتلك النساء اللواتي صرخنَ استهجاناً: «أنظروا إلى هذه العاهرة التي تستعرض ثدييها»، ما جعلني أشعر بتعاسة لا توصف حتّى أني فضَّلت أن أفكر بكلٍّ ما أوتيت من القوّة بجو ديماجيو. فهو، على الأقل، كان يُحبّني بالفعل. ولم تمضِ إلّا أيام قليلة حتّى اتصلت هاتفياً بميلتون وآمي لأعلن لهما أنَّ الأجراس هذه المرّة سوف تُقْرَع لمناسبة زواجي.

ـ السيّد ديماجيو ليس فقط الرجل الأكثر فتنة في العالم، قالت آمي، بل هو أيضاً بطلي منذ أن كنت طفلة صغيرة يا عزيزتي.

وهذا صحيح. فما إن انتهت رحلة شهر العسل، ولا شكَّ في أن هناك شهور عسل أسوأ بكثير مما شهدنا، لأن السيد د. ما إن يسمع عبارة «شهر عسل» حتّى يجاهد في سبيل الحفاظ على سمعته كإيطالي في هذا المجال. ما انتهى شهر العسل إذاً حتى التقينا مُجَدَّداً في نيويورك. وكان الحبور يبدو جلياً على قسمات آمي. وأسرَّت إليَّ بأنها تعشق السينما، وأنها وجدتني رائعة في فيلم «غابة الأسفلت» وأنني كممثلة، قياساً لجسمي الغريب العجيب بعض الشيء، يبدو أنني أتدبّر أموري على خير ما يرام. كانت آمي تبرع في خلط تعابير المسرح التي اعتادتها بعباراتٍ من نوع «غريب عجيب» والتي ما كنتُ أدرك إلّا نصف معناها، ومع ذلك كانت تثير إعجابي. ولم تخف عني أنها مولعة تماماً بزوجي. وأنَّ والديها قد انفصلا حين كانت لا تزال في السادسة من عمرها، وأن والدها وضعها في الدير. مثلي تماماً، يتيمة،

ولكنّها تنتمي إلى علية القوم. وكان والدها يصطحبها كلَّ يوم أحد إلى يانكي ستاديوم. وراحت هي و جو د. يستذكران طيلة وقت العشاء في السانت ريجيس، الأهداف الرائعة التي حققها في لعبة البيسبول. لا أستطيع القول إنَّ جو كان يُبدي كثيراً من النشوة خلال حديثه مع آمي، لأن مثل هذه المعالم لم ترتسم أبداً على وجهه بوضوح. غير أنَّه وآمي كانا يشيعان انطباعاً بأنهما متفقان على أكمل وجه. ولم أكن أعلم أن باستطاعة جو د. أن يُبدي ذكاءً لا بأس به حين يخاطب امرأة. فقد اعتدت أن أرى في وجهه مثل هذه السمات ولكن فقط حين كان يُناقشُ رفاقه في أمرٍ ما.

وبما أننا استبعدنا من أحاديثهما واستغراقهما بها، رحنا، أنا وميلتون، نناقش الدور الذي سألعبه في فيلم «سبعة أعوام من التفكير»، والمشكلات العديدة التي تعترض تعاملي مع بيلي وايلدر، المخرج. وكان مُجَرَّد ذكر هذا الموضوع يملأ عينيَّ بالدموع. لم يُصارحني بيلي وايلدر بالأمر، غير أني كنتُ أعلم أنه يرى أنني «جامدة» بعض الشيء أمام الكاميرا. ومردُّ ذلك إلى رغبتي في أن أباشر دوري بأناةٍ وتمهُّل. ثم سمعتُ رأي ميلتون حول الأدوار التي لعبتها في أفلامي المتنوِّعة، وفيما بعد حادثني مُطَوَّلاً عن طريقتي في أداء الأدوار. وسألته كيف يرى إلى ملابسي وماكياجي، وكيف يجد أسلوبي في انتقاء ملابسي. وأجابني برقّة غامرة:

ـ أوه! أوتدرين، أنتِ لم تحظي يوماً بِمَن يقول لك: «ليس بإمكانك أن ترتدي هذا الفستان، فلونه لا يُطاق».

ـ إني أحتاج مثل هذا الشخص. قلتُ.

- ما عليك إلّا أن تذهبي بصحبة آمي حين تقومين بمشترياتك، قال لي بنبرةِ النُّصح؛ إنها تتقن ذلك.

وخلال الأحاديث الكثيرة التي تبادلناها أسْرَرْتُ إليه بمشاكلي مع شركة فوكس. فخلال الأعوام المنصرمة تبيّن لي أن أفلامي قد دَرَّت على هذه الشركة أموالاً تفوق كافة ما دَرَّته عليها الممثلات الأُخريات اللواتي تتعاقد معهنَّ بموجب عقود مستقلّة، أما أنا فما زلت أتقاضى أجراً مقطوعاً كلّ شهر. ألعبُ أدواراً في الأفلام دون أن يكون لي حقّ إبداء الرأي لا بشأن اختيار المخرج ولا السيناريو ولا الأدوار الأخرى واختيار الممثلين. لقد اعترفت مجلة ***Time*** أنني أنتمي إلى نجوم الصفّ الأول في الوسط السينمائي، وعائدات أفلامي تؤكّد هذا الأمر، ومع ذلك ما زلت أخضع لمثلِ هذه الشروط الصارمة المقيّدة. وتابعت كلامي بهذا الشأن فقال لي:

- لِمَ لا تذهبين لصنع أفلامك الخاصة؟

- ولِمَ لا تنتجها أنت؟ أجبتُ قائلة.

فبدت معالم رعبٍ على وجهه، ثم قطّبَ واجماً. لقد استعادَ في عينيَّ صورة الصبيّ الإيرلندي الصغير ذي الشعر الأسود الذي يتعارك مع أترابه قرب السّكة الحديد. ولوهلة شعرتُ برعب حقيقي حيال فكرة راودتني بأنه سيعود إلى تأتأته القديمة. غير أنه قال:

- هلّا أطْلَعْتني على عقدك مع شركة فوكس لأرى إذا كان هناك من وسيلة لفسخه.

وقبل أن نفترق ذلك المساء طلبتُ من آمي أن تصحبني يوماً لشراءِ

ما أحتاجه من ملابس. واستخدمت واحدةً من تلك العبارات الشائعة في مثل هذه الأحوال: «ليس لديّ أي فكرة عمّا ينبغي أن أرتدي من ثياب». كانت مُجَرَّد فكرة راودتني فجأة. فقد كنت لا أرتدي سوى البناطيل والصدريات الصوف، إلّا حين يُطلبُ مني أن أظهر في مكان ما لأغراض دعائية. وعندئذٍ فقط كنت أُهرَع إلى مخازن الملابس في الأستديو. وكنتُ أحياناً أستخدم بعض الحلي والأكسسوارات التي ارتدتها كلارا براون.

◆

ذهبتُ بصحبة آمي في جولة على محالّ الملابس، وكنتُ أرتدي صدرية صوف ضيقة جدّاً ما جعلها تشعر ببعض الضيق ـ إنه جانب «ابنة الدير» فيها، كما كنتُ أقول ـ وأضع نظارات شمس كبيرة. اصطحبتني إلى مخازن ساكس وبونويت تلّورز، وما إن تعرَّف الناسُ عليّ حتى راحوا يحتشدون في صفوف طويلة يتفرّجون. وكانت النساء يرفعن ستار حجرة قياس الملابس وأنا في داخلها، وهذا أمر كفيل بإثارة حفيظة آمي لولا أنها من طينة الناس القادرين على احتمال كافة التجارب. اكْتَشَفَت أولاً أنني لا أرتدي سروالاً تحتانياً، وما زاد في الطين بلّة تلك الرائحة الطبيعية التي انبعثت من جسمي حين خلعت تنورتي. فلا شيء قد يثير انزعاج الناس أكثر من امرأة ليست لها رائحة قوارير العطر. ربَّما كان ينبغي أن أستعمل مزيلاً للرائحة، غير أني في الحقيقة لا أكره أن تكون لجسمي رائحة خفيفة. إنها طريقة لكي أبقى على صلة بجسمي. «آه! يا إلهي، قد يقول آيب الكامن فيَّ لبوب، أنت تتجمّل اليوم فعلاً».

في اختصار، أشاحت آمي بوجهها حين لمحت شِعْرَتي، وللأسف أن شَعْر عانتي أسود فاحم؛ فتحت الستائر على وسعها، وبدا الذهولُ واضحاً على ملامح ثلاث زبونات وقفن مشدوهاتٍ جاحظات. ثمَّ هُرِعَ بائع طويل القامة نحيلها لسَدْل الستائر من جديد صارخاً بصوتٍ متعلثم «ولكن يا آنسة مونرو!...» قبل أن يُغادر مسرعاً. لم أتمالك نفسي من الضحك. فقد كنت أعلم أن حياتي قد تبدَّلت. وأحياناً أحْسَبُ أنني أقوم بفعلةٍ مثل هذه لكي تتبدّل حياتي.

بعد يومين من التسوّق على هذا المنوال قالت لي آمي:

ـ كَفَى، يا صغيرتي. من الآن فصاعداً لن نغادر الفندق وسنطلب أن يحضروا لنا كلّ ما نريده.

وكنتُ بدأت أدرك كيف تجري الأمور لو فعلنا. إذ تعمد آني إلى استدعاء الخيّاطين وهم من الوسط الذي تعرفه جيداً. وما إنْ تتلفظ باسم أحدهم حتى أدرك أنَّ الخياط المذكور، على غرار لورنس أوليڤييه وميلتون غرين وجو ديماجيو وأرثر ميلر أو إيليا كازان، هو الأبرز في مجال مهنته.

ـ أوه! بلى، نورمان نوريل، أعظم خيّاط في العالم، كنتُ أصرخ للفور...

هذا علماً بأنه كان مصحوباً بخيّاطين آخرين لامعين وإن صُنِّفا درجةً ثانية هما جورج ناردييللو وجون مور. إنهم رجال فاتنون. ليس فقط لمظهرهم اللائق ورشاقة أجسامهم وما يُبدونه من يُسْرٍ بالغ في ارتداء ملابسهم كما تكون اليَدُ في القفّاز الملائم، بل أيضاً تلك السعادة الغامرة التي تبدو عليهم في ارتدائهم ملابسهم. فالناظر إليهم

يحسب أن أناهم الداخلية لها أيضاً رداؤها الجميل: البَشَرة التي تكسو أجسامهم. وعلاوة على ذلك، كانوا يُحبّونني كثيراً. كنتُ أشعر بذلك. وكنتُ أودُّ أن أستلقي في مغطس لأُبرهن لهم أن ميلتون ليس الوحيد الذي يُجيد استخدام الرغوة. وكنتُ أشعر بالعجز التام، غير أني كنت واثقة من أنهم سيمدون لي يد العون. قال لي نوريل:

ـ يا مارلين، لكلٍّ منا مشكلته الخاصة. فأنا مثلاً لديّ صديقة بالغة الدمامة، غير أنها ملكة الموضة في نيويورك. وهي تستخدم دمامتها وتجعلها عُنْصرَ استعراض لصالحها.

وقال لي مُفسِّراً إنها تبدو كالساموراي حين ترتدي ثيابها وتُصفف شعرها. فلا يعود الناظر إليها قادراً على الالتفات إلى سواها. وإلى ذلك، فهي تستخدم ذكاءها الخارق في اختيار الحلي التي ترتديها فتتأرجح وتطقطق عند كلِّ حركة من حركاتها، حتى يخال واحدنا أنه داخل معبد صيني.

فإذا حاولنا أن نختبر أسرار الجمال الصغيرة هذه على شخص آخر، ثقي عندها أن المُستحسن فيها يستحيل كارثة، أردف نورمان نوريل قائلاً وهو يلقي عليّ درسه الأوَّل في العناية بالمظهر. إذ لا يكفي اكتشاف المشكلة وتجنبها، قال أيضاً، فالأناقة هي ضربٌ من السحر. إذ يجب أن تستحيل المشكلة التي نكتشفها هي نفسها الحلّ. ومثل آخر على ذلك هو مَثَل الكونتيسة دو كاستيليوني: كانت لا تستطيع أن ترتدي ثياباً مُلوَّنة، لذا فقد كانت دائماً ترتدي الأسود. وأصبحت على قدر كبير من الأناقة بحيث إنها كَسَتْ كافة جدران صالونها بالحرير الأسود وغطَّت سريرها وأثاثها بقماش التفتة. ثمَّ استقبلت في

منزلها بعض أصدقائها من الرجال وكانت ترتدي للمناسبة ثوباً شفافاً أسود ولا شيء آخر. فلا عَجَبَ بعد ذلك أن نوريل لم يجد أية مشقّة في تصميم ثوبي الموسلين الشفاف: لقد كان يعرف القصّة التي تلائمه. ورجوته أن يروي لي المزيد حول حياة الكونتيسة دو كاستيليوني. فكم وددتُ التعرُّف بها. بدت معالم الارتباك على وجه نورمان نوريل، وشرح لي بلياقة ما بعدها لياقة، أن الكونتسة دو كاستيليوني كانت عشيقة نابوليون الثالث... فأدركت في سرّي كم كنتُ حمقاء. وأردف نوريل قائلاً، إن الكونتيسة قد أخبرت أصدقاءها أنها أوصت في حال وفاتها بأن يتم دفنها وهي ترتدي قميص النوم الموشّى بالدانتيلّا الذي كانت ترتديه ذلك المساء من عام ١٨٥٧ عندما قال لها نابوليون الثالث لأوَّل مرَّة: «لمَ لا تأتين إلى القصر، هذا المساء؟». ولو كنتُ أتقن سرد القصص لكنتُ رويت لنورمان نوريل كيف تعرَّف جون باريمور بوالدة كريغ ريغال البالغ طولها متراً ونصف المتر في حين أن ابنها، كريغ ريغال، الذي كان حاضراً في الحجرة نفسها، يجاوز طوله المترين ويزن مئة وأربعين كيلو غراماً. فقال السيد باريمور للسيدة ريغال وقد أذهله ما رآه: «يا لَمَشَقَّةِ ما فَعَلْتِ لحظة الإنجاب، يا سيّدتي!». وودتُ أن أقول شيئاً مماثلاً عن نابوليون الثالث والكونتيسة دو كاستيليوني وليلتهما الأولى سوياً ولكنني أحجمتُ. فليس من شأن أحد أن يعلم كم أن عقلي لا يُحسن تأويل الأشياء.

ولكي أعود إلى حكايتي أنا، أخبركم أنَّ نورمان نوريل قال لي أخيراً بكثير من المراعاة واللباقة إن رقبتي قصيرة، إلّا أنه لم يقل ذلك مباشرة. فقد شرح لي أن رقبتي ليست طويلة بما يكفي. ولا

يلائمني أن أرتدي الملابس ذات الياقات على طريقة *Vogue*، ولا الياقات على طريقة Peter Pan. أما الياقة الطوق القصيرة فبمثابة الضربة القاضية.

- إسمحي لي، قال، أن أُريكِ كيفَ تكون الياقة الشال.

فأعجبتني دون تردّد. ياقة ذات مقالب سموكنغ ضيقة ومُقَوَّرة حتّى النَّحر. ياقة مكشوفة ومُقَوَّرة ذات طابعٍ راقٍ. لقد كنتُ أحْسَبُ أنَّني لطالما اخترت الملابس التي تليق بنجمة هوليودية؛ غير أنَّني أدركت الآن كيف كانت آمي تراني، برأسي الغارقِ بين كتفي بلا رقبة تقريباً.

ينبغي القول هنا إن اهتمامي المفاجىء بمظهري الخارجي بدأ خلال رحلتي إلى بالم سبرنغ، عندما قلت لميلتون إنني أريد أن أعامل باحترام فأجابني قائلاً:

- أوّلاً، حاولي ألا تظهري بمظهر قذارة، (ورفع إصبعه في وجهي). كوني امرأة.

- قذارة، تقول؟

- هذا الثوب الذي ترتدينه، قال ميلتون، إنه أشبه بخيارة مخلّلة، (Shmatte).

- ماذا؟ لا، لا تقل لي هذا.

وسرعان ما ارتسمت أمام عيني صورة رجلٍ في دكان يهودي لبيع اللحوم المُقَدَّدة يرفع الخيار المخلّل من برميل بواسطة شوكة عملاقة. هذا ما أوحت به اللّفظة اليديشية التي استخدمها، (Shmatte)، خيار مخلَّل اخترقته شوكة عملاقة.

ـ تريدين أن تُصبحي أعظم ممثلة في العالم، أردف ميلتون، لكنك تُعامَلين بوصفك الشقراء البلهاء، وأنتِ لا تبالين. يجب أن تسلكي طريقاً مختلفة. لا تتجوّلي بين الناس وكأنك نكرة. ولا تنسي أنَّك على الشاشة كائن رائع الجمال.

كانت تلك الفكرة هي الراسخة في رأسي منذ ذلك الحين، وبعد أن التقيت نورمان نوريل. وكنتُ أشعر أنني خرجتُ أخيراً من خلف الستار الذي حجبني طيلة عمري. وبدأتُ أدرك أن السلوك الراقي ليس بعيداً عن متناولي، وأنَّ بإمكاني أن أكتسبه.

بيد أن الحادثة التالية التي طرأت على حياتي، هي التي أدَّت بالتأكيد إلى تحطيم زواجي من جو د. ففي ذلك المساء لم أكن أرتدي الياقة الشال. كنتُ أُصَوَّر مشهداً من فيلم «سبعة أعوام من التفكير»، أقِفُ فيه فوق شبكية التهوية لنفق المترو فيؤدي الهواء المنبعث منه إلى تطاير تنورتي. وأنا واثقة الآن من أن المخرج قد ألبسني نوعاً من الـ Shmatte الأبيض وتحته سروال أبيض ضيق، وكان شعري مُجعَّداً وبالطبع لم تكن لي رقبة بل ظَهْر وكتفان، لكي تظهر استدارات جسمي كلها هذا أقلّ ما قد يُقال، غير أني ما كنتُ أبالي. ولا رغبة لي في أن أُداري أحداً، وأحبُّ ما قد أقول صدقاً: قد أموتُ بين يديه؛ إن هواه يغلبني. أعطني طنّاً من المداراة، وسرعان ما أتخفَّف منه. كانوا في أقلّ تقدير نحو ألفين من المتسكعين في الشارع يُحدقون إليّ ويطلقون صفيرهم. وكان جو د. في تلك الأثناء بين الحشدِ يكاد يُغمى عليه خجلاً لأنه يدرك جيّداً سرَّ مهنة الممثل. ولأنه كان لاعب بيسبول فلربما كان يعلم جيّداً أن الممثلة حين تلعب دور

العاشقة لا تُمَثِّل بالضرورة وأنها أحياناً قد تكون صادقة في أدائها وفي عواطفها على حد سواء. لذا أحسب أنه كان يعلم ـ إذ لا أسرار بين الأزواج ـ أنني كنت أشعر بالإثارة كلما تطايرت تنورتي لسبب ما. ولو خلعت ذلك السروال الأبيض الصغير لدخل سلوكي اللاأخلاقي التاريخ. وللحقيقة فلقد كُنت أودّ حينها أن أرتمي في أحضان الحشد.

استغرق المشهد أقل من لحظة وبعد ذلك غادر جو د. قاصداً إحدى الحانات. فبالنسبة لجو ـ ولمن هم من طينته ـ سيان عنده أن يُوْدِعَ صديقاً له في السجن أو أن يموت كل أفراد عائلته في حادث قطار. في الحالتين أو سواهما لن يكون منه إلا أن يقصد إحدى تلك الحانات الأشبه بنادٍ خاص يرتاده الرجال الصلع كلما أمطرت السماء...

حين عدتُ إلى St. Regis دار بيننا شجار عنيف. وقد يكون أفظع ما تتعرض له أن يعمد الرجل الذي يرعاك إلى التهجّم عليك. فعندئذٍ فقط يدرك المرء ما يعانيه عدوّه. وينبغي أن أعترف هنا أنني ذُقْتُ الأمرّين من زوجي الجديد. فالعيش مع جو د. أشبه بالعيش مع رجلٍ يبني لك منزلاً لبنة تلو لبنة. وكلّ يوم عليك أن تسند اللبنات فيما هو يضع الملاط. لبنة تلو لبنة. وإذا كان إيطالياً بالفعل، فهو يخاطب اللبنات وليس أنت. تقول له: يا عزيزي، أود أن أذهب إلى حفل راقص. فيجيبك: نذهب لنرقص حين يصبح بناء البيت ناجزاً. أو ربَّما الأفضل أن ندعو أناساً لنسهر معاً هنا، وبإمكانهم أن يرقصوا هنا!!

وصرختُ في وجهه: دعني وشأني ما عدتُ أرغبُ في العيش معك.

فَهُرِعَ إليَّ وضمّني بين ذراعيه كمن فَقَدَ الرجاء. وأدركت عندها معنى أن يفقد المرء الرجاء. كان يضمُّني إليه بقوة تكاد تسحق أضلاعي فأحسبُ أنها التوَت. ثمَّ جلسنا لنناقش الأمر. ولكي يجعلني أُصغي جيداً لما يقوله كان يمسك بيدي كأنها عصا بيسبول.

وفي صباح اليوم التالي حين غادر إلى الساحل الغربي، رحتُ أسكر بكؤوس الڤودكا والمهدئات. وتعمّدت أن أفعل أسوأ ما قد أفعله في حقِّ جو ديماجيو: لقد سمحتُ لآمي أن ترى أثر الكدمات على ظهري وفخذيّ. ولم أقل لها، دفعاً لأي سوء فهم، إنَّه لم يضربني يوماً، وإن هذه الكدمات لم تكن جرّاء استخدامه العنف، بل الأحرى أنها وليدة انفعال وحسب، وأنها، على نحو ما، علامات صدقه وتشبثه بي. وألمحتُ ببساطة أن جو رَجُلٌ قاسٍ وفظّ. لم أتمالك نفسي. كنتُ في ذروة غضبي منه وحنقي لأنَّ آمي كانتِ ترى أنَّه رجل لطيف. كانت تقلق كثيراً لإصابته بالقُرحة، وتمتدح باستمرار قدرته على الامتناع عن تناول الشراب أو استخدام عبارات سوقية. كانت ترى أنه رجل على قدر من الرقيّ. رجل مهذب ولبق. أما أنا فكنتُ أمقتُ أسلوب تعامله الذي لا ينمّ إلّا عن الاحتقار المطلق لمهنتي. وأدركت ذلك في الوقت الذي كنتُ أشعر فيه بأنني في أفضل حال قد أحلم به. وصدَّقت فعلاً أنني سأنجز أجمل الأفلام، وأتعلَّم كيف أحيا بين مساكب الورود. ولأسفي الشديد، كنتُ إلى ذلك الحين لا أعرف من الرجال سوى أولئك الذين يسحقون أعقاب سكائرهم في أصص الورود. فتابعت إذاً احتساء الڤودكا...

جاء ميلتون لزيارتي، وأبدى استهجانه للكدماتِ الظاهرة على ظهري وفخذيّ، ثمَّ قال:

ـ لِمَ تشربين الڤودكا؟ حسناً، سأشرب منها أنا أيضاً، أما أنتِ فستواصلين لعب أدوارك في السينما.

وأجبرني على التفكير فقط في الأفلام التي ستنجزها مارلين مونرو في المستقبل، وفي ميلتون هاوثورن غرين الذي سيُصبح منتج أفلامي، الأمر الذي بدَّل الكثير من مزاجي السيىء حتّى أنني أردت أن أطلع آمي على حيلة صغيرة أعرفها في استخدام الماكياج. وحيلتي هذه كانت في استخدام مسحوق المُهَرِّجين الأبيض. فما عليها إلّا أن تضع هذا المسحوق فوق الفون دوتان وليس تحته؛ إذ يكفي أن تضع منه القليل حول العينين أو على مواضع التغضّن في الوجه لكي تبدو أصغر سناً بعشر سنوات. كادت آمي أن يُغمى عليها من الضحك. وما كانت لتتمالك نفسها لفرط سعادتها. ولوهلةٍ ما أحسستُ بأنني أحبّها حبّاً جمّاً. فداهية مثلها لا تبدي لك حبّها إلّا حين تستطيع أن تُعَلِّمها أمراً لا علم لها به من قبل.

◆

فور عودتي إلى لوس أنجلس رحتُ أكثر من اتصالاتي الهاتفية بميلتون وآمي، وفي بعض الأيام كنت أتصل بهما كلَّ ساعتين. لقد محّص ميلتون بنود عقدي وعثر على محامٍ يُدعى فرانك دلايني قال إنه من الممكن فسخ هذا العقد وإبطاله. وعندئذٍ أدركتُ

ماذا يعني الحقّ بحسب القانون أن تجد شقّاً في الصخرة فتُعْمِل فيه مُخْلَكَ.

لقد اهتدى الأستاذ دلايني إلى ثغرة في العقد. كانت الشركة تريد أن ألعب دوراً في فيلم «ثورة مامي ستوڤر» الذي يروي قصّة حياة مومس في هونولولو إبّان الحرب العالمية الثانية.

وشرح لي ميلتون الأمر على النحو التالي:

- يقول دلايني إنك إذا كنت لا ترغبين في العمل في هذا الفيلم، فما علينا إذاً إلّا أن نظهر الطابع المنحط لهذا الدور. ويقول إن دفوعه ستستند إلى المبدأ القائل بأنَّ «لكل كائن حقاً غير منقوص في أن يُحافظ على سمعته». ثمّ اتصل دلايني هاتفياً وقال لي:

- من غير الجائز أن يُرغَم الكائن البشري على القيام بما يمسّ ويتعارض مع كرامته كإنسان.

لقد استهوتني الفكرة. ورُحْتُ أرى منذ تلك اللحظة سيماء الغضب على وجه داريل زانوك: «من وضع في رأس هذه الشقراء البلهاء فكرة أنها كائن بشري؟».

والمشكلة أن الجميع أحبّوا «سبعة أعوام من التفكير»؛ وكان إعجابهم هذا يُشعرني بالخيلاء. وقد أقام المنتج تشارلي فلدمان حفلاً ساهراً على شرفي لدى رومانوف، وكان من بين الحضور سام غولدوين وجاك وارنر وداريل زانوك، وأهل المجتمع المخملي: كلوديت كولبير وغاري كوبر وكلارك غايبل وسوزان هايورث وجيمي ستيوارت؛ حتّى أن زانوك بدا لطيفاً معي. وكان جو د. قد عاد إليَّ

وبدأنا نلتقي مجدداً من حينٍ لآخر. والحقيقة أنني كنتُ ألتقي أناساً من أمثال مِلْ تورميه ومارلون براندو. وفي الطرف الآخر، في نيويورك، كان ميلتون بعيداً جدّاً.

في شهر كانون الأوَّل جاء إلى كاليفورنيا وكان قد مضى على آخر لقاء بيننا في نيويورك نحو ثلاثة أشهر، وجلب معه أجوبة على كافة الأسئلة التي أودّ طرحها.

ـ كيف سأتدبر أمر معيشتي؟ سألته.

قال إنَّه سيتدبر أمر معيشتي، وعلى مستوى أفضل مما أعيشه الآن، إلى أن يُتاح لي العمل في فيلم ما.

وماذا لو لم تقبل الشركة بفسخ عقدي؟ وماذا لو لم أتمكن من العمل في أي فيلم بعد ذلك؟ في هذه الحال، قال، ستكون خسائر الشركة أكبر من خسائره. فسوف تتعرض شركة فوكس لهزَّة عنيفة إذا فقدت الإيرادات التي تحققها من أفلامي وسوف يمارس المساهمون فيها الضغوط. ولكي تحافظ على جزء من هذه الأرباح سيكون عليها أن تقدّم بعض التنازلات.

ـ ولكن، ماذا لو خانتك الشجاعة ذات يوم يا ميلتون؟

ـ الشجاعة، لا أعرف ما هي؟ ولم أدرك يوماً ماذا تعني، لذا فلا خوف من أن أفقدها.

قلتُ له إن شركة فوكس أصبحت الآن مستعدة، في رأيي، لأن تصنع لي أفلاماً جيدة. فهل باستطاعته فعلاً الزعم بأنه سيحقق أفلاماً أفضل منها؟

ـ أوه! أجاب ميلتون، دعيني أُنجز فيلماً أو فيلمين من بطولتك، وعندئذٍ سأتمكن من التأكيد على أهميتك كممثلة. وبرأيي، هناك رجل واحد فقط يجب أن يقاسمك البطولة لأنَّكما، أنت وهو، قد ولدتما في المكان نفسه وتوصلتما إلى المستوى نفسه. ولا تسألي أي مستوى هو هذا، لكنَّها الحقيقة.

ـ ومن يكون هذا الرجل؟ سألت.

ـ إنه شارلي شابلن، أجاب ميلتون.

صمَّمتُ على أن أضع مصيري بين يدي السيّد غرين. بعد ذلك ببضعة أيام وضعتُ بعض حاجياتي في حقيبة، وغادرت شقتي، واستقلينا، غرين وأنا، الطائرة قاصِدَيْن نيويورك. كنتُ أضعُ شعراً مُستعاراً أسود ونظارات شمس، وأسافر تحت اسم زلدا زونك. وكانت آمي في المطار لاستقبالنا، فغادرنا مباشرة إلى وستن في ولاية كونيكتيكوت حيث يقيمان وحيث سأتوارى عن أنظار أصحاب الشركة والصحافيين والعالم بأسره، إلى أن يفلح ميلتون في فسخ العقد.

◆

آه! ما زلنا في مقتبل العمر، قالت لي آمي ذات يوم، في عزِّ شبابنا، والحمدُ لله أننا لا نعي ذلك حقاً.

وكانت تلك المرّة الأولى التي تبدو لي فيها قلقة بشأن مصير زواجها. ففي معظم الأوقات كنّا نستغرق في ضحكٍ متواصلٍ ولا مبالٍ. راح القيّمون على الشركة يتصلون هاتفياً للاستعلام عمّا إذا

كنت أقيم لدى آل غرين، مع استبعادهم لهذا الاحتمال. كانوا يتّصلون بكافة أنحاء البلاد. ذلك أن آل غرين ليسوا في النهاية سوى أحد الأسماء الممكنة في لائحة تتضمَّن أكثر من عشرين إسماً. وقد أوعزوا لأحد ما أن يتصل بهؤلاء جميعاً كلّ يوم. فقد يُفلح في آخر المطاف في العثور على مارلين. وكانت آمي تعشق مثل هذه الأمور، وتكون على أهبة الاستعداد دوماً لابتكار الأكاذيب، إذا كانت الأكاذيب تخدم قضية عادلة.

ـ هل السيّد ميلتون غرين في المنزل؟ يسأل الصوتُ عبر الهاتف.

ـ لا، كانت تجيب، مَنْ المتكلِّم؟

ـ آه! كيف السبيل للاتصال به؟ يُردفُ الصوتُ قائلاً، نحن نبحث عن الآنسة مونرو.

ـ حسناً، سوف أعلمه بالأمر، تجيب آمي.

فيما بعد راحوا يوعزون لشخصيات مرموقة في الوسط الفني بالاتصالِ هاتفياً وتكرار السؤال. وكان فرانك سيناترا وبيلي وايلدر من بين هؤلاء. ثمَّ اتصل بوب هوب بذريعة أنه يريدني للعمل في الاستعراض الذي سيقيمه في كوريا ليلة عيد الميلاد. الأمر الذي أضحكني كثيراً. فقد كان الأستديو هو الذي طلب إليه الاتصال بي.

ـ لا يا سيد هوب ليس لدينا أية فكرة بهذا الشأن، أجابت آمي؛ ولكن قل لي، هل الآنسة مونرو مفقودة؟

وعندما أقفل الخط ارتمينا متعانقتين على الأرضيّة المغطاة بالموكيت وقد استبدَّت بنا نوبة من الضحك الهيستيري.

لقد أفردا لي غرفة رائعة ومخبأ جميلاً جديداً. فقد جهَّز ميلتون وآمي محترفهما لاستقبالي. كانت الحجرة تُطلُّ على شرفة، أما الأستديو المحاذي فكان بمثابة ردهة استقبال من طبقتين وواجهات زجاجية عريضة مُشْرفة. وكنتُ أملك حرية التصرف في مغادرة البيت والعودة إليه، والقيام بنزهات في الغابات المجاورة بمفردي أو بصحبةِ كلبهما. وشعرتُ بأن تلك الفترة هي فترة الراحة الوحيدة التي حظيت بها منذ رأيت النور. في الخارج كانت الأنحاء مكتظة بأشجار البتولة، وكم كنت أعشق تلك الجذوع المُفَضَّضة ولا أكفّ عن تخيّل الأحاديث التي تدور فيما بينها.

كنتُ أُمضي أوقاتاً طويلة في المغطس. فقد جمعت آمي في حجرة الاستحمام أنواعاً لا تحصى من الزيوت وأملاح الرغوة. وأحياناً كنتُ أستحمّ مرَّةً عند الصباح ومرَّة أخرى عند المساء. أما حمّام الصباح فكان يستغرق وقتاً طويلاً، فقد كنتُ أمكث على استرخائي في كنف المياه إلى أن تزول من رأسي فكرة هوليود نهائياً، فأعمدُ بعد ذلك إلى دهن وجهي بطبقات من صنوف الكريمات. إذ كنتُ أحسب أنَّ طنّاً من الكريمات قد لا يكفي للوقاية من جعدةٍ واحدة، وأعشق بنوعٍ خاص واحداً منها، صنع جرمان مونتاي، ثمن الدورق الواحد منها نحو عشرين دولاراً. فحسنة هذا الدُّهن أنه كان يضفي على بشرتي ملمساً صقيلاً أشبه بملمس قماش الساتان فلا تليق بها إلّا قبلة ملك. وبأية حال، لقد كنتُ غالباً ما أُقَبِّل ذراعيَّ العاريتين خلال فترة استرخائي الطويلة في المغطس.

عند الواحدة تقريباً كنتُ مُستعدّة وغادرنا في السيّارة إلى وستبورت

في جولةٍ على متاجر العاديّات، (الأنتيكا). لفتني أيضاً كلّ ما صادفته هناك من أنواع الورود المُسْتَنْبَتَة في أصص والنباتات الشوكية والشجيرات المعروضة للبيع في المدينة؛ وكنتُ مُعجبة فعلاً بطريقة آمي في شتلها في الحديقة. لا أدري إذا كان من عادتها أن تستيقظ باكراً، غير أنني حين أنهض من نومي أجد أن الجميع قد استيقظوا منذ بعض الوقت وأعدّوا أنفسهم لمشاغلهم، وأن المؤن قد أحضرت، على الرغم من أن ميلتون كان قد غادر إلى نيويورك منذ بعض الوقت. كنتُ في حاجةٍ إلى النوم.

أمّا الأمسيات فكنّا نقضيها بارتياد دور السينما أو مشاهدة التلفزيون، وأحياناً نذهب إلى نيويورك بَعْدَ أن أُبَدِّل مظهري لكي لا أُصادفَ من يعرفني. وحين نعود إلى المنزل كنتُ أستمع بمفردي إلى ما يبثه الراديو حتّى ساعة متأخرة من الليل، وينتابني شعور بأنني في مكان ما وسط أميركا، وأناس من حولي يُطلقون الصفير إعجاباً حين أعبر بجوارهم في نفقِ الليل المظلم؛ كم هو رائع مثل هذا الشعور.

في بعض الأحيان، قبل أن أغفو، كنتُ أستعيد في رأسي شريط ما صادفته أثناء النهار؛ وأحياناً، (آه، كم وكم)، كنتُ أشعر بالأسى. إنّها أحداث حقيقية، غير أن استعادتها كصور في مخيلتي كانت تجعلها أشدّ واقعية. صورة رجلٍ ذي شفتين غليظتين كنتُ قبّلته ذات يوم خلال إحدى الأمسيات، تَعْلَقُ في ذهني في هيئة قضمتين من البفتاك المفروم والنيء.

من حين لآخر، لا أقوى على النوم دون أن أُفكر في ملابس آمي الداخلية، ليسَ فقط لنظافتها الناصعة بل أيضاً بسبب التناسق في ألوانها.

إذا ارتدت ثوباً بنفسجياً، فلا بدَّ أن ترتدي صدرية بنفسجية، ومشدّاً بنفسجياً وقميصاً بنفسجياً.

ـ لِمَ؟ كنتُ أسألها، فالناس لا يرون ما ترتدينه تحت ثيابك.

ـ إني أعشق إحساسي بأن ثيابي التي أرتديها من لون واحد.

وأدركتُ ماذا تقصد: إنها في كلِّ ما تفعله إنَّما تُصغي وتستجيب لأحاسيسها الدفينة. وكم زادني ذلك إعجاباً بها.

ـ ثمَّ، أردفت آمي قائلة، ماذا لو رآني زوجي وأنا أرتدي ثيابي، فعندئذٍ أريد فعلاً أن يرى شيئاً جميلاً. فما الجميل في أن يراني وقد ارتديت ملابس داخلية من القطن؟ وميلتون له عينان موصوفتان!

كان الصُّوان المُخَصَّص لملابسها الداخلية أشبه بقوس قُزح. كلُّ تلك الألوان وقد طويت فيها ورُتِّبت كأنها مروحة ألوان. وحين كانت تخطر ببالي قبل أن يستغرقني النوم، كنتُ أشعر بأنها تُصدر أنغاماً مثل قصباتِ أرغن آلي. كنتُ أشعر بمودّةٍ كبيرة حيال آمي، وبغبطةٍ عظيمة لأننا على وئام، هي التي ترتدي ملابس داخلية من كافة الألوان، وأنا التي لا ترتدي مثل هذه الملابس على الإطلاق.

إنّي حرباء. ما يجعلني أتلوّن بلوْنِ الناس الذين أحيا في وسطهم. وإذا كانت سحناتهم كامدة أو باهتة، أصبحتُ على صورتهم ومثالهم. بصحبةِ آمي أصبحتُ مُتَحَشِّمة، إذ أحسبُ أن واحدنا يُصبحُ أشبه بمومىء رائع حين يكون بمقدوره أن يتشبَّه بالشخص الذي يحيا معه.

بالإمكان القول إنَّ آمي كانت تمتلك موهبة انتقاد الآخرين. وأحْسَبُ أنها الأبرع في هذا المجال من بين كافة الناس الذين

أعرفهم. فبإمكانها أن تكون الأرقَّ ملمساً بين الأفاعي، غير أنها، صدقاً، لا تتوانى عن الأذيّة. فمن الأفضل أن تجري الأمور معها كما تشتهي هي وإلّا فإن سُمَّها قاتل. وليس في ردِّ فعلها المحتمل أي اعتبار شخصي. ذات يومٍ، مثلاً، ابتاعت لي كنزة من الكشمير مقاس ٣٨ لدى صديقها بوتزي موفّيت، وهو صاحب متجر كبير في وستبورت، ما أوحى إليّ بفكرة. فإذا كان لا بدَّ لي من ارتداء الكنزات، فلتكن من الكشمير. غير أني فكّرت طويلاً في هذا الأمر، وفي اليوم التالي سألتها:

ـ أبإمكانك أن تحضري لي كنزة مقاس ٣٦ وأخرى مقاس ٣٤؟

وكان القصد من ذلك أن أرتدي الكنزة مقاس ٣٨ لإرضاء آمي، أما الـ ٣٦ فأرتديها في المناسبات الاجتماعية، والـ ٣٤ لبرامجي التلفزيونية.

ـ ماذا؟ قالت آمي. آهِ تبّاً، ما عليك إلّا أن تكتفي بالـ ٣٨.

جاءت عبارتها كالصفعة، وحين غفوت ذلك المساء رأيتني في الحلم سمينة كالبالون أرتدي كنزة مقاس ٣٤.

ـ حسناً يا عزيزتي، قالت لي آمي في اليوم التالي، بإمكانك أن ترتدي مقاساتٍ أصغر. فبأية حال إنها ملابس العمل، أليس كذلك؟

قلتُ بلى.

ـ ولكنْ، يا آمي، ما الذي لا يُعجبك في الثياب التي أرتديها؟

ـ حسناً سأُصارحك يا صغيرتي، أولاً، المُؤَخِّرَة نافرة في تنورة ضيقة؛ ثانياً، التنورة قصيرة جداً؛ ثالثاً اللون غير ملائم. إنها أناقة بدائية.

ـ إنّك على حقّ، أجبتُ قائلة.

ـ أنتِ لستِ في حاجة إلى كلِّ هذا. أنتِ نجمة، وبإمكانك أن ترتدي ما شئت يا مارلين. لستِ في حاجة للتباهي بثديين، كما أنك بالتأكيد لستِ في حاجة للتباهي بنهدين حاسرين. لقد بلغتِ مرادك من الشهرة وليس عليك اللجوء إلى مثل هذه الأساليب.

ـ لكنَّ هذا ما يريدونه، وهذا بالضبط ما يسخون بالمالِ لأجلهِ.

لم يكن في نيّتي أن أستسلم بسهولة. ذلك أن آمي لا تعبِّر إلّا عن رأيها، قلتُ في سرّي قبل أن أنام.

ومع ذلك، عدتُ في اليوم التالي لإثارة الموضوع إيّاه.

ـ كيف لكِ، سألتها، أن تجيدي دوماً اختيار ما يُلائمُ مظهرك من الملابس وسواها؟ ومن أين لك هذه القدرة، في كلِّ وقت من مواقيت النهار أو الليل، على الظهور بمظهر لائق؟ من أين تنتقين أحذيتك؟ (وكنتُ أحسب أنني بهذه الطريقة سأتمكن من أن أعرفها جيّداً). وهل لي أن أُلقي نظرة خاطفة؟ سألتها وأنا أنظرُ إلى داخل خزانة ثيابها.

ـ إفعلي، يا مليكة الجمال، ما شئتِ، فلطالما كنتُ أحيا في الدير ومن حولي ستون فتاةً لا يعوزهنَّ الفضول، قالت آمي. إنّه جزء من...

ولم تكمل عبارتها. ورحت أتخيَّل ماذا تعني الحياة في دير. ملابس مختلفة لمناسبات مختلفة كلَّ يوم.

ـ أحسبُ أن السِّرَّ يكمن في إدراك ما يتلاءم مع جوّ المناسبة، قلت.

هزَّت رأسها.

ـ أجل. كُنّا نرتدي الوزرة بعض أوقات النهار، قالت، أما خلال

حصة الفنون فكنا نرتدي نوعاً من المريلة الطويلة، (وكانت تعلم أنَّه لولا حرصها لبقيت ملابسي مبعثرة في الأرجاء)، وعندئذٍ أردفت قائلة:

ـ المهمّ أن ما نرتديه يجب أن يكون لائقاً ومُهندماً.

ـ كم كنتُ أودّ لو أنني عشتُ في دير، قلتُ لها. ذلك أن والديَّ بالتبنّي لم يُعلّماني شيئاً من هذا القبيل.

ـ إذاً، قالت آمي، نحن على طرفين نقيضين، فلنقُل إن خير الحلول الوسط.

◆

ذات صباح، وكنتُ لا أزالُ مُستلقيةً في مياه المغطس في حجرة الاستحمام، اتصل بي شخص ما هاتفياً وجاءت آمي لتعلمني بالأمر. طرقت باب الحمّام تستأذن الدخول فقلتُ لها أن تدخل، وكنتُ أشعرُ في تلك اللحظة أن بشرتي ورديّة، ناصعة ورطبة. قالت لي آمي:

ـ أنتِ جميلة جداً حقاً. لك بشرة مخملية صقيلة.

كانت تلك المرَّة الأولى التي أرى فيها آمي قد خرجت عن تحفّظها المعتاد. لا بل وأردفت قائلة:

ـ إنَّها صدمة حقيقية. أقصد حين أُفكّر أنك تقيمين هنا منذ بعض الوقت ولم أنتبه من قبل أنَّك بالفعل، على درجة مذهلة من الجمال، ثمّ استدارت وهي تهمُّ بالمغادرة قائلة: سأقول له إنَّك ستعاودين الاتصال به...

مكثتُ مُمَدَّدةً تغمرني مياه المغطس وكم شكرتُ ربي لأنَّه خلقني على قدرٍ من الجمال لا يخفى حتى عن عينيْ آمي. ولكنْ، كم ودِدتُ أن أسمع منها مثل هذا الكلام حين لا أكون عارية.

لا بدّ أن مثل هذه الخاطرة قد راودت ميلتون هو أيضاً، لأنَّه قرَّر، في حضور آمي، أن يشتري لي معطف فرو أبيض. لقد كان شغله الشاغل منذ بعض الوقت أن يهتدي إلى حلٍّ للتنافر الظاهر في زينتي وملبسي وخَلُص إلى الاستنتاج بأنَّني ينبغي ألّا أرتدي سوى ملابس بيضاء. وقال إن نورمان نوريل وجون مور وجورج ناردييللو لن تراودهم، من الآن فصاعداً، إلّا الأفكار البيضاء بشأن الأزياء التي سأرتديها. وأدركتُ عندئذٍ كيف يُفَكّر ميلتون، خصوصاً أنّه يضع المستقبل نُصبَ عينيه. لقد كان شابلن لا يرتدي إلّا الملابس السوداء، وعلى هذا النحو سيبدو الفيلم الذي سنصوّره معاً بالألوان، كأنه فيلم بالأسود والأبيض: لكي تثير الانتباه، عليك بالبساطة.

كان من المفترض أن تشمل ملابسي التي سأرتديها في الفيلم معطفاً من الفرو، وحين قلتُ إن معطفاً من فرو الثعلب قد يكون رائعاً، رمقني ميلتون بنظرة تقزُّز. ورجل مثل ميلتون له أسلوبٌ مذهل في جعلِ نظراته ذات مغزى.

ـ إن الصورة النموذجية للنجمة الناشئة، قال ميلتون، هي صورة الفتاة التي تُعطى جلدَ ثعلب على باب متجر للملابس، ويُقال لها: «هيّا» ويُدفعُ بها قسراً للمثولِ أمام عدساتِ خمسين مصوّر. لم أقصد فرو ثعلب أبيض، بل فرو القَاقُم، يا مارلين.

لم أكن أعرف حتّى ما هو القاقُم. سمعتُ فقط عن فرو الثعلب والفيزون. غير أن ميلتون كان يحتقر هذين النوعين من الفرو حتّى أنه جعل لأحدِ معاطفه بطانة من الفيزون. وفعلته هذه دلالة على رغبة المرء في أن يكون مُتحرِّراً من حجمِ مداخيله علماً بأن ميلتون كان يكسب ماله بفضلِ ترقّيه المتواصل في مهنته، غير أن الصحيح أيضاً أنه كان يملك نحو مئتي طقم! وكان ذلك يُثير إعجابي تماماً مثل افتتاني بملابس زوجته الداخلية. وهنا تدخَّلت آمي لإقناعي.

ـ الفيزون يليقـ ـق ق بكررررة القدم، قالت بلكنة أرادت أن تكون روسية. ولكن إذا شئتِ ارتداء فرو حقيقي فعليكِ بفرو القاقُم أو السمّور السيبيري.

كدتُ لا أُصَدِّق موقف آمي اللامبالي حين اشترى لي ميلتون معطف الفرو. بالطبع، كان لديها ما يكفي من معاطف الفرو، ولكنْ مع ذلك، فالمالُ الذي يُنفقُ عليّ هو، في آخر المطاف، مالهما. قد أتمكن ذات يوم أن أعيد لهما ما أنفقاه عليَّ، وقد لا أفعل. مَنْ يدري؟ وكنتُ أُرَدِّدُ في سرّي: «تراني ماذا أقول لجو د. لو أنَّه أخبرني ذات يوم أنَّه ابتاع ثوباً جميلاً وقدَّمه هدية لإحدى صديقاتي؟».

منذ أن جاءني ميلتون بالمعطف، لزمته وَلَزِمني مثل جلدي. وكنتُ أفرده فوق سريري حين أنام. عَشِقْتُ كلَّ الحيوانات التي استخدمت فراؤها لصنعه، وصليتُ لأجلها، وكنتُ أرى أعينها اللامعة وأسأل نفسي إذا كانت تُحِبُّني. ولم أفكِّر يوماً في الصيّادين الذين اصطادوا

الحيوانات وباعوا فراءها. وكنتُ أرى أنه أمر عادل. ففي آخر الأمر، كنتُ أصنعُ أفلاماً سيشاهدها الناس حتّى بعد موتي.

◆

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ الفروَ يُجَسِّدُ سُلْطاناً حقيقياً. فإذا ما ارتدت فتاة جميلة ثوباً جميلاً، ازداد جمالها، لا أكثر. ولكن حين ترتدي معطف فرو فكأنَّها تَمْثلُ علانيةً أمام أعين الناس بصحبةِ رجل. حتّى أن الفرو أثار فيَّ الرغبة في أن أُثَقِّف نفسي. فقد أعارتني آمي، على سبيل المثال، كتاباً يتحدَّث عن حياة نابوليون، فقرأته، ولم أحفظ منه شيئاً يذكر. مؤلفه يُدعى م. لودڤيغ ولا ينبغي أن نتوقَّع الشيء الكثير من قبل شخص يُدعى لودڤيغ. فقد أبلاه بيتهوڤن لفرط استخدامه. ثمَّ إن نابوليون ليس صورة الرجل الذي قد أُحبُّه مدى الحياة. ومن شأنِ المرأةِ التي تَغْلق رجلاً مثله أن تغمرها السعادة إذا ما تكرَّم وخاطبها في ثلاث مناسبات في السنة، اللهّم إلّا إذا كانت مثل جوزفين التي استطاعت أن تستأثر بقلبه. ولطالما تخيّلت نابوليون شاهراً سيفه ينظر إلى ساعته وإلى داريل زانوك؟ «أرجو المعذرة، ولكنْ على الجيوش أن تبدأ زحفها».

الحقيقة أن جوزفين هي التي كانت تثير إعجابي. وذات يوم، عثرت فوق أحد الرفوف في خزانة آمي، على كتاب آخر يتناول سيرتها، لا أذكر عنوانه. وكلَّ يوم، حين يخلد الجميع إلى النوم كنتُ أمكث في غرفتي، ومعطفُ الفرو فوق السرير، وأستغرق في قراءة قصة

هذه السيِّدة. حتّى أثناء القراءة كانت أصابعي لا تكفُّ عن مداعبة فرو المعطف.

أوّلاً، هناك ملابسها. لقد كانت جوزفين تحبّ أن ترتدي ثوباً يونانياً أبيض يكشفُ عن نهديها العاريين. وكنتُ أقول في سرّي إنَّه الثوب المثالي لامرأةٍ مثلي. فنابوليون كان ليهجرني على الفور لو يراني في مثلِ هذا الثوب.

ثمَّ قرأت أن جوزفين كان لها صديقة تُدعى السيِّدة ريكامييه، يصعب عليَّ تهجئة اسمها كما ينبغي؛ ويبدو أنَّ أولئك النساء الثلاث كُنَّ لا يفترقن تقريباً: جوزفين والسيدة ريكامييه وتيريز تاليان. كان أزواجهنَّ الثلاثة يتنقَّلون معاً، من مكان إلى آخر في أرجاء فرنسا، (إلى أن سطع نجم نابوليون على حساب الآخرين). ولبعض الوقت كان يُطلق على الصديقات الثلاث اسم «المتأنّقات الثلاث». ورحتُ أتأمَّل صورهن وأتخيَّل وقع الصدى الذي قد يحدثه فيلم مقتبس عن قصتهن، من بطولتي إلى جانب آفا غاردنر وأليزابيت تايلر، وبصرف النظر عمّا قد تبديه إحدانا من ازدراء حيال الآخرين.

◆

لم ألبث أن استهوتني سيرة جولييت ريكامييه وأثارت إعجابي. وبات شغفي بها أكبر حتى من شغفي بجوزفين. وقد قرأتُ ذات ليلة وأنا مُستلقية فوق سريري أن جولييت اشتهرت بأنها صاحبة ثديين باذخين. وكانت تعرضُ في دارتها تمثالاً لها وهي عارية، تبرز فيه

تفاصيل جسمها الدقيقة. ولكنْ حين تقدَّم بها العمر وراح صدرها يتهدَّل حطّمت ثديي التمثال. فأذهلني ما فعلته. ثم قرأت أنها قَضَت بداء الكوليرا الذي يصفه الكتاب بأنه «أفظع الأمراض قاطبة». كنتُ أتخيَّل فظاعة ما ألمَّ بها، فثارت أمعائي، تعاطفاً معها، وراحت تُصدرُ كركرةً غريبة.

لا بدَّ أن معطف الفرو هذا كان يُوْقِظُ الأشباح من حولي. كلَّما وضعته على السرير لا أتمالك نفسي من الاستغراق في التفكير في أزمنةٍ قديمة، قبل ولادتي. فأرى عازفين سوداً يعزفون على الكمان في حفلات راقصةٍ راقية في باريس، وأقرأ قصصاً عن تيريز تاليان وهي تتنزّه في عربة خيل حمراء قانية يجرّها حصان بنّي. وكأنَّ ما أتخيّله قد عشته فعلاً. وأرى أيضاً على الدوامِ سِلفة جوزفين، إمرأة تدعى بولين بورغيز، كان من عادتها أن تستحمّ بالحليب كلَّ يوم، ويعمل على خدمتها فتى أسود صغير يُعينها على دخول المغطس والخروج منه. وكنتُ أشعر بشيءٍ من الإثارة لمجرَّد أن أتخيَّل نفسي أطلب من موزع الحليب أن يأتيني بقربتين من الخليب سعة الواحد منهما ستون ليتراً. وعندئذٍ أملأ المغطس بمحتواهما وأربط عُصابة على عيني آمي وأجعلها تستلقي فيه - ولن تسمح لي بالطبع أن أنزع عنها ثيابها، أعرف جيّداً - غير أني سأنال مرادي بطريقة أو بأخرى. وعندئذٍ أدخلُ وأقف بجانبها عاريةً إلّا من أحمر الشفاه على فمي وكثير من الشوكولاته التي دهنتُ بها جسمي من رأسي إلى أخمص قدميّ، وأبادرها بالقولِ: «صباح الخير، أنا عبدك الأسود الصغير. إسمحي لي أن أساعدك على الخروج من المغطس».

ثمَّ أقول: «يا آمي، إن شئتِ أم أبيتِ، أنت بولين، سِلفة جوزفين».

كنتُ مُستلقيةً في سريري، حيثُ أنا، متقطعة الأنفاس لفرط ما ضحكتُ، كأنني تسلّقتُ مرتفعاً. لقد أثارني كتاب جوزفين حقاً. فقرأته وأعدت قراءته تلك الليلة إلى أن أصبحت بعض تفاصيله أشبه بكابوسٍ يثقل على صدري. فكم أمقت مثلاً أن أقرأ بأن جوزفين بونابرت وبولين بورغيز لم تكونا على وفاق فيما بينهما. فقد أحببتُ بولين كثيراً وها جوزفين تَعْمَدَ إلى التَّسَبُّب بأذيّتها. مثلاً، في بلاط نابوليون، كانت النساء يتنافسن على ارتداء الفساتين التي تتلاءم ألوانها والأمكنة التي يقصدونها. وكان باستطاعة جوزفين أن ترتدي ثوباً من الديباج الأزرق إذا علمت أن مضيفتها ستجلسها على كنبة من الديباج الأصفر. وكانت جوزفين قد أفردت في دارتها حجرةً واسعة ملأتها بأثاث مُغَطّى بالحرير الدِمقسي الأحمر. (وبالطبع ما كنتُ أدري ماذا يعني الحرير الدمقسي). وذات يوم ذهبت بولين لزيارتها وفوجئت بأن جوزفين قد غيَّرت ديكور الحجرة الحمراء دون أن تُعلمها. فقد أصبح لون أثاثها أزرق ملكياً، أما بولين فترتدي ثوباً يغلب عليه الأخضر الغامق. فشعرتْ بإحراج كبير ولم تُطل زيارتها. وعلى أثر هذه الحادثة، تخاصمتا لبعض الوقت.

إنَّ قراءة هذه الحادثة قد عكَّرت مزاجي. ففي العادة، أنا لا أعرفُ أبداً كيف أختار ملابسي أو ماذا أختار. ومُجَرَّد اضطراري للخروج من منزلي لمناسبة ما يجعلني حائرة لساعات طوال. ولم أُفكّر يوماً بما سأصادفه في منازل الآخرين. أو تساءلت عمّا إذا كنتُ سأجلس على كنبة منجّدة بقماش زهري، أو أحمر أو من الحرير الدمقسي

الأزرق الملكي. كلٌّ هذا، بالنسبة لي، رطانة لا أفقه منها شيئاً. وربَّما كانت تلك نقيصة أخرى في شخصيّتي.

بعد ذلك قرأتُ المقطع المُتَعَلِّق بموت بولين. حيث تشرح لأصدقائها أنَّها تريد أن تموت وهي ترتدي أجمل أثوابها المُخَصّصة لتشريفات البلاط. وقالت إنها الطريقة الوحيدة التي تليق بلقاءِ «صاحب الجلالة الموت».

كنتُ أحاول أن أضحك. أن أرغم نفسي على الضحك؛ فأقول في سِرِّي سأذهبُ عاريةً للقاء صاحب الجلالة الموت. ولكن سرعان ما أصبحت فكرة الموت ماثلة أمام عيني. فَسَرَتْ رعشةٌ في أوصالي، وضَمَمْتُ إلى صدري معطف الفرو الأبيض، ورحتُ أستعيد في ذاكرتي أسوأ أيام عمري. أقصد ذلك اليوم الذي لم أخبر أحداً عنه من قبل، ذلك اليوم، حين كنت على وشكِ أن أقتل امرأة، بمساعدة الرجل الذي أحبّ، أن أقتلها بالفعل لكي تتمكن من لقاء «صاحب الجلالة الموت». لقد عاودتني فجأة ذكرى ذلك اليوم، في ساعة متأخرة من الليل وكأنَّ أطيافاً من الماضي السحيق قد عادت إليَّ. وكان لا بدَّ أن أبتلع قرصَيْ مُنَوِّم لكي أغفو، وكانت تلك هي المرَّة الأولى التي أتناول فيها أي نوع من المُنَوِّمات منذ أكثر من أسبوعين. آهِ من كوابيس ماضيّ. إنها تُحَوِّم خلف الباب، مثل ذاك الذئب ذي الرائحة الكريهة الذي رأيته ذات يوم في حديقة الحيوان وهو يذرع القفص جيئة وذهاباً. وكانت الرائحة التي تنبعث من قفصه رائحة لحمٍ عَفِن.

لا أعرف شيئاً عن الكنائس، لأنَّ الجماعة التي كنت أنتمي إليها كانت تدعى جماعة «الفقه المسيحي»، ولم تكن لديها كنيسة، بل

قاعة اجتماعات وكتاب. ومع ذلك، حتى في الكنائس الكاثوليكية الجميلة التي كان جو ديماجيو يصطحبني إليها، كانت الأمور لا تختلف. فلكلٍّ واحدة منها كتابها المقدَّس. وكانت أشبه بالكهفِ حيثُ يتبرّأ واحدنا ممّا يُعَذِّب ضميره. فإذا ما أحسَّ مثلاً، بلعنة أحدهم وقد ملأتِ الأجواء وتكاد تكمّ الأنوف، (وهذا ما يفسِّر، برأيي، لمَ يعجز المتقدِّمون في السنّ عن التنفُّس حين يشعرون بالخوف)، فمعنى ذلك أن يلجأ المعني إلى فتحِ الكتاب المقدَّس. ولطالما آمنتُ، حين أُصلّي، أن الكتابَ المقدَّسَ يُجَنِّبني اللعنة.

بيد أننا ما امتلكنا يوماً كتاباً مقدَّساً. فما استطعنا يوماً أن نسير على هديه. وكان ينبغي أن ننتمي إلى كنيسة لكي نلوذ بكتابها. وإذ ذاك اهتديت إلى فكرة ـ وأحسبُ أن هدايتي هذه لمَ تَكُنْ إلّا بسبب العزلة التي كنتُ أعاني وحشتها في ساعات الليل المتأخرة ـ وقلتُ إنّني لا بدَّ لي أنْ أبتدع كتابي الخاص، أن أدوّن بعض ما أصادفه خلال يومي، أو أن أصوغ ما لفتني من مأثورات أسمعها، أو حتّى العبارات التي استهوتني في قراءاتي، فربَّما استطعت مع الوقت أن يكون لي كتابي الخاص. فقد يُجيرني بعض الشيء من لعناتي. وآمنتُ بما ظننت، وصدَّقتُ أنَّ اللعنة لن تُصيبَ الحميمَ فيَّ. وأن الخطر الماثلَ لا ينالُ من المرءِ إلّا إذا خالطَ السوى في الأماكن العمومية. إذ قد يَعتورك شؤمٌ وينمو في دخيلتك، لأنَّ الجانب الملول فيكَ قابل لأن يستقبل أي شيء. وبالطبعِ، إنَّ عدداً لا بأس به من بين الذين يستذكرون الكتاب المقدَّس في أي وقت ليسوا في الحقيقة سوى أناس مُضجرين ومُرهقين. ذلك أنهم يحتاجون ضروباً من الوقاية ضدَّ اللعناتِ، والكتاب

المُقَدَّس، وحده، أكبر من كافةِ اللعنات. لذا فإنَّ دفتر يوميّاتٍ بائساً كمثلِ الذي أدوّن فيه خواطري لن يكون، بالطبع، أكثر من حصني الحصين. وقد يُبعد عنّي بعض المتاعب، لا أكثر.

مع ذلك، ابتعتُ في اليوم التالي دفتراً جميلاً غلافه من الجِلد الخالص. وكان عليَّ، بعد ذلك، أن أنتظر كيما تراودني فكرةٌ أُدوّنها على صفحاته. طوال الليلِ ما اهتديتُ إلى فكرة. وفي اليوم التالي، كنتُ على وشكِ التخلّي عن هذه الفكرة برُمَّتِها عندما استوقفتني فجأةً محفورة قديمة مُعَلَّقة على حائط الرواق. لطالما أعجبتني. كانت تذكرني بآمي، إلّا أنَّها رسمة لامرأةٍ عاشت على الأقل منذ مئتي عام.

لقد علَّقت آمي الرسوم في كافة أنحاء البيت. وبعضها رسوم نشرتها مجلة الـ *New Yorker* التي كانت تُحِبُّ الاطلاع عليها، غير أني تنبّهت إلى أنَّها تعرف، ولا بدَّ، الرسّام الذي رسمها، لأنها كانت الرسوم الأصلية وليست مُجَرَّد صور منتزعة من صفحات المجلّة. وكان لديها أيضاً رسوم كثيرة لرسّام يُدعى دومييه، (Daumier)، وأعتقد أنها تُسمّى «الرسوم المطبوعة». حيثما تَنَقَّل نظرك في دارة آمي تُصادف ما يستحقّ أن تنظر إليه. فقد كانت تهوى جمع الأشياء اللافتة، ومن بينها، على سبيل المثال، علبة من الرخام الأبيض، وبلّورة كانت تقول إنَّها من نوع الباكاراه، وصورة رائعة لميلتون في إطار صغير. ومن بينها أيضاً رسمة المرأة تلك.

ـ من تكون هذه المرأة؟ سألتُ. أهي أنتِ؟

ـ يا عزيزتي، قالت آمي، يحسن بي أن أشكر لك حسنَ ظنّك بي، (وهزّت رأسها). لا،لا، هذه المرأة ليست أنا. إنها إمّا، اللايدي هاملتون.

ـ ومن تكون؟

حين أدركت أنني لم أشاهد الفيلم، وهو من بطولة ڤيڤيان لاي ولورنس أُوليڤييه، وأنني، بالتالي، لا أعرف الأميرال نلسون وإِمّا، رَوَتْ لي قصّتهما. والحقيقة أن قصّتهما، كيما أستعيد عبارة آمي، قد أسرتني. ذلك أني شعرتُ، بعد تفكير طويل، أنَّ إمّا تشبهني قليلاً، أقصد تشبهني قليلاً جداً. وما زاد في إعجابي بها أنني علمت أنها أصبحت سيِّدة مجتمع بعد زواجها من اللورد هاملتون، وهي لم تكن قبل ذلك سوى نادلة مقصف لا تتوانى عن معاشرة بعض الزبائن بعد دوام العمل لتكسب مالاً إضافياً يُعينها على تدبّر أمور البيت.

بعد ذلك أطلعتني آمي على كتابٍ يروي سيرة اللايدي هاملتون، وفيه عدد من رسائلها. في البداية لم تكن إمّا لتحسن الكتابة أفضل مما أحسنها، أنا. ومع ذلك، علمت أنها استطاعت خلال السنوات العشر التي تلت أن تحرز تقدّماً لا بأس به في هذا المجال، الأمر الذي جعلني أشعر ببعض الارتياح الذي بدّد شيئاً من الضيق الذي لازمني منذ نهوضي. وشرعت أُدَوِّن في دفتري، إذ عمدتُ إلى نسخ رسالتين من رسائل إمّا. وكانت تلك طريقة لأبرهن لنفسي على ما قد تستطيعه فتاة إذا أرادت التعلُّم فعلاً. فمثلاً، هناك رسالتان كتبتهما ويفصل بين الواحدة والأخرى نحو عشر سنوات؛ والرسالتان مُوَجَّهتان إلى رجلٍ يُدعى شارل فرنسيس غرڤيل، وهو نجل الكونت دو ورويك.

وأدركتُ من مضمون الرسالة الأولى أن غروڤيل، وكانت تدعوه غ. ، كان يظهر لها اهتماماً في البداية. ولا بدَّ أنه كان مفرطاً في لطفه معها، لأنها بدت، على تعثُّر أسلوبها، على سجيَّتها في الكتابة إليه. فالرسالة الأولى تبدأ بما يلي: «ماذا ينبغي أن أفعل؟ ماذا أفعل يا ربّي؟ لن أتمكن من الحضور إلى المدينة لأنني لا أملك مالاً. لا أملك قرشاً واحداً ولا أحسب أن أصدقائي ينظرون إليك بعين الرضى... آه! يا غ. لو أنَّك ملكتني، لكنتُ من بين الفتيات أسعدهنَّ! فتاة، بلى. وماذا أكون سوى ذلك، فتاة يائسة مجرَّد فتاة يائسة؟... أكادُ أفقد عقلي...».

في هذه الأثناء ظهر اللورد هاملتون، وهو رجل يكبرها سنّاً. هبط عليها مثل قَدَر ـ كما قد تعبِّر آمي ـ وجعل منها سيّدة حقيقية. وبعد زواجهما، أقاما في نابولي، في مملكة عاهلة نابولي حيث كان اللورد هاملتون يتولّى منصبَ سفير إنكلترا. وإثر عشر سنوات، لم يعرف أحدٌ شيئاً، باستثناء شارل فرنسيس غروڤيل، عن الطريقة التي كانت تُعَبِّر فيها في رسائلها الأولى، لأن رسائلها أصبحت تُكتب على النحو التالي:

«لا تتخيَّل كم أصبحت أُمّي موضع احترام الجميع وإعزازهم. لقد أفردنا لها جناحاً في دارتنا وكم تبدي لها الملكة من المودَّة الصادقة. وقالت لها إن من حقّها أن تشعر بالفخر حيال سيرة ابنتها الذائعة الصيت... أروي لك كلّ هذا لكي أقول لك إنني أفعل ما يليق بمن كانت، ذات يوم، تلميذتك. حَفِظَكَ اللّه».

وكلّ هذا حدث حتى قبل أن يلقي اللورد نلسون مرساته في نابولي.

ورحتُ أسألُ في سِرّي إذا كان من الخير لي أن أقرأ هذا العدد من قصص الماضي. كنتُ أقرأها كمن يستمتع باحتساءِ الشمبانيا. وكانت تلك القصص تثيرني بالفعل. فسرعان ما تستحيل في مخيّلتي إلى فيلم أو مسرحية. وليس لي أن أفتح دفتري بعدها، لكي أشعر بأنني على خشبة المسرح.

تراءى لي أن ما ينبغي أن أدوّنه في دفتر يومياتي هو ما أسمعه يتردَّد على ألسنة الناس من حولي، مثلاً، كان من عادة نورمان موريل أن يأتي معظم الأحيان يوم الأحد لزيارة ميلتون وآمي. وكنتُ أستمتع جيّداً بوجوده بيننا لأننا كنّا نجلس أمام المدفأة الكبيرة في ردهة الجلوس ونتحادث عن الأزياء. وكان نوريل يصف لنا الأزياء التي صمّمها لجرترود لورنس وإلكا تشايز. ولم تكن الحكاية هي ما يستأثر بانتباهي في ما يقوله، بل أسلوبه في الكلام الذي كان يبدو لي شخصياً وحميماً. لم يكن أطول قامة من ميلتون، ولكنْ أكثر منه نحولاً. كان نحيلاً جدّاً. مجرّد رَجُلٍ وُلِدَ في ولاية إنديانا وجاء إلى نيويورك لكي يعمل لحسابِ هاتي كارينجي، «الساحرة العجوز»، كما يُسمّيها. غير أن نورمان نوريل كان يمتلك ذلك الصوت المُذهل الذي لم يُعْطَ إلّا لأناسٍ من ذوي الشأن الرفيع. يَتَحَدَّثُ كما لو أنَّ باستطاعته أن يمتلك العالم لو شاء ذلك، ولكنّه مُرْغَمٌ، للحفاظ على ما يمتلكه، على القيام بأمور غير مُستحبّة! وينبغي لمن هو مثله أن يفعلها!... ومن هو مثله يَتَحَدَّث عن الكتب، مثلاً، كأنه يعرف مؤلفيها أفضل مما يعرف عائلته، خصوصاً إذا كان يمتلك ما يمتلكه نورمان نوريل مِنْ لباقة ورقيّ، فعندئذٍ يضيف إلى هذا الانطباع متعة أن تسمعه منه. وكان

يُشعرني دائماً بأنني فردٌ من أفراد فريق عمله. وكأنَّه بذلك يسمح لي بأن أشاركه عالمه بالإشارات نفسها التي يستخدمها لامتلاكه. عبارات مذهلة كانت تنبثق من فمه فتحتلّ موضعها على الفورِ في دفتري.

أحياناً كنتُ أكتب كلماتٍ لا أجيدُ إملاءها، فأسأل عنها آمي. فذات يوم، حَدَّثَنا نورمان مثلاً عن حفل عشاء دُعيَ إليه، وكان قد أفردت فيه الكؤوس، ما إن جلس الحضور إلى المائدة، بحسب الشراب الذي سيُقدَّم، فكأس لشراب الشيري وأخرى للبوردوبلان، (وهنا دوَّنت في دفتري بورديللو إلى أن سألت آمي فَصَحَّحتِ الخطأ بشيءٍ من الامتعاض)، وأخرى للبورغوني، وأخرى للشاتوإيكيم، (وقد أدركتُ أنه الاسم الذي قرأته على الزجاجة التي سكب لنا منها ميلتون، فلم أخطىء في كتابتها)، وأخيراً، الكأس المُسْتَدِقّ المستطيل الخاصّة بالشمبانيا. ومع هذه الكؤوس في تنوُّعها المذهل، كيف للمدعو ألّا يشعر بالسكر حتّى التعتعة، وكيف للمضيف أن يلومك إذا كان المضيفُ مُليماً؟

ـ هذا ما أدعوه ترفاً، قال، ولكنْ يا لطينةِ الناس الذين نصادفهم.

وكنتُ أعشقُ نبرة صوته.

ـ الفيلسوف الحقيقي يتوقف عند كل ما يراه، أجبته قائلةً وقد شرقتُ بجرعة شراب.

كانت تلك عبارة قرأتها ليلة أمس ودوَّنتها على الدفتر. وكنتُ قد عزمتُ على عنونته: «مَسْرَدٌ بالأشخاص المتأنقين وبأصول اللياقة بقلم م.م. مصحوب بتعليقاتٍ من بناتِ أفكارها».

أحياناً كنتُ لا أجد الشيء الكثير لأدوّنه في دفتري. وذات مرّة اقتصر ذلك على أسماء كنت سمعت نوريل يذكرها في معرض حديثه عن نيويورك العتيقة كمثل:

Van Cortland.

Van Renssaler (خطأ في الإملاء؟)

Peter Styvisant (خطأ في الإملاء؟)

Ward Mc Allister et les Q et C Bottin Mondain

كيف الدخول إلى حفل المبتدئين من دون دعوة؟

وهنا دَوَّنت شيئاً آخر.

Paphos و Lesbos: أهما اسمان لسُحاقيتين؟

ثُمَّ وقعتُ على عبارة مذهلة في أحد كتب آمي: «السّرير معبد الحبّ». وكم أحببت هذه العبارة. كنتُ في ذلك الوقت أقرأ قصة الدوق دو لوكسمبورغ الذي كان هَرِماً جداً حين مات، ما جعله عاجزاً عن قراءة رسائله الغرامية، فغطى سريره بسبعين رسالة منها، كانت ظروفها لا تزال مختومة.

«صباح الخير، أيُّها الموت، يا صاحب الجلالة». كتبتُ. «هذا ما أدعوه تصرُّفاً لبقاً. فلو كنتُ رجلاً عجوزاً، لوددتُ أن أموت كما مات».

ثمَّ كتبتُ:

«الأناقة هي أن يبرهن المرء أنه الأفضل بين أبناء جنسه. وأن يكون

من الفطنة بحيث لا يناقض ما قاله في الليلة السابقة. وحين تطالع الأنيقَ أمورٌ فظيعة لا قِبَلَ له على احتمالها، يتنحنح كأنه موشك على التقيؤ: «إحممم»، ويقول: «يا للهول». ولا يتحرّجون من أن يسمع السامعُ ما يقولون. ذلك أنهم لا يتعثرون بالأشياء أو يدلقون القهوة حيثما كان، قائلين: «آهِ! كيف أمكنني أن أفعل ذلك؟»، بل يكتفون بالقول بلامبالاة: «يبدو أنني لا أتَحَكَّم بحركتي هذا الصباح»؛ أو: «يا إلهي، إن يدي ترتعش كَيَدِ سارق».

«لقد روت لي آمي أن نورمان نوريل كان يطلب من عارضاته دائماً بعد ارتدائهنّ ثوباً جديداً من تصميمه أن يذهبن إلى المراحيض. فإذا كان الثوب ضيقاً جدّاً ويعيق حركتهنّ هناك، يُدرك، عندها، أن الثوب في هذه الحال ليس على ما يرام وإن كان أنيقاً.

فتُرى ما يمكن أن يُقال عن تلك التي ترتدي ثوباً مُذهَّباً كمثل ذلك الثوب الذي ارتديته في حفل توزيع جوائز الفوتوبلاي؟ فما كنت أقدر حينذاك إلّا أن أرفع يدي إلى فمي».

اليوم، سمعتُ آمي ونورمان يتحادثان عنّي.

ـ مترٌ وثلاثة وستون، قالت آمي، ليسَ أكثر. ليست طويلة القامة. لها جذع طويل وقامة مديدة، وهذا هو اللافتُ في الأمر.

ـ أجل، إنَّ جِسْمَها بديع، أردف نوريل قائلاً، غير أنَّها ليست من هذا الزمن.

ـ لا بدَّ أنها تنتمي إلى العصر الڤيكتوري بالكلية، قالت آمي. ثديان باهران، خصرٌ دقيق، وردفان ثقيلان.

ـ كَمَنْ يُفصِّلُ ثوباً لقيثارة. ومع ذلك، أُحبّها. لها فتنتها الخاصة. آه! فقط لو أنَّ عنقها أطول بسنتمترين أو ثلاثة! قالَ بنبرةٍ خيبة.

تلك الليلة رحتُ أُقلِّب صفحات الكتب التي أنتقيها عن رفوفِ مكتبة آمي، وأنسخ مقاطع صغيرة منها عن النساء في القرن المنصرم حين كُنَّ يرتدين فساتين القرينول المُسلّكة فتبدو قامة أجملهنَّ أشبه بساعةِ الرَّمل.

«ألا تَتَحسّسْنَ سيور المعدن؟ ألا تتحسّسْنَ الحصن المنيع؟... أوَتزعمنَ أنَّ الثوب الفضفاض... لا يوقظ الشهوة لاكتشاف أسرار الطبيعة؟ فلا يحسبنّ أحد أن أولئك الذين يشعلون النار تحت قِدْر الساحرات في باريس حيث تبتكر الموضة، لا يعلمون ماذا يفعلون».

قلتُ في سِرّي «إنه كلام حمقى». والحالُ أنَّ الحَظَّ كان يُسعفهم على حماقتهم: فقد كانت لهم القدرة على التعبير.

ـ من لَمْ يُتَحْ له أن يُعرّي امرأة في ثمانينات القرن المنصرم فقد فاته أن يتمتع بواحدةٍ من أكثر لطائفِ الحبِّ رهافةً، بدءاً بفكِ زر الصدف عند طرف الكمّ إلى فكِّ سيور حصن الشرفِ المنيع، المشدّ.

بدأت أدرك أن أمراً آخر يُعْوِزني: المخيّلة. أو في الأقلّ، ما أحتاجه منها. لم أسأل نفسي يوماً، حتّى تلك اللحظة بالذات، كيف كانت تتعرّى امرأة، في ذلك الزمن، أمام رجل يُعجبها. وأصبحتُ لا أهجسُ إلّا بتلك الصدريّات والمشدّات. وقرأت في أحد هذه الكتب قصة امرأة متزوجة كانت تذهب للقاءِ عشيقها، بين الساعة الرابعة والخامسة من بعد الظهر. ويبدو أن كافة النساء آنذاك كنَّ يذهبنَ في عرباتهنّ

لزيارة نساءٍ أخريات، لتناول الشاي والتظاهُرِ بالسلوكِ الحسن. وبين زيارتين كان ينبغي أن يلتقين عشّاقهنّ. وأحسب أن الأمرَ لم يكن يسيراً مع الجهدِ الذي ينبغي أن يبذلنه لنزع المشدِّ المحكم الرباط.

«تخيَّل يا عزيزي، كم مرّة في اليوم الواحد يتوجب عليَّ أن أُبَدِّل ثيابي. في الصباح أخلع غلالتي لأستَحِمّ. وهذه مرّة. ثمَّ أنزع عني ملابسي العادية لكي يعلم الخيّاط مقاس ثوبي الجديد، وهذه المَرَّة الثانية. بعد ذلك أُبَدِّل ثوبي لأرتدي فستان زيارات ما بعد الظهيرة، وهذه تكون المرَّة الثالثة، ثمَّ فستان حفل العشاء، وهذه الرابعة، ولكُلِّ أمْسِيَتَيْن أو ثلاث هناك حفلة راقصة، ما يجعلها خمسَ مراتٍ، ناهيكَ عن غلالة النوم، وتلكَ تكون التجربة السادسة. لذا قلتُ لفتايَ الجميل، إذا أردت أن تعرّيني للمرَّة السابعة، فلا بدَّ أن تعينني خادمة. والمشكلة ليست هنا فقط. فأنا أُحَذِّرك أنني لا أعرف كيف أصلح من تسريحة شعري، لذا أحتاجُ مزيناً، والأحرى أن يكون المزيّن دولونتريك، لكي يُفلح في ذلك. فما كان من فارسي الساحر إلا أن أكّد لي أنه لن يعبث بخصلةٍ واحدة من شعري، فأجبته قائلة: ألا يعنيه الأمر بمقدار ما يعنيني، ولمَ أراه واثقاً من استسلامي له دونما حراك؟».

سرت بي قشعريرة لمجرّد أن أتخيّل كم يتوجب عليَّ أن أتلوّى بردفي لكي أنزع عنّي كل هذا. والحقّ أنَّ هذه القراءات جعلتني ثائرة الأعصاب. ومن حين لآخر كنتُ أقضي ليلةً في نيويورك متذرّعة بأي شيء للخلاص من آمي وميلتون، وصدقاً، بلى، كنتُ أفعل ما لا أصرِّح به مع رجلٍ مميّزٍ، طويل القامة كُنْتُ ألتقيه. ولكنْ في الأغلب، كنتُ أشعر بأنني ثائرة الأعصاب. وليس مردّ ذلك فقط تلك القراءات خلال

الليل، ولكن أيضاً شعوري بأنني هنا، في كونيكتيكوت، ليس لديّ مَنْ أتجمّل لأجله وألقاه في الأمسيات. مُرهفٌ حقاً أن تقرأ كلَّ هذه الثرثرة عن الأناقة حين تكون وحيداً؛ كأنَّك ترتدي أجمل ما لديك ولكنْ فوق سطح القمر، أو في صحراء. وكنت أتوقُ لمغامرةٍ أخرى بفارغ الصبر، ولا أبالي كيف تكون. والمغامرة التي كنت أحياها آنذاك، وربَّما كانت لتصبح رائعة لو أتيح لها أن تكون، دونها المصاعب التي لا تُحصى. كان متزوجاً وربّ أسرة. وأقول إنَّه، تعريفاً، نوع من الرجال الذي قد يحيا في المأساة طوال عمره. وكان يُصدِّق أنَّ الأمور عادةً تجري على هذا النحو. ولا بدَّ أنَّ أُناساً من هذا الطراز لا تحرّكهم إلّا شحنات طائلة من المتفجّرات. وأرى أمثاله في زنزانةٍ يرون الشمسَ من وراء القضبان قائلين:

ـ أليس الحظُّ حليفنا؟ يا له من نهار جميل.

ـ خُذْ، تقول لأحدهم، هذا منشار، وعليكَ بتحطيم القضبان.

ـ آه! لا أدري، يقول، فمنشار كهذا قد يكون مصدراً للمتاعبِ هنا.

كنتُ إذاً ألتقيه منذ بعض الوقت، ذلك الرجل، حلم حياتي، ولكن دونما غبطة. كنّا نسير في نزهاتٍ طويلة في شتاءِ شوارع بروكلين، وكنّا نُعرِّج على المقاهي ونحتسي القهوة ولا تلتقي عين واحدنا عين الآخر. كنتُ أشعرُ بأنني أقفز من مرتفعٍ يجاوز ارتفاعه الخمسة وعشرين متراً لكي أغرق في كوبٍ من المياه، وكان يقول لي إنَّه، تقريباً، يشعرُ تقريباً كما أشعر. وللأسف، كان هذا كلَّ شيء بيننا. ساعة واحدة نقضيها معاً

في صالة الشاي ثمَّ يذهب راضياً مرضياً لقضاءِ أسبوعٍ كاملٍ لدى أسرته. فما كنتُ أدري إذاً، إنْ كنتُ في بداية قصة حبّ سوف تبرز الجانب الأرَقَّ من ذاتي، ومن أعماق أعماقِ ذاتي مُتحررةً من العقد والعقبات، وهو أمر لم أشعر به من قبل، أم، على الضدِّ من ذلك، سوف نُواصلُ تبادل النظرات إلى أن تَنْفَدَ أفلام المحلّ؟ وعندئذٍ سوفَ أؤمن، صدقاً، بأنَّ العالم سيتوقف عن الحركة إلى أن تُذَخَّر الكاميرا بفيلمٍ جديد.

كنتُ إذاً أنتظرُ حدثاً جديداً؛ وهذا بالضبط ما حصل لي ذات يوم أحد. فقد عُرض عليَّ ذلك المساء أن أصبح أميرة.

حدث ذلك يوم اصطحبني آمي وميلتون إلى دارة صديقيهما، غاردنر كولز المعروف بمايك وزوجته فلور، في وستون. وكان غاردنر صاحب مجلة *Look*، وزوجته رئيسة تحريرها. إنها ضربة حظّ! لطالما كنتُ أُسرّ لرؤية مايك كولز صاحب الوجه الإيرلندي الوردي والشعر الأبيض اللامع الذي يجعله فتيّاً.

كان من بين المدعوّين رجلٌ يدعى جورج شلي، بالغ الأناقة، أسمر، وشعره مدهونٌ ومُسَرَّح بعناية. كان يجلس هناك، ينتعل حذاءً إيطالياً دونَ جوارب. وهو أمر غير مألوف في حفل عشاءٍ رسمي! ولم أستطع طوال الوقت إلّا أن أُحَدِّق في كاحلَيْه. كان يرتدي قميصاً بدا لي أكثر شفافية من الهواء؛ وكان لا يُشارك فِي الأحاديث من حوله إلّا بعبارة مقتضبة وساخرة، ثمَّ يصمت. وأتى أحدهم على ذكر بروفيريو روبيروزا والمتاعب التي قد تُسبّبها له عشيقاته. فقال شلي: «متاعب الثروة» وعاد إلى صمته، (كان عليَّ أن أُصحّح خطأ الإملاء فيما بعد، ولكنْ قالت لي آمي، إن ما يعنيه قد يكون: «عليكِ باختيار حلواكِ، يا صغيرتي»).

وبأية حال، حين تلفَّظ جورج شلي بعبارته، استغرق الجميع في قهقهةٍ متواصلة، ولست أدري إذا كان الضاحكون يفهمون الفرنسية أم لا. ذلك أنه يجيد اختيار اللحظة المناسبة للكلام. وإنَّه لأمر مثير أن يقدر أحدٌ ما أن يُضحك الجميع لمُجَرَّد أنه موجود بينهم.

جورج شلي هذا كان أوروبيّ السلوك إلى أبعدِ حدّ؛ وعلمتُ أيضاً أنه صديق غريتا غاربو؛ إنَّها لطريقة غريبة في التعارف، حين تصل إلى ردهة الاستقبال فيُقال لك: «مرحباً...، (وتسمع فرقعة كعبين...)، أدعى شلي: صديق غاربو». سوى أنَّ مثل هذه الأمور ليست في حاجة لأن يُفصَح عنها. إذ تتكفَّل ألسنة الناس بذلك. شلي: صديق غاربو. وإرضاءً لغروري لاحظتُ أنه يُصرّ على أنْ يُدَلِّلَني. كان لا يكفّ عن التحديقِ بي كأنَّ لديه ما يَعرضه عليّ لكنَّه يتحرّج من المبادرة. وقد أثار تصرّفه هذا انتباهي فرحتُ أتعمّد إظهار الرشاقة في قامتي، وابتلعتُ معدتي لأخفي بطني المكوّرة، وأحاول أن أمُطَّ عنقي القصير ما استطعت. لم تُفارقني نظراته المتفحصة طيلة السهرة. حتَّى أنَّه لم يتكلّم إلّا لماماً؛ وراودني الشعور بأنني أسبح في بحرٍ من زيت الزيتون. إلى طاولة العشاء، جلس مايك كولز إلى جانبي.

ـ أسَمِعْتِ عن رجلٍ يُدعى أرسطو أوناسيس؟ سألني.

ـ أتقصد الرجل الذي يشتري اليخوت ويُقدِّمها هدية لماريا كالاس؟

ـ الأرجح أنه يستأجرها، أجابني كولز. ولكنْ مهما يكن من أمره، يمكن القول إنَّه ليس هناك من هو أوسع ثراءً من أرسطو أوناسيس.

ـ وليس هناك من هو أشدُّ فقراً من مارلين مونرو!

واستفاض مايك نيكولز في حديثه:

ـ إنَّ أوناسيس هذا يمتلك نصف مونتي كارلو، ولا تجري الأمور معه على خير ما يرام. فلديهم هناك أمير يُدعى رينيه، (Rainier)، يَتَحَدَّر من أسرة عريقة يعود تاريخها إلى ما يزيد عن الألف عام، غير أنَّها تحتاج اليوم لتجديد لافتة الكازينو.

كان يعلم أنَّه استأثر بانتباهي، فسكب في كأسينا مزيداً من النبيذ.

ـ وجورج شلي هذا، همس في أذني قائلاً، إنه نوع من الرجلِ الخارق الذي يَتَدَبَّر كافة أعمال أوناسيس. وللمصادفة علمتُ أن الأمير رينيه قد وصل إلى أميركا منذ يومين فقط. ويُقال إنَّه يودّ التعرُّف بنجمة سينمائية، فإذا سارت الأمور بينهما كما يشتهي، سيتزوجها. ويتولّى جورج اختيار المرشّحات للقاءِ الأمير. ويبدو لي أنه يتساءل الآن عمّا إذا كنتِ، أنتِ، إحدى المُرَشَّحات.

ـ ولكنْ، من المؤكّد أنَّني إحداهنَّ.

ثمَّ تداركتُ ما بدر منّي عفواً. وأحْسَسْتُ بأنَّ ما قُلْتُهُ مجرَّد وقاحة، فخجلتُ من نفسي. وابتسم كولز قبل أن يقول لي:

ـ ولكنْ يا مارلين، كيف لك أن تكوني واثقة من أن الأمير يودّ الزواج منك؟

ـ يا عزيزي، أجبته قائلة، وتلك عبارة لا أستخدمها إلّا في ما ندر، أمهلني يومين فقط بصحبته وسوف يرغبُ في الزواج مني.

وحين عُدنا إلى البيت، راحت آمي تدندن كلاماً مفاده أنني سأصبح أميرة، ثمَّ رحنا نرقصُ سوياً في صالة الاستقبال.

◆

رُحْتُ أقرأ كُتباً حول سيرة ماري أنطوانيت. كان شَعْرُها ذهبيّاً باهتاً؛ شُقرةٌ غَبْراء طبيعية، فأرسل السيِّد الملك ـ وكانت طريقتهم في تسمية الملك بـ«السيِّد» تَشْتَهْويني جدّاً ـ عيِّنةً من شعرها إلى فبركتي نسيجٍ ضخمتين في ليون لكي يُصار إلى إنتاج نوعٍ من الحرير الذي سيُسمّى «ذهبّياً باهتاً». وسرعان ما أصبح الجميع يريدون ارتداء هذا النوع من الحرير. فالكُلُّ يُريد أن يُماشي الموضة التي اختارها السيِّد، (الملك).

رحتُ أحلم بمونتي كارلو حيث سيُهرع الجميع لارتداءِ «الذهبيِّ الباهت» الذي يليقُ بالأميرة مارلين. وهنا تنبَّهتُ فجأة إلى أن شعر ماري أنطوانيت كان لونه طبيعياً. أمّا في حالتي، فينبغي السؤال: «من اختار الصبغة؟» وبدا لي الأمر سخيفاً.

لم تكن سيرة أنطوانيت على قدر كبير من الأهمية إذاً. فقد توفيت في مقتبل العمر، وهو الأمر الذي أحزنني دوماً. فلطالما كنتُ أشعر بالضعفِ حين أسمع شيئاً حول نساء جميلات يَمُتْنَ في مقتبل العمر. وعلاوةً على ذلك، لم تكن ماري أنطوانيت سوى فتاة واسعة الثراء لا تخفي مشاعر الغَيْرَة المحتدمة لديها. بعد ذلك قرأتُ أنها لم تكن عندها سوى أميرة وأن لويس الخامس عشر، وهو عَمُّ الرجل الذي

أصْبح زوجها، كان لا يزال ملكاً، وعشيقته السيِّدة دوباري كانت تجعل ضيوفها إلى حفل العشاء ينتظرون لساعات طويلة قبل أن تنتهي من ارتداء ملابسها. ثمَّ إنَّ المدعوة دوباري لم تكن لتتحرَّج على الإطلاق إذا جاء وزراء لويس الخامس عشر لزيارتها وكانت لا تزالُ مستلقية في سريرها. لا بل كانت تعمد أحياناً إلى النهوض من السرير والتجوال عاريةً تماماً أمام أعينهم الجاحظة ذهولاً. وكنتُ أدرك جيداً الظروف التي قد تجعلني أحذو حذوها. فأن يعرف الشعب ما يحظى به الملك يجعله يُدرك بأنه سيحتفظ بمحظيته لبعض الوقت.

كنتُ أراني في حجرة واسعة الأرجاء، هي ما يليقُ بأميرة، وقد شُيِّدت فوق صخرةٍ في مونتي كارلو. وعلى غرار الخَدَم في قصر دوباري، سيرتدي الخَدَم في دارتي خِلَعاً من القماش الأصْهَب المفضَّض. وقد يكون من بينهم أيضاً خَدَم من الزنوج يبلغ طول واحدهم ستّة أقدام يرتدون خِلَعاً من القماش الأخضر المذهّب، هذا لو شئت أن أحذو حذوها في كلِّ شيء. حتّى أنها كانت تستخدم زنجيّاً ليُدَلِّكَ جسمها، يرتدي خلعة من القماش الأزرق السماوي ويحمل عصا ذات تُفيحةٍ من ذهب. كانت تنفق مالَ الملك كمن فقد رشده. ويبلغ ثمن كلّ ثوب من أثوابها آلاف الدولارات، ومع ذلك كانت تأمر بأن يُفَصّل لها ثوب جديد كلّ يوم.

كانت ترفض أن تعتمر الشعر المستعار. ولذا، كانت ماري أنطوانيت، للمشاكسة، تعتمر منه أكثر التصفيفات علوّاً. حتّى أن والدتها كتبت لها ذات يوم من النمسا تقول: «إن تصفيفة شعرك،

(المستعار)، بلغت من العلوّ ٩٠ سنتيمتراً فوق شعرك الطبيعي وهي مزيّنة بالشرائط والأرياش! من المستحبّ أن يتبع المرء الموضة بشيء من التحفُّظ، دون أن يُفرطَ في إبرازها». لا بدَّ أن ماري تيريز كانت تشبه آمي في خِصالٍ كثيرة.

ومع ذلك، لقد أبدت ماري أنطوانيت مقداراً من الشجاعة حين اقتيدت إلى المقصلة، أمّا المدعوّة دوباري فلم تكفّ عن الصراخ والنحيب إلى أن قُطع رأسها.

ـ أوّاهِ، كانت تقول، أنقذوا حياتي وسأهب الشعب كلَّ ما أملكه.

ـ كلّ ما تملكينه؟ كانت تجيبها الحشود؛ أنتِ لا تهبيننا إلّا ما هو لنا في الأصل!

لم أكن أعرف جيّداً إلى أي جانبٍ أقفُ في مثل تلك الحال. لقد أحببتُ طريقة دوباري الجريئة في التجوال عارية شعثاء أمام أعين وزراء الملك، ولكن أن ترتدي كلَّ يوم فستاناً ثمنه عشرة آلاف دولار، فلا بدَّ عندها أن أكون إلى جانب الشعب. ولكن، في الحقيقة، لم أكن واثقةً جدّاً مما أقول...

أحْسَبُ أنَّ المرأة التي مِلْتُ إليها أكثر من سواها، هي السيِّدة بومبادور. لقد كانت أولى عشيقات لويس الخامس عشر، وقبل أن يعشق دوباري بوقتٍ طويل. كانت داهية، وما كان شيء ليعيقها لولا أن الهَرَمَ سرعان ما بدا عليها حتّى أن الملك كان يبدو أصغر سنّاً منها، ولولا أنها كانت تكره الجنس، وتؤثر المحادثة. وعلى الرغم من ذلك، حاولت أن تجعل الملك سعيداً بتناولها عدداً

لا يُحصى من المُنَشِّطات الجنسية. كانت تتناول الشوكولاته بالڤانيليا مع الفطور، وأنواع الحساء المُطَيَّبَة بالأفاويه والكماءة مع طعام الغداء؛ أما طعام عشائها فكان يشتمل على أنواع المحار والسرطان البحريّ والأرضي شوكي والسّلاحف، بالإضافة إلى اليخنات الكثيرة التوابل ومزيدٍ من الكماءة. وبعد ذلك كان لويس الخامس عشر يضاجعها.

حين قرأتُ كلَّ هذا، رحت أسأل في سرّي: ماذا لو أن رينيه لم يعجبني. هل يكون مصيري أن أنصرف إلى قراءة الأعمال الفلسفية والتهام أطعمة غنيّة بالمغذّيات، الآن وقد أدركتُ ما الفائدة منها. وهل أني، خلال المضاجعة، لن أكفَّ عن السؤال في سرّي: «هل سيؤدي كلُّ هذا إلى ولادة وريث للعرش، أم أنه جهد سيذهب أدراج الرياح؟». إنَّ السرّ الفظيع الذي لم أبح به لأحدٍ من قبل، هو أنني كلّما عافت نفسي المضاجعة وشعرتُ بالحزن العميق لأنَّ ثمّة فوقي من يتلوّى شهوةً، كانت تستبدّ بي رغبة جامحة وحيدة، وهي أنْ أفسوَ. «أرجو المعذرة، يا سيّدي الطيّب لهذه الروائح الكريهة، غير أني لستُ سوى فتاة مسكينة، ولا حيلة لي في احتياجات الطبيعة؟».

بأية حال، كنّا، في الأيام التالية، غالباً ما نتحادث بشأن رينيه. بالطبع كُنّا نسميه «العنكبوت» وكانت آمي تستغرقُ في الضحكِ حتى تغرورق عيناها بالدموع، وتبرقان كنجمتين. حتّى أنني قلتُ لها كم أراهما جميلتين:

ـ عيناي أنا، كنجمتين؟ قالت. لا بُدَّ أنّك فقدتِ صوابك، يا صغيرتي. عيناكِ أنتِ هما النجمتان.

كنّا في غرفتها، نتبادل أطراف الحديث، وكانت تمسك مرآة صغيرة بيدها، وقرّبتها من وجهي. فلم أُصَدِّق ما رأيت: كانت عيناي برّاقتين. وأحسب أنّني لم أبْدُ في حياتي كلّها على هذا القدر من السعادة. كنتُ فاتنةً حقّاً، ومشرقة؛ حتّى لقد شعرتُ، أنا نفسي، أنّني بذلك كنتُ على أحسنِ حال. فتلكَ كانت المرّة الأولى التي اقتنعت فيها بالفعل أنَّ باستطاعة الناس أن يحبّوني.

ولكن سرعان ما أدركت أنَّ هذا الجانب من شخصيتي لا يعرفه الناسُ، وأنّه أمر مؤسف حقّاً. فالسّواد الأعظم من الجمهور يراني على صورة بغيّ مكّارة كما رآها في «نياغرا» و «حوّاء»، أو حتى في «غابة الأسفلت»، على غرار لانا ترنر، (Lana Turner)، ولكنْ بدوافع شرّيرة، وها أنذا أراني في المرآة أشبه بزوجةٍ شابة أو أشبه بصبيّة صغيرة في صورة تذكارية لرفاق المدرسة الثانوية. وأقول في سرّي: «إنه لمؤسف حقاً أنْ لا يراني الناس على الشاشة الصغيرة بمثلِ هذا المظهر»، وكانت تلك إحدى المرات القليلة التي يراودني فيها مثل هذا الشعور، لأنَّ فكرة الظهور على الشاشة الصغيرة، كانت في الإجمال، تُرْعبني. وذلك بسبب الخمسين مليون مشاهد الذين يُحَدِّقون فيكَ في وقتٍ واحد، ويُعرّونك من ثيابك. لقد كنتُ واثقة أنَّ الظهور على شاشة التلفزيون يُوَلِّد لديَّ شعوراً مماثلاً لما شعرتُ به في السادسة من عمري، حين ضغط الطبيب بأداته الخشبية على لساني وطلب مني أن أقول: «آه». والأرجح أن التلفزيون لن يكون أكثر من تجربة مهينة مثلَ الذهابِ إلى المستشفى. «أيها الطبيب المناوب، هلّا ألقيت نظرةً على هذه الغدّة الدرقية الملتهبة التي جاءت بها مريضتنا

اليوم؟» وكنتُ أتخيَّل أنَّ المرء حين يموت لا بدَّ أن يمرَّ بما يُشبه ردهة الانتظار حيث ينتظر لبعض الوقت. كانت إذاً تجربة مرعبة أن أفكِّر بالظهور على شاشة التلفزيون. ومع ذلك، كنتُ حينها أجلسُ على سرير آمي، وأقول في سرّي إن الجمهور ينبغي أن يعرف كيف أبدو على الشاشة الصغيرة.

◆

طبعاً، ما إنْ يستفيق طموحي حتّى أشعر دوماً كأنَّ مضخَّة تعمل بأقصى طاقتها في القبو، ناهيكَ عن عملها الهادر في أحشائي. ثمَّ غالباً ما لفتني أنني حين يستغرقني أمرٌ ما، يحذو الآخرون حذوي. كأنَّني أستدرجهم إلى ذلك. وبالفعل، راح ميلتون يحادثنا عن برنامج إدوارد ر. مورّو، (Edward R. Murrow)، التلفزيوني «شخصيّ جداً»، وقال إنّه ربَّما كان علينا أن نشترك في إحدى حلقاته. وفاجأني كلامه. ذلك أن ميلتون لم يكفّ لحظة واحدة، من قبل، عن القول تكراراً: «التلفزيون ليس لكِ يا مارلين، إنه ليسَ مجال عملك».

كنتُ أعلمُ أنَّه يبدي اهتماماً بهذا البرنامج لسبب خاص: فالواقع أنَّ آمي كانت مُغْرَمة بالسيّد مورّو. وكانت هي من أتى على ذكره أمامي للمرَّة الأولى حين قالت ذات يوم:

ـ أنظري إلى إدوارد ر. مورّو هذا. إنه فاتن حقاً!

وما كنت أدري من قبل، حتّى من يكون. وهذا يوضح لكم علاقتي

بالتلفزيون. فإذا أشعله آخرون، أكاد لا أتفرّج عليه إلّا لماماً، والحال أن جو د. كان يجلس لساعات أمام شاشته حتّى أشعر، في لحظةٍ ما، بأنّني أكره رقبته المتصلّبة دون حراك. لم أسمع إذاً من قبل عن شخص يُدعى مورّو. وبإمكاني أيضاً الاعتراف أنني في ذلك الوقت كنتُ قد سمعتُ للتوّ عن شخص يُدعى جو مكّارثي. وبلغ جهلي بالسياسة حدّاً ظننتُ معه أن المذكور لا بدّ أن يكون أحد أقارب كيڤن مكّارثي، الممثّل. ولكي أخفي سذاجتي سألتُ آمي:

ـ ما الذي يستهويكِ في السيّد مورّو؟

ـ له وجه رائع، أجابت قائلةً مثل راهبة وقد أشرق وجهها عند سماعها اسم مُحْسِنٍ كبير. هذا الرجل يجب أن يكون رئيس الولايات المتحّدة.

بعد ذلك بأيام قليلة، قال لي ميلتون:

ـ للمناسبة، ألا تعلمين؟ إنَّ مُعِدِّي برنامج «شخصي جدّاً» يودّون إجراء مقابلة معنا، أنتِ وآمي وأنا؟

لم أدْرِ إذا كان هو الذي اتصل بهم لهذا الغرض، أم أنهم، لحُسْنِ المصادفة، هم الذين بادروا إلى الاتصال به، غير أن الطلب جاء في صيغة عرض. فقد كان الجميعُ يريدون أن يعرفوا المزيد عنّي، خصوصاً بعد أن هَجَرْتُ هوليود للعمل مع منتج شاب مجهول. وبالطبع، كانت الحقيقة أكثر تعقيداً، ذلك أنَّ مُحامي ميلتون كانوا منهمكين بإنجاز عقدٍ لأربعةِ أفلام مع شركة فوكس يتمّ تصويرها بالتناوبِ مع الأفلام التي سأصوّرها من إنتاج مارلين مونرو. والحقيقة

أنَّه كان يتوجّب علي أن أقضي السنوات العشر المقبلة في ذهابٍ وإيابٍ متواصل من هوليود وإليها، غير أن أحداً لا يعلم بهذا الأمر. فكلّ ما يعرفه الجمهور هو أنَّني نجمة السينما الوحيدة التي غادرت إلى الساحل الشرقي، وهذا ما أثار اهتمام التلفزيون.

كنتُ دائماً أرفض أي مقابلة للتلفزيون، ولكن هذه المرَّة، قَبلت. وربَّما كان السبب في ذلك البهجة التي سأراها على وجه آمي حين أقول لها: «ستحظين أخيراً بفرصة التعرُّف بنجمك التلفزيوني المُفَضَّل، إدوارد ر. مورّو».

ولكن بعد أن أبديت موافقتي، علمتُ أننا لن نكون في الحجرة نفسها إلى جانب السيِّد مورّو، ولن يُتاح لنا حتى أن نلتقيه. فهو سيمكث في أحد الاستديوهات في نيويورك، بينما يحضر فريق تصوير لإجراء المقابلة في كونيكتيكوت. وسيعمل فريق آخر على تحويل دارة آل غرين إلى استديو؛ فمن عادة مورّو أن يُصَوِّر برنامجه على هذا النحو. يمكثُ جالساً على كنبةٍ خاصة به ويتصل بالناس في كافة أرجاء العالم. «طق طق. هنا العنكبوت. هل تسمعني جيّداً؟».

ما كنتُ أجهله هو العمل الشاق الذي يقتضيه إنجاز كل حلقة من هذا البرنامج. فمن يشاهده يحسب أن مورّو لا يفعل شيئاً: فقط يرفع سمّاعة هاتفه ويجد أن الناس الذين يودُّ مكالمتهم ينتظرون أسئلته للشروع في الكلامِ. إذ لا يرى المشاهد سوى كاميرا واحدة، بين الحين والآخر، تقوم بالتصوير. أمّا نحن، وكنّا نرى الأمور من الداخل، فقد بدا لنا أن نيويورك أعلنت الحرب على دارة ميلتون. فقبل موعد بث الحلقة بأسبوع كامل، كان فريق العمل يُعِدّ الترتيبات التقنية

اللازمة، حتى أنه عمد إلى نَصْبِ برج معدني فوق التلّة التي تقع على الجهة المقابلة من الحديقة.

ـ لِمَ يُستخدم هذا الشيء؟ سألت.

ـ إنه هوائي؟ أجابني أحدهم.

كانت تلك الوسيلة الوحيدة للبَثّ من كونيكتيكوت إلى نيويورك. وأوضح لي بعضهم أنَّ ارتفاعه يبلغ خمسةً وأربعين متراً، أي ما يُعادل ارتفاع مبنى مؤلف من خمس عشرة طبقة. فشعرتُ برعشة الدوار. ذلك أنَّ الأماكن المرتفعة تجعلني دائماً في مزاجٍ غريب. ذات يوم حين كنتُ أصغر سنّاً، عبرتُ أحد الجسور سيراً على الأقدام، وفجأة راودتني رغبة في أن أقفز عنه. ليسَ لأنني كنتُ أريد أن أموت، بل لأنَّ مثل هذه الفعلة بدت لي أمارة جرأة. وهنا، كلَّما مررتُ بمحاذاة البرج، كنتُ أشعر برغبةٍ في أن أتسلقه إلى قمته. أو الأحرى أن نقول إنَّ إحدى الشخصيّتَيْن الكامنتَيْن فيَّ كانت تودُّ ذلك. أما الشخصية الأخرى فينتابها الفزع إلى أن تسري رعدة في أوصالي وأشعر بارتفاع في حرارتي. لقد كان هذا النصب يفسد عليَّ نزهتي. لقد بدأ الثلجُ يذوب في الأحراش المجاورة، ولاحظت أنه أصبح بالإمكان رؤية الأوراق المتساقطة منذ الخريف المنصرم. كانت لها رائحة غريبة. ليست مُنعشة حقاً، غير أنَّها تروي ما لا يُحصى من الحكايات. كأنه سرير ينام فيه الزوج إلى جانب زوجته كلّ ليلة. «لقد مضت عليّ شهورٌ طوال وأنا أحيا لصقَ التراب، كانت تقول كلّ وريقة؛ فربما أكون قد تعلَّمتُ الكثير عن أُمّنا الأرض، وربَّما أكثر مما ينبغي أن أعلم». لقد كانت رائحة حميمة. وأدركتُ عندها ماذا يعني أن يُدْفَنَ

المرء في التراب. ولم يَبْدُ لي الأمر على قدرٍ كبيرٍ من الفظاعة.

كنتُ أعشق إذاً أن أسير بين أوراق الشجر المتساقطة، غير أن فكرة الظهور على شاشة التلفزيون القومي كانت تدفعني دائماً إلى التفكير في الثلج المتجمّد. كم كنتُ أشعر بالرعب. وكلّ يوم أرى البرج يزداد ارتفاعاً.

ثمَّ وسط كلِّ هذه التحضيرات، كان عليَّ أن أذهب إلى نيويورك لأمتطي فيلاً زهريّاً. فقد عَمَد مايك تود، الذي كان يستعدّ لتصوير «رحلة حول العالم في ثمانين يوماً»، إلى سؤال ميلتون عمّا إذا كنتُ أوافق على امتطاء ذلك الفيل الصغير في سيرك «مايسون سكوار غاردن» إسهاماً مني في حفلٍ خيري. وبدت لي الفكرة طريفة، كما استهوت ميلتون، فقصدنا مشغل خياط وابتعتُ صدرية وتنّورة راقصةٍ من القماش الأسود. وقال لي إنني حين أرتدي هذه الملابس أبدو كراقصةٍ مبتدئة، أو هذا على الأقل ما حسبتُ أنني سمعته إلى أن علمت فيما بعد أنه يقصد بقوله الرسام ديغا، (Degas)، الذي طالما لفظت اسمه على أنه «دوغاس». كم يبدو الأمر مُحرجاً أحياناً حين يكون المرءُ ذا ثقافة محدودة.

واكتشفتُ أن الفيل كان صديقاً ودوداً. إنه فيل صغير طُليَ باللون الزهري بواسطة رشاش طلاء. وكان يعلم أن هذا اللون يجعله غريباً بعض الشيء فراح يحكُّ رأسَه على يدي بمزيجٍ من البَلَهِ والمكر. وأدركتُ أنه يُحِبّ الملاطفة على غرار جوش غرين - طفل له سنة واحدة من العمر كنتُ أحبّه كثيراً - فقد كان جوش يثيرُ فيَّ أحاسيس جميلة - وكان ذلك الفيل الزهري يُشبه جوش بهذا المعنى، لا يُعْوِزه

الدهاء: ولكنَّ المشكلة أنه لا يقدر على الكلام! لقد شعرت بغبطة صادقةٍ لا توصف وأنا أمتطي الفيل الصغير الذي سار بي أمام الجمهور الحاشد الذي ضجّ بالهتافِ والتصفيق: فمهما قيلَ ويقال، لا شيء يُضاهي شعور الواحد منّا بأنّه قِبلة أنظار الجميع. كنتُ طيلة العرض أشعر بأنني أعشق ذلك الفيل. وحين أصبحنا أخيراً وراء الكواليس وانتهى المصوّرون من التقاط صورهم أدركتُ أن ذلك الإحساس بالهناء الذي يَنْضَحُ من رفيقي الزهري الهائل الحجم مماثل للإحساس الذي قد يتولَّد من رؤية طفل سعيد: «أوتعلم، كأن جلده كان يقول، إنه أمر ممتع حقاً».

ولكنْ، ذاك المساء، فور عودتنا إلى كونيكتيكوت أحسست بغصّةٍ في القلب، خصوصاً حين مررتُ بمحاذاة البرج الذي زاد ارتفاعه طبقتين أثناء غيابنا، والأدهى أنني دخلت في فترة الحيض، وأقول الأدهى لأن فترة حيضي هي مثابة كارثة قومية. ولو كنت أوَّل امرأة تتولّى رئاسة الولايات المتحدة لعمدت إلى استدعاء الصليب الأحمر. فثمة أحيان أشعر فيها بأن لحظات السعادة الغامرة التي قد أحياها، ستعقبها آلام مبرحة بالتأكيد. وفي مثل هذه الأحوال يتراءى لي أنني أصبحتُ من الداخلِ نصفين، ونصفُ جسدي يلتهمُ نصفه الآخر. تنتابني حالات فظيعة من الصداع النصفي والتقيؤ. وأحياناً لا أتمالك نفسي عن الصراخ ألماً.

سمعت آمي صراخي. حتّى في ركنها المنعزِل، في مخزن الحبوب الذي أصبحَ استديو عمل، تناهى إليها صراخي وهرعت إلى غرفتي قُبيل الفجر.

ـ يا إلهي، إنَّكِ تتألمين بشدّة، قالت. منذ الصباح الباكر سأصطحبك إلى عيادة الطبيب النسائي.

ـ ليُعطيني أقراصاً مُسَكِّنة؟

ـ قد يفعل.

ـ ألا تنتابك أوجاع مماثلة؟ سألتها وأنا أصرخ. كم أودّ أن أضرب الحائطَ برأسي.

ـ آه! لا، لا تنتابني مثل هذه الأوجاع على الإطلاق، قالت آمي. ورأيتُ في عينيها نظرةَ استهجان وحيرة. فبالنسبة لها، هذه الأوجاع ليست سوى عبث خالص. فهي طِوال فترة الحيض تمارس السباحة وركوب الخيل، ولا يتبدَّل شيء في مسار حياتها اليومية، كأنَّ تأثير ذلك عليها لا يتعدّى ما يفرضه واحدنا من التأني في السير حين يلوي كاحليه. أمّا أنا فأشعر في هذه الحال وكأنني جريحة تُرِكَت لمصيرها في ساحة معركة.

عند الصباح، أعطاني الطبيب أقراصاً مُسَكِّنة جعلتني واهنةً لا قدرة لي على الحراك، مثل يُسروع تحت حجرٍ ثقيل. ثمَّ جاءت آمي وجرت بيننا محادثة قصيرة.

ـ يا صغيرتي، سأكون صريحة معك، قالت. لقد سألت الطبيب إذا كان منشأ هذه الأوجاع سيكولوجياً، وأجابني بالنفي، وقال إنَّ رحمك مليء بالأنسجة القُرْحية. وسألني كم عملية إجهاض أجريتِ، فأجبته بأنني لا أدري.

ـ اثنتي عشرة عملية، أجبتها.

ـ بحقِّ السماء! لا بدَّ أن أحشاءَكِ ممزَّقة.

ـ إنّها أشبه بالمِزَقِ البالية.

ـ ماذا كنت تفعلين، أتحبلين كلَّ شهر؟

ـ لندع هذا الحديث جانباً، وإلّا عاودتني الأوجاع.

ـ ألا تدركين أن أوجاع الحيض المبرحة لها صلة ما بعمليات الإجهاض التي أجريتها؟ (وهزّت آمي رأسها آسفةً).

ـ ربَّما، قلت لها، ولكنّ الأمر لم يستوقفني. ويبدو لي أن الأوجاع تزداد حدَّة عاماً بعد عام.

وما قلته لها لم يكن سوى بعض الحقيقة وليس الحقيقة كلّها. فمنذ سنواتٍ طويلة، وكلَّما أجريت عملية إجهاض، كنت أصاب بأحد تلك الانهيارات العصبية التي نتساءل خلالها عمّا إذا كنّا سنبرأ منها ذات يوم. فلا أستطيع عندها إلاّ أن أفكِّر في الطفل الذي كنت سأرزق به، وكم كنت لأدلّله لو احتفظتُ به. فهو، على الأقل، سيعرف أمّه...

◆

في انتظار بثّ برنامج مورّو، كنتُ لا أزال تحت تأثير الأقراص المُسكِّنة والمهدئات. ولولا المشقّة التي بذلوها لنصب البرج لكنتُ عدوتُ هاربة. ولكنّهم شيَّدوا هذا الشيء المخيف، ورحتُ أفكِّر في أولئك العاملين الذين خاطروا بحياتهم لكي ينجح الفريق في بثّ البرنامج إلى نيويورك، وأن ينقل عني صورة النجمة المبتسمة والمحادِثة.

إلى ذلك، كان يومُ البث يومَ الجمعة العظيمة. فالمطلوبُ مني إذاً أن أتوجه بالكلام إلى أميركا بأسرها يوم الجمعة العظيمة!

ـ ماذا أرتدي للمناسبة؟ سألتُ آمي.

ـ نحن في الريف، لذا لا بأس إذا ارتديتِ صدرية الصوف الجميلة ذات الياقة.

كانت آمي تقصد الصدريّة مقاس ٣٨، غير أنني صمّمتُ على ارتداء الأخرى، مقاس ٣٤. وللمصادفة العجيبة، كنتُ قد قرأتُ في صباح اليوم نفسه مقالة لصحافي من الدرجة العاشرة في هوليود مِمَّن يصرفون أوقاتهم في اغتيابِ الناس، جاء فيها: «الحصاد الجديد للفتيات اللواتي يرتدين صدرية الصوف. ومارلين مونرو، مثالهنّ الذي يتبادر إلى الذهن فوراً، لا تبلغ، مهما علا كعبها، مستوى كاحل، أقصد حمّالة نهدين لأنّا ترنر». ها ها! قلتُ في سرّي، إذاً سوف يرون. فنهداي هما اللذان سيُشرقان هذه الليلة، وليس عيناي.

بالطبع، اختارت آمي أن ترتدي قميصاً أزرق من القطن المُخَطَّط وقد زرَّرت ياقتها وثَنَت كُمَّيْها إلى أعلى المرفق. «بأية حال، قالت، هذا ما سأرتديه الليلة». والحقيقة أنها لا تحتاج إلى أكثر من ذلك، إذ يكفي أن ترفع شعرها مصفّفاً في كُعَيْكَة حتَّى تبدو جاهزةً لحضور حفل عشاء راقص، دون الالتفاتِ إلى ملابسها. تُرى بِمَ تشعر المرأة حين تكون ملامحها رقيقة ومتناسقة مثل ملامحها؟

عند العاشرة تماماً من صباح ذلك اليوم، وصلت شاحنة مُحَمّلة بأطنان من المعدّات ونحو ثلاثين شخصاً ضاقت بهم أرجاء المنزل،

حاملين معهم شرائط الوصل ومعدات الإضاءة والكاميرات. أيقظوني بجلبتهم. فنهضتُ ونزلتُ إلى الطبقة الأرضيّة، فبدا لي الأستديو أشبه بمستنقع تطفو على سطح مياهه الراكدة ألياف سوداء متشابكة. كان كيتي وكلايد، الزوجان اللذان يعملان لدى آمي، منهمكين في توزيع أكواب القهوة على الجميع. ولم أكن لأُصدِّق أن آمي ستدعو هؤلاء جميعاً إلى طعام الغداء، وإلّا، فلا بدَّ إذاً، أنها مثلي تحمل في داخلها تلك المضخّة التي تعمل بأقصى طاقتها، والفارق الوحيد أن مضخّتها تعمل لتدبير أمور المنزل.

لم أدرك جيداً لِمَ ينهمك الجميع في ورشة عمل مثل هذه منذ الصباح. فالبثّ لن يبدأ قبل الثامنة ليلاً ولم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والنصف. ولكنْ قيلَ لي إنه ينبغي أن نكون جميعاً في الأستديو عند الثانية عشرة ظهراً. فسوف يعملون على بثٍّ صورة تجريبية إلى الـ C. B. S لكي يُتاح للسيِّد مورّو أن يرى استعداداتنا.

لم ألبث أن سمعت صوته يرنّ في أذني. كان الصوتُ ينبثق من مُكبِّر ثُبِّتَ في مكان ما، وخيِّل إلي أنه يتناهى إلينا من السقف، كأنَّ اللّه يتنحنح استعداداً لمخاطبتنا. «كيف حالكم جميعاً؟» قال الصوت. كنتُ على وشكِ التخلّي عن كلِّ هذا. «لو سمحتَ يا سيّد، هل أستطيع أن أغادر؟» ولكنّ آمي، بكلِّ ما تتمتّع به من تلقائية في التعامل مع الآخرين، أجابت مخاطبة مكبِّر الصوت: «يا إد، إنَّه الأستديو خاصتنا». بدا الأمر مضحكاً. إذ لم يكن لدينا جهاز نستطيع أن نراه من خلاله؛ كنا نسمع صوته فقط. أمّا هو فكان يرانا عبر شاشته الصغيرة.

ـ هل وصلتكم هديّتي؟ سأل السيد مورّو.

لم نستلم أيَّة هدية. وراح اثنان من مدراء المسرح يصيحان:

ـ هل تمَّ تسليم هديَّة السيد مورّو؟

ـ لقد استلمنا شيئاً ما، بالفعل. صاحت كيتي من داخل المطبخ.

كانت عبارة عن شجيرة غاردينيا كبيرة، يبلغ ارتفاعها متراً، وكثافتها المتر ونصف المتر. فهلّلت آمي ابتهاجاً.

ـ غاردينيا، إني أعبد الغاردينيا، أعبدها؛ كانت لا تكفُّ عن القول. (أما ميلتون فقال هامساً: «إنها تمقتها»).

أما أنا، فقد كانت هدية السيد مورّو لي عبارة عن ثلاث دزينات من الورود. واكتفى بإلقاءِ التحية على ميلتون بمثابة هدية. فلا بدّ أنه يظن، في قرارة نفسه، أن ما فعله لأجله ليس بالقليل.

ـ شكراً لك يا سيّدي الرئيس للورود التي أرسلتها، قلتُ للسيد مورّو، لكنّه تظاهر بأنّه لم يسمع.

في تلك الأثناء كان ميلتون يطرح كثيراً من الأسئلة.

ـ كيف تبدو لك مارلين؟ كان يسأل باستمرار.

ـ رائعة، أجاب مورّو.

ـ يا إد، إذا كان الأمر لا يزعجك، فإني أودّ أن أذهب إلى الشاحنة للتثبُّتِ من هذا الأمر على شاشة المراقبة. كنّا جميعاً نتكلّم عبر مذياع مُشَعَّب الخطوط، لذلك ما إن وصل ميلتون إلى الشاحنة، حتى سمعته يقول:

- يا إدْ، هناك أمر لا يعجبني في صورة مارلين، فثمة بقعة من الضوء على أنفها.

- هناك ماذا؟ سأل مورّو. وبعد هنيهات سُمِحَ لميلتون بأن يُبدِّل الإضاءة وأن يضبطها كما يجب. وقد تكبَّد مشقة كبيرة قبل أن يُفلح في إزالة بقعة الضوءِ عن منخري.

كنتُ أطمعُ بقسط من الراحة في فترة ما بعد الظهر، ولكنَّ مأدبة الغداء التي أُقيمت لطاقم التلفزيون وأعدَّها كلايد وكيتي، قد حالت دون ذلك. غداء مؤلف من كبد الدجاج المفروم، وأطنان من القهوة وقطعة عملاقة من الجامبون المطبوخ والجبنة؛ هذا بالإضافة إلى متطلبات رعاية جوش والكلاب. ثمَّ إن ميلتون بدا مشدود الأعصاب. فقد قال مورّو عبر مكبِّر الصوت: «للمناسبة، لقد حاول داريل زانوك أن يتَّصل بي. ولا أدري لماذا». أنا أعرف الأسباب التي دفعته إلى الاتصال. أما ميلتون فقد أمضى فترة ما بعد الظهر وهو يحاول الاتصال بمحاميه لأن زانوك كان يُهَدِّد بمقاضاة الـ C. B. S إذا ما أجريت المقابلة التلفزيونية معي. وقد تواصلت هذه المناقشة طيلة الساعات المتبقية من النهار. ومن شهد الحال السائدة آنذاك حسب أنها جمهرة من النمل الأحمر تنغل في صندوق زاد.

نحو الرابعة عصراً، وقبل قليل من جلسة الماكياج استعداداً للتصوير، كنتُ عصبية المزاج، حتّى أن ميلتون قال لي: «هيّا، لنقم بجولة قصيرة في الجوار». واصطحبني على دراجته النارية الإيطالية الصغيرة، وبعد أن تجاوزنا منعطفين بأقصى سرعة، زال عني قلقي بشأن داريل زانوك الذي أراه واقفاً أمامي وهو يمضغ عقب سيكاره. كنت أتشبَّثُ بخصر

ميلتون من الجانبين، تعاودني ذكريات جولات سابقة على الدراجة النارية برفقةِ شبّان آخرين وأسأل في سرّي عمّا إذا كانت آمي تدركُ كم أني أعشق زوجها في تلك اللحظة بالذات. وفي حال أنها تدرك ذلك، فلا بدّ أن تكون امرأة متميّزة بالفعل. وفطنتُ عندها لعباراتٍ كنتُ قرأتها في أحد كتبها: «حَريٌّ بكِ أن تُخفي حبّك لزوجك، كان يقول شخصٌ يُدعى الدوق دو شوازول، ذلك أن الحبّ الزوجي هو الأمر الوحيد الذي لا يُحتمل». أولاً، إنها هوليود مجدّداً، قلتُ في سرّي، ورحتُ أهزُّ كتفي بلا مبالاة حين فكّرت أنني أعشق السيّد سيناترا أيضاً، أو بأية حال حين أراه، وأعشق جو د. قليلاً، وهذا أمر ما زال ممكناً، وكذلك الأمر إدوارد، الرجل الذي أحببته فيما مضى والذي أخفيت عنه عمليات الإجهاض الثلاث التي أجريتها، ذلك أنّه كان يرى أنني لستُ أهلاً لأن أصبح أم أولاده. ومما لا شك فيه أن مثل هذه الذكريات هي أفضل ما قد يخطر ببال لتدمع عيناك حتى ولو كنت تقوم بجولة على دراجة نارية. ثمّ فكّرت بالرجل الذي كنتُ أحبّه بالتأكيد، أي السيد آرثر ميلر المقيم في بروكلين، والذي أحبّه بالتأكيد أكثر مما أحبّ أمير موناكو، ولا أدري لمَ أحسستُ أنني أفضل حالاً. فما من شيء قد يُزيل سيماء الكرب أكثر من انفعالٍ حادّ كمثل الذي استبدّ بي عندها.

استعداداً للبرنامج وضعتُ الماكياج المعتاد للعمل. كثير من الفوندوتان السائل، ثمّ من الفوندوتان المرهمي، وفوقهما البودرة، وبعد ذلك أضفتُ لوناً داكناً إلى زغبِ حاجبيَّ الداكن أصلاً. كنتُ، بشعري المُصَفَّفِ إلى أعلى في خصلات حَلَقية، أشبَهُ بامرأةٍ من طبقة النبلاء

الفرنسية التي قرأت عنها كثيراً، أشبه بملاك وجد نفسه، بمحض المصادفة، يعمل كخليلة لأحد الأثرياء. حتّى أني غمّقتُ الشامة عند طرفِ شفتيَّ تَشَبُّهاً بالنساء، في زمن السيدة لابومبادور، اللواتي كنَّ يأتين بقطعٍ صغيرة جداً من المخمل الأسود ويلصقنها على بشرتهنّ بمثابة شامات. شامة اصطناعية، وتحت الطلب! كنّ يضعنها عند طرف العين إذا أردن أن يُظهرنَ أنهنّ قادرات على القتل، أو عند ثنية الخدّ إذا أردن أن يُظهرن أنهّن ليّنات العريكة تسهل معاشرتهن. أمّا أكثرهنَّ غنجاً فكنَّ يضعنها لصق مبسم الشفتين، مثلي تماماً. كُنَّ يستخدمن كافة الأشكال في قَصِّ هذه القطع: قلوب، أهلّة، مذنَّبات ونجوم. وكنَّ يُطلقن عليها اسم «ذباب الحليب». وأذكر جيداً كيف تُكْتَب. في تلك اللحظة عادت آمي من جلسة الماكياج، وبَدَت لي مسخاً طُلِيَ وجهه بالمساحيق. كأنها طليت بالمسجّة أو فرشاة الدهان.

- كيف أبدو؟ سألت.

- شنيعة.

وطلبت منها أن تُصلح هذه الفظاعة بطريقة كنتُ تعلّمتها خلال مهنتي الشاقّة. فأمسكتُ بقطيلة قطن بللتها بسائلِ التطرية ثمَّ عصرتها بيدي ورحتُ أمسحُ بها على وجه آمي برفق وأناة، مزيلةً طبقات المساحيق الزائدة إلى أن استعاد وجهها اللون الذي أرى أنه ينبغي أن يكون عليه.

- بهذه الطريقة، قلتُ لها مُفَسِّرةً، يُصبحُ الوجه مُشرقاً.

بعد ذلك لمْ يبق سوى الانتظار. وأصبح الأمر كلّه يبدو لي أشبه

باستعدادات جارية لتنفيذ حكم إعدام. ما الذي دهاني فأنهمك طوال النهار لكي أضع نفسي في موقف لا يُطاق مثل هذا وسيتيح لخمسين مليون مشاهد أن يُطلقوا أحكامهم عليّ. وهؤلاء جميعهم من ذوي الريبة. «اجلبوها: إنها مذنبة». وكانت لا تفارق مخيّلتي صورة هذا العدد من النساء السمينات في البلدات الصغيرة النائية. أجسام ضخمة وعقول صغيرة.

عندما بدأ البثُّ المباشر، كانت يداي مُتَعَرِّقتين. أما ميلتون فكان يبدو كمن ابتلع علكةً علقت في حلقه وأنَّه لن يستطيع أن يجعل أوتاره الصوتية تهتزُّ ولو بصوتٍ واحد. وأدركت كم تدعو حاله إلى الشفقة، فمتى يعاني واحدنا التأتأة في صغره، قد يخشى أن تعاوده خلسةً، ولو بعد سنوات. وباء حقيقي. وحدها آمي كانت تبدو مبتهجة. وكم كنت أخشى أن أُصاب فجأة بعارضٍ تقيؤ. وعندئذٍ سيقول الجمهور الأميركي: «هذه حقيقة ما هي عليه إذاً».

لقد طلب مورّو أن نجلس في المطبخ وأن نستعدّ للبثّ المباشر، لأننا غالباً ما كنّا نجلس هناك ونسترسل في ثرثراتنا اليومية. جلسنا حول طاولة يبلغ طولها نحو المترين كان ميلتون قد صنعها بنفسه، وكنّا نرى إد مورّو من خلال شاشة المراقبة، فبدا لي شبيهاً بأولئك الإيرلنديين ذوي الشعر الأسود الذين يرتادون الأندية الريفية، ولا تخلو سَحنهم من علائم التعالي، في حين أن وجه ميلتون كان يكتسي بالسيماء المكّارة لوجه إيرلندي قادم من الجنوب. كانت كافة البروجكتورات مضاءةً، ما جعل الجوّ حاراً جدّاً يشبه الأجواء التي تسود استوديوهات السينما أثناء التصوير. ثمّ أضاءت لمبة حمراء صغيرة

مثبتة على كاميرا التلفزيون، وبدأ مورّو بالكلام.

ـ ميلتون غرين هو مصوّر فوتوغرافي، قال. ومنذ سنوات والملايين من بيننا يُشاهدون الصور التي يلتقطها على أغلفة مجلّات ***Look*** و ***Life*** و ***Vogue*** وسواها. كما أن صوره استخدمت في عددٍ كبير من الإعلانات. ولكنَّ عدداً ضئيلاً من الناس، من خارج الأوساط الصحافية ووكالات الدعاية والإعلان، كان سبق لهم أن سمعوا بميلتون غرين إلى أن أصبح ذات يوم نائب رئيس شركة الإنتاج مارلين مونرو. ميلتون، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، وزوجته وابنه البالغ من العمر عاماً واحداً، يقطنون هذا المنزل الذي يعود تاريخ بنائه إلى نحو مئة وخمسين سنة، في وستون، بولاية كونيكتيكوت. ولا يبعد البيت عن الاستديو الذي يعمل فيه في منهاتن أكثر من مسافة ساعة واحدة بالسيّارة. وهو في الأصل مستودع منشرة أُعيد تأهيله مؤخراً. وهنا، في هذه الملكية الخاصة التي تبلغ مساحتها ما يزيد على الأربعة هكتارات بالإضافة إلى دارةٍ مؤلفة من ستّ عشرة حجرة، أمضت مارلين مونرو قسطاً من وقتها منذ أن جاءت إلى نيويورك للإقامة فيها.

ـ مساء الخير يا ميلتون.

لم يقوَ ميلتون على تحريك شفتيه. كان مُسَمّراً في جلسته هناك وكأنَّ شيئاً لم يكن، وكأنَّ مورّو لم يتوجه إليه بالكلام. وبعد هنيهات صمت، أردف مورّو قائلاً بصوت واضح: «صباح الخير، يا ميلتون». في المحاولة الثانية أمكن سماع صوته فأجابه ميلتون قائلاً: صباح الخير. وسأله مورّو كيف حاله. فأجاب ميلتون:

ـ على أحسن ما يرام، شكراً لك، وأنتَ؟

ـ قل لي، أردف مورّو قائلاً، في أي ناحية من البيت تجلسون؟

ـ في الأستديو.

ـ وأين السيِّدة غرين ومارلين؟

ـ إنهما الآن في المطبخ.

ـ أعتقد أننا سنلتقيهما بعض لحظات.

ـ حسناً.

كنّا، آمي وأنا، جالستين كفتاتين صغيرتين عاقلتين في المطبخ، في الوقت الذي كان فيه ميلتون يحاول أن يتابع المحادثة في الأستديو. وبدا مورّو من خلال شاشة الاختبار أشبه بمدير ثانوية، وكأنَّه على أهبة القول:

ـ ميلتون، هلّا كنت ولداً عاقلاً، وخطوت لأجلي خطوة عملاق؟

ـ أجل، أيُّها المحترم، كان ميلتون ليجيبه، سوف أخطو خطوة العملاقِ هذه.

كان ميلتون محنيَّ الرأس، تكاد ذقنه تلامس صدره، أشبه بصبيّ أبله يستعدُّ لقبولِ القصاص.

إِدوارد مورّو: أحسب أنَّ هذه الصور المعلَّقة على الجدران، هي من أعمالك، أليس كذلك؟

ميلتون غرين: أجل.

إِدوارد مورّو: لنرَ قليلاً، أليست هذه صورة جانيت لايه

(Janet Leigh)، وطوني بركنز، (Tony Perkins).

ميلتون غرين: بالضبط.

إدوارد مورّو: وإلى جانبها صورة غرايس كيلي، (Grace Kelly).

ميلتون غرين: بلى.

إدوارد مورّو: وهناك، إنها صورة جانيت لايه بمفردها؟

ميلتون غرين: أحْسَنْت.

إدوارد مورّو: وهناك، إنها آفا غاردنر؟

- ميلتون غرين: بالضبط.

- إدوارد مورّو: ثمَّ ديبي رينولدز، (Debbie Reynolds)، وبيتي فيشر، (Betty Fisher)؟

ميلتون غرين: صحيح.

إدوار مورّو: وأودري هيبورن؟

ميلتون غرين: أجل.

إدوارد مورّو: كلّ هذه الصور قد ظهرت على أغلفة المجلّات، أليس كذلك؟

ميلتون غرين: أجل.

إدوارد مورّو: ألديك صور أخرى هناك، يا ميلتون؟

ميلتون غرين: أجل، لدينا البعض منها هنا، خصوصاً صور ابننا جوش.

إدوارد مورّو: كم يبلغ من العمر؟

ميلتون غرين: عاماً واحداً. وهنا، فوق صورة جوش، هناك صورة جيمي دورانته، (Jimmy Durante).

إدوارد مورّو: أوه! إنه أمر رائع، ها ها ها.

ميلتون غرين: ثمَّ صورة، (Dorothy Dick Rodgers)

إدوارد مورّو: حسناً، حسناً؛ رائع جداً.

ميلتون غرين: شكراً لك. وهنا مارلين ديترتش، (Marlene Dietrich)

إدوارد مورّو: إني أحبّ هذه الصورة.

ميلتون غرين: وأخيراً هذه الصورة...

إدوارد مورّو: آه! بلى: أهي صورة مارلين مونرو؟

ميلتون غرين: بالتأكيد.

إدوارد مورّو: ولكن، قُل لي، كم من صورك لمارلين قد ظهرت على أغلفة المجلاّت؟

ميلتون غرين: صورة واحدة فقط.

إدوارد مورّو: آه! وما رأيها هي؟

ميلتون غرين: لم لا تدخل وتسألها؟

كان فريق التصوير قد قام بتمارين، ليلة أمس، على تصوير لقطاتٍ مُتَحَرِّكة. فَجُرَّت الكاميرا وراء ميلتون من الأستديو إلى المطبخ. ولكن حين وصل الجميع رحتُ أتساءل بدوري عمّا إذا كنتُ سأقدر على الكلام أمام الكاميرا. على شاشة المراقبة بدا لي مورّو في تلك اللحظة وكأنه رئيس الولايات المتحدة الأميركية.

ـ مارلين، سألني، كنتُ أسأل ميلتون عن رأيك بصورتك على غلاف مجلة *Look*؟

ـ لقد أعجبتني كثيراً، وبأية حال فأنا أعجب بمعظم الصور التي يصورها ميلتون. (وكان صوتي يزعجني: وجدتُ أنه خافت. وجُلُّ ما رجوته في سرّي هو أن لا يبدو مثل ضُغاب الأرنب. وكم كنتُ أودُّ أن يبدو طبيعياً ملائماً).

ـ آه! أردف مورّو قائلاً، ولكنْ أخبريني، لقد نُشرت لك صور تقريباً على أغلفة كافة المجلات ذات الانتشار الواسع؟ أليس كذلك؟

ـ لا، لم تُنشر على غلاف *Ladies Home Journal*، (مجلة ربّات البيوت).

ـ وهل كنت تودّين ذلك؟

ـ أجل، أجبته قائلة.

ـ ولمَ؟ سألني.

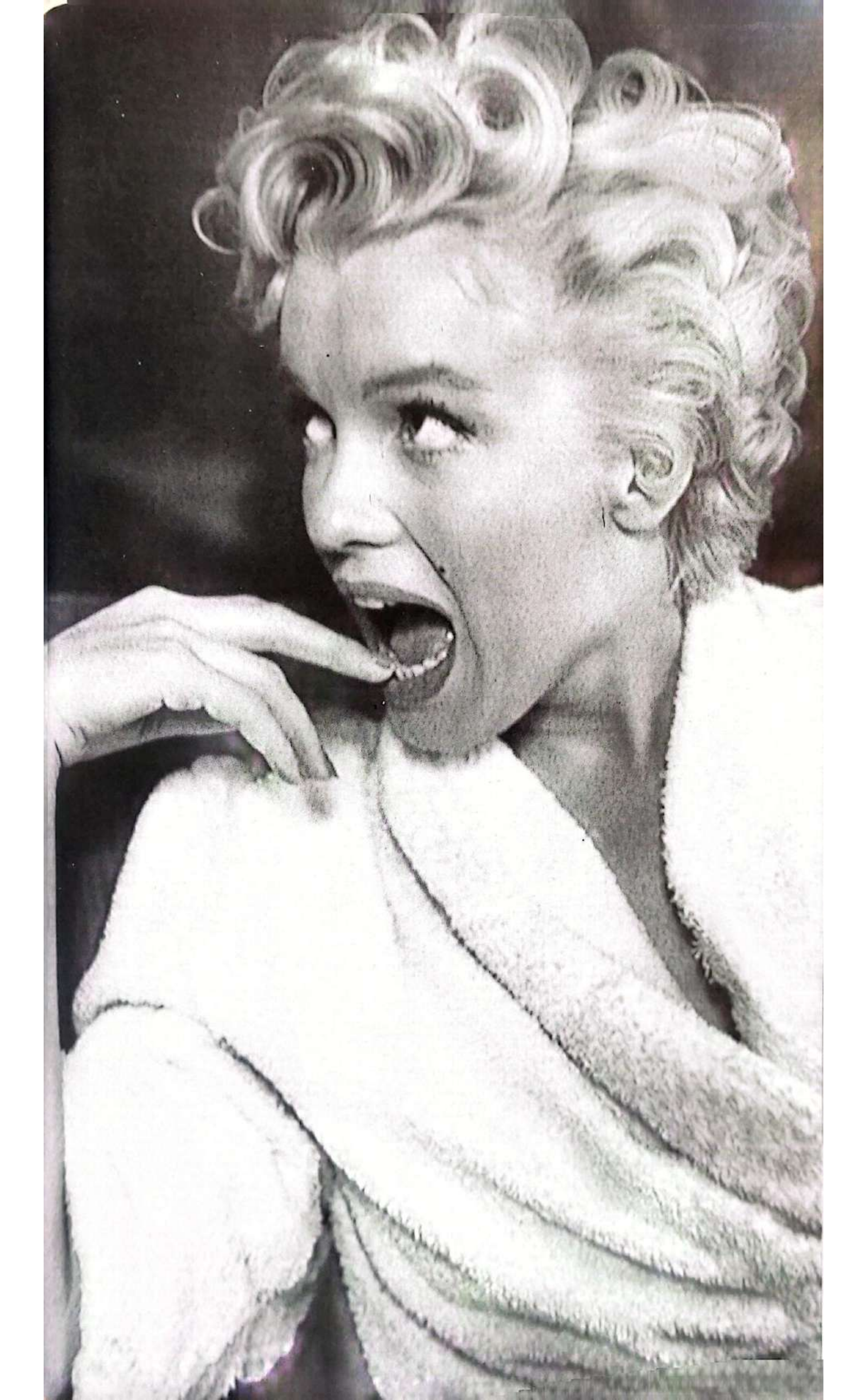
وأدركتُ أنه ينبغي أن أبذل مجهوداً أكبر، لذا فكّرتُ في استخدام عبارات كنتُ تعلّمتها من آمي.

ـ الحقيقة، أردفتُ قائلة، كنتُ أتلهّف لذلك. فقد كان المصوّرون ينشرون صوري على أغلفة مجلاّت خاصّة بالرجال كمثلِ... لست أدري... *Squint* و *Peek* و *Take a peep*... (وارتسمت على شفتي ابتسامة عابرة). «كلّ هذه التفاها...»، (ولم أكمل عبارتي).

ـ ولكن ليس غلاف *Ladies Home Journal*، قال إد.

ـ بالضبط.





ثمَّ جاء دور آمي للتحادث قليلاً مع مورّو.

ـ أبإمكان مارلين أن تتدبَّر أمرها جيّداً في شؤون المطبخ؟ سألها. وهل تعينك غالباً على تدبير شؤون البيت؟

ـ أوه، بالطبع. إنها ضيف مثالي. ولا تزعج أحداً. إنها تتدبَّر أمورها بنفسها وعلى أتمّ وجه، حتّى أننا لا نلاحظ أنها تقيم معنا في البيت.

وأطلقت آمي ضحكةً مدوّية، ورأيتُ، عبر شاشة المراقبة أنها جميلة جدّاً.

ـ هل تُوَضِّب سريرها؟

ـ بالطبع، ثمَّ إنَّها تُساعدني كلّما حمَّمتُ طفلي الصغير.

ـ وهل تقوم أيضاً بتنظيف غرفتها؟ قال مورّو وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيه.

ـ بالطبع، أجابت آمي. إنها تفعل ذلك.

إِدوارد مورّو: ماذا بشأن حكاية شركة الإنتاج مونرو؟

ميلتون غرين: ماذا بشأنها؟

إِدوارد مورّو: هل تلقّيتما، رئيس الشركة وأنت، عروضاً ما، إلى الآن؟

ميلتون غرين: آه! هوذا جرس التلفون يرنّ. إنه عرض آخر. (ضحك). أجل لقد تلقينا بعض العروض، يا إِد.

إِدوارد مورو: غير أنكما لم تَتّخذا بعدُ أي قرار بشأنها، أليس كذلك؟

ميلتون غرين: لا، نفكّر في بعض المشاريع، ولكن ليس هناك أي شيء محدّد بعد.

ثمّ علا صوت السيّد مورّو وتوجه مجدّداً بحديثه إليّ.

ـ أخبريني يا مارلين، ما هي الغاية من تأسيس هذه الشركة؟

ـ أوّلاً، للمساعدة على صنعِ أفلام جيّدة.

وقلتُ في سرّي، هكذا أظهر لهم أنني لستُ بالغباءِ الذي يتخيّلونه.

ـ آه! صاح مورّو، ما هو أفضل دور أدّيته في أفلامك؟

فعدّدتُ له «غابة الأسفلت» و «سبعة أعوام من التفكير»؛ ثمَّ سألني:

ـ وما هو أصغر دور لعبته؟

ـ أذكر منها دورين. الأوّل في فيلم «بطاقة سفر إلى توماهاوا»، وفيه لم أنطق إلا بكلمةٍ واحدة. ولم تكن كلمة في الحقيقة. كان عليَّ أن أقول فيه: «هممم»، (وطالعته بواحدة من أجل ابتساماتي). وبعد ذلك «سكودا هو! سكودا هي»!

ـ وهذا كلّ ما كان عليكِ قوله؟

أوه! لقد أساء فَهمي.

ـ لا، قلتُ له مُفسّرة. في فيلم اسمه «سكودا هو! سكودا هي!»... (وكنتُ أعمل جهدي كيما أُحسِنَ لفظ الكلام، غير أني كنتُ أشعر بأن شفتيّ ثقيلتان)؛ وفي هذا الفيلم أيضاً كان علي أن أقول كلمة

واحدة، صباح الخير، وفي لقطة خاطفة. وبأية حال، (ابتسمتُ مجدَّداً)، لقد حُذفت اللقطة في المونتاج النهائي.

هزَّ مورّو برأسه تعاطفاً كما لو أنني أحد ألمع ضيوف برنامجه من بين المُتَخَلِّفين عقلياً. وأطلقت آمي ضحكة مدوّية، ما أعانني على استعادة بعض الجرأة. فقد تكون إجابتي هذه لصالحنا في آخر الأمر.

ـ مارلين، من هو الرجل الذي أعانك، أكثر من سواه، في حياتك المهنية؟ سألَ مورّو.

فكان علي أن أُسهب في حديثي عن كلِّ أولئك الذين سيغتاظون إذا ما أغفلت ذكرهم. يا إلهي، قلتُ في سرّي، كأنني أستظهر صفحةً من دليلِ الهاتف، وكم يبدو ذلك مضجراً لخمسين مليون مشاهد. ومع ذلك كان عليَّ أن أتابع.

فقاطعني إد.

ـ لقد لفتني أنَّك أتيت على ذكر مخرجَيْن سينمائيَّيْن هما هيوستن ووايلدر. فهل أنتِ مستعدة، يا مارلين، لأن تؤدي دوراً ما بغيةَ لَفْتِ انتباههما نحوك؟ لكي يُعجبا بك؟

ـ بالتأكيد. أعتقد أن وجود مخرج ممتاز، يمكن بالطبع... في الحقيقة أعتقد أن الموضوع أمر بالغ الأهمية. ولكن، حتّى على الصعيد الشخصي، ما أرى أنّه أساسي، وأكثر بكثير من الموضوع، هو وجود المخرج الجيّد. لأن المخرج، بعامة، يمتلك موضوعاً جيّداً، (بتُّ لا أعرف ماذا أقول). بالطبع، المخرج يعمل عادةً على قصّة جيّدة. وبرأيي، يستطيع المخرج أن يُضيف على القصّة أشياء كثيرة، (وتوقفت

عن الكلام. إذ خشيت أن يكون قد حان دوري للشروعِ في التأتأة). إذ حين يشعر المُمَثّل أثناء أداءِ دوره أن المخرج حاضر معه، وأنه لا يكتفي بالجلوس ليتفرَّج عليه كأفرادِ الجمهور العادي، فمعنى ذلك أنه مع الممثل في كل لحظة، وفي كلٍّ ما يفعله. أعتقد أنَّ هذا الأمر بالغ الأهمية. وقد كان كذلك بالنسبة لي.

وطالعته بابتسامة أخرى. وشعرتُ بأن النيران تُشعلُ وجنتيَّ.

ـ مارلين، أردف إِد قائلاً، هل يَتَعَرَّف إليك الناس دائماً حيثما ذهبت، خلال تجوالك في المدن المجاورة وفي نيويورك؟

ـ لا، ليس غالباً.

ـ أهذا صحيح يا ميلتون؟

فغمغم ميلتون قائلاً:

ـ أوه، أحياناً لا ينتبه الناس.

(فسارعت آمي لإنقاذ الموقف)

ـ أوه، ألا تذكر ذلك اليوم، في سيّارة الأجرة؟ عندما كانت مارلين قد انتهت لتوّها من تصوير مشاهد الجلوس على حافة النافذة في فيلم «سبعة أعوام من التفكير»؟

ورمقها مورّو بنظراتٍ تحثها على متابعة الكلام؛ فتابعت آمي عندها قائلةً:

ـ كنّا نرافقها في طريق عودتها إلى الفندق. وكان ملايين من الناس يحتشدون في الخارج. وكان سائق سيّارة الأجرة ذاك، الذي التفتَ

نحونا وكانت مارلين تتوسطنا، وقال بصوتٍ عال: «هيه، أتعلمون من يقيم في هذا الفندق؟ إنها مارلين مونرو!»

أطلق مورّو ضحكةً مقتضبة قبل أن ينهي المقابلة بقوله:

شكراً لك يا ميلتون، وشكراً لكما يا آمي ومارلين، لاستضافتنا هذه الليلة في دارتكم في كونيكتيكوت. ورحنا نُلَوّح بأيدينا: «إلى اللقاء، إلى اللقاء، إلى اللقاء» كأننا نُلوِّح مودّعين هذا الأستاذ الطيّب. ثمَّ استدار مورّو نحو الكاميرا مخاطباً الخمسين مليون مشاهد مُعلناً:

ـ بعد لحظات سننتقل بكم لزيارة السير طوماس والليدي بيكام.

وانطفأت اللمبة الحمراء أعلى الكاميرا التي أمامنا. فرحنا نتقافز في الهواء صائحين، مهلّلين. لقد انتهى الكابوس! وشعرتُ بحماسة غريبة.

ـ لقد كنتِ مذهلة، قال لي آمي وميلتون.

ـ ألم أكنْ غبيّة؟

ـ على الإطلاق، كنتِ رائعة.

ـ وأنتما أيضاً، كنتما رائعين.

كان أفراد فريق التصوير يُصافحوننا مُهنئين وهرع ميلتون ليفتح زجاجة شمبانيا دوم بيرينيون. وحملت آمي نبتة الغاردينيا بين ذراعيها ووقفت إلى جانب ميلتون لالتقاط صورة تذكارية.

ولم يهدأ رنين الهاتف طوال الوقت. أصدقاء ميلتون وآمي يتصلون من كلِّ صوب ليقولوا إننا بَدَونا رائعين. حتّى أنني بدأتُ أشعر بأنني رائعة! أمّا الآن وقد انتهى تصوير البرنامج فقد أصبحت أشعر بأنني

أمتلك حيوية هائلة. كأنني قفزتُ من أعلى جرفٍ، وأنني قادرة على القفز مجدَّداً. فقد تحدَّثت مباشرةً عبر التلفزيون دونما تحضير مسبق أو تمارين! لقد فعلت ذلك أنا التي لطالما كنتُ الأقلّ قدرة على الارتجال لأنني أخشى جهلي الذي قد يغلبني حين أبدأ بالكلام! مكثنا نتبادل أطراف الأحاديث حتى الثالثة فجراً. وعندما أويت إلى الفراش، خطر ببالي أن آمي ستنهض بعد ثلاث ساعات فقط للاعتناء بجوش، وكنتُ أعشقها.

◆

كان الأسبوع التالي أسوأ ما عرفته في حياتي. أحد أسوأ ما عرفته. إذ راحت الإحباطات تنهمر على رأسي من كلِّ حَدْبٍ وصوب. فما إن استيقظت من نومي حتى سارعتُ إلى الاتصال باثنين أو ثلاثة من معارفي في هوليود. ليسوا من بين أصدقائي المقرَّبين، ولكن من بين أولاءِ الذين حسبتُ أن ما فعلته لا بدَّ أن يثير إعجابهم. فالمديح الذي يأتيك من أناسٍ غير مقرَّبين يساوي ثلاثة أضعاف المديح الذي يأتيك من أصدقائك الفعليين. الأولى، كانت فتاة، زميلة صفّ فن التمثيل، وتعاني مصاعب مهنية جمّة. فبادرت إلى القول:

ـ من هي آمي التي كانت بجوارك؟ إنها رائعة حقاً.

ـ أليست رائعة؟

ـ مرهفة، ومفعمة بالحيوية.

ـ ألم تري أنني كنتُ باهتة قليلاً؟ سألتها بعد حين.

ـ بصراحة، لقد كنتِ بَيْنَ بَيْن.

ـ ألم يكن صوتي رفيعاً خافتاً؟

ـ لن يكون صوتك إلّا خافتاً يا مارلين.

بعد ذلك اتصلت بممثل آخر. إنه شابٌ كنتُ ابتعتُ منه في ما مضى سيّارة مستعملة، وكنتُ أثق برأيه. وكان إيطالياً، هو أيضاً، مثل جود.

ـ من يكون غرين هذا وزوجته، يا مارلين؟ سألني في البداية. لقد خدعوكِ يا عزيزتي. لقد كان برنامجاً مخصصاً لآمي غرين ومن إنتاج زوجها.

ـ هذا صحيح، لقد كانت آمي جيّدة بالفعل.

ـ جيّدة! صاح قائلاً. إنها تمتلك قدرات نجمة حقيقية. أما أنتِ فقد بدوت كأنك صديقة العائلة لا أكثر. إحذري هؤلاء الناس.

حين أقفلت الخط كان العَرَقُ ينسابُ غزيراً ويُبلِّل ظهري. فبالكادِ لاحظت ما كانت آمي تفعله خلال البرنامج. وتراءى لي أنني، أنا، من تكلَّم طوال الوقت. فآمي مفعمة بالحماسة، وواثقة من نفسها، لكنني كنتُ معتادة على ذلك. ويبدو أن أميركا لم تكن معتادة على ذلك.

إتصلت أيضاً بشخصين آخرين. وقد أجمعا على أنهما أعجبا بآمي. ثمَّ قرأتُ تعليقاً تلفزيونياً في إحدى صحف نيويورك. وقد جاء فيه أن آمي كانت هي النجمة الحقيقية. أما الآنسة مونرو فبدت مُتَرَدِّدة وعصبية المزاج وباهتة.

بعد ذلك تلقينا اتصالاً هاتفياً من هوليود وكانوا يريدون التحدّث

إلى آمي. فقد كان جان نيغوليسكو يريد أن يعرف إذا كانت آمي قد توافق على لعب دور البطولة في «صباح الخير أيّها الحزن». ولأنَّ نيغوليسكو هذا كان مخرج «دليلك إلى الزواج من مليونير»، شعرتُ بأن الأمور زادت عن حدِّها، فقلتُ لآمي: «بحقِّ السماء، لقد شقيتُ في العمل طول عمري، والآن أنتِ مَنْ يتلقّى عروض العمل... ومن قبل الأستديو الذي عملت به... والمخرج الذي عملتُ معه». وبدت لي آمي هذه المرّة امرأة مهزومة.

كنتُ أرى زانوك ماثلاً أمام عيني، وهو يقول: «إمنحوا دور البطولة للصغيرة غرين. فتفقد مارلين صوابها غيظاً. إزرعوا الفتنة والشقاق بينها وبين ميلتون».

ولكنَّ الأمور لم تَجْرِ بمثل هذه البساطة. فلا يُعقل أن تُعرض أدوار البطولة على آمي، لمجرَّدِ زرع الخلاف بيننا. فلا بدَّ أن هناكَ فيلماً جاهزاً للتصوير. ولا بدّ أنَّ أحد كبار مموّلي الفيلم قد ارتأى أن آمي تمتلك المواصفات المثالية لأداء دور البطولة فيه.

غير أن ميلتون تدخّل على الفور:

- يكفي أن يكون واحدٌ من أفراد الأسرة يعمل في هذا المجال؛ لا بل إنه أكثر من كافٍ.

- لو سمحت، أجابت آمي، القرار يعود لي أنا.

- حسناً، لكِ أن تقرّري.

وفَكَّرت آمي مليّاً، ثمَّ قالت: «حسناً، يكفي أن يعمل واحدٌ من أفراد الأسرة في هذا المجال، وهذا أكثر من كافٍ». وفيما بعد سألتها

عن الأسباب التي دفعتها لاتخاذ قرارها هذا.

ـ أوه! تعلمين، لديّ زوجي وطفلي، وأنا سعيدة ها هنا. فلا أريد أن أطلق العصفور الذي في يدي سعياً وراء العَشْرة التي على الشجرة، (ومع ذلك اعترفت لي بأن العروض التي تلقّتها قد أفرحتها كثيراً).

كان موقف آمي يُصيبني بدهشةٍ عميقة. وقد استطاع ميلتون أن يستحصل على نسخةٍ من الحلقة التلفزيونية ورحنا نتفحّص تفاصيلها بدقّة. ووجدتُ أن شخصيّتي بَدَتْ على قدرٍ من الاتزان، واللطف والرقّة والخَجَل، غير أنَّ مظهري كان مُرعباً. إذ بدوت سمينة جداً، وجعلتني صدرية الصوف التي تشدُّ نَحْري شدّاً، أشبه بـ«ملكة جمال أعظم ثديين»؛ ولم تكن طريقتي في الجلوس إلّا لتزيد الأمر سوءاً إذ بدا خصري مُطَوَّقاً بزنّارٍ من الدّهنِ. كان مظهري سوقيّاً؛ ولم أكفّ لحظة واحدة عن الابتسام ومداعبة الكلب، حتّى بدوتُ أشبه بسكرتيرةِ مَكْتَبٍ منسيٍّ في بلدة ريفية نائية. وإلى جانبي كانت تجلس آمي أشبه بأعجوبةٍ حقيقية. «لا تدعوا الكاميرا ترعبكم يا أولادي». وحاولت أن ألعب دور ابنة العمّ الأميركية وهُزِمتُ أمام آمي التي كانت بالفعل ابنة شقيق العم سام. وفقدتُ ثقتي بها؛ «جميعهنَّ يُرِدْنَ أن يَكنَّ شهيرات»، قد تكون تلك الأغنية أكثر الأغاني كآبةً، وينتابني رعب حقيقي لمجرَّدِ التفكير في أنني قد يتوجّب عليَّ أن أُغنّيها مُجَدّداً. ورحتُ أستذكرُ حكايةً روتها لي آمي بخصوص امرأتين كانتا تعيشان في باريس، ومن صنفِ النساءِ اللواتي لا يُعاشرنَ إلّا الرجال الأثرياء. كانت إحداهنّ تُدعى أويترو الجميلة، وكانت آمي مولعةً بها، وربّما ذلك لأنَّها هي أيضاً من أصلٍ كوبي. وكانت تنافسُ أويترو الجميلة امرأة أخرى من

الصنفِ ذاته تدعى ليان دو بوجي، وذات مساء أسَرَّ جواسيس أويترو في أذنها أن ليان دو بوجي ستذهب إلى الأوبرا، وأنها سترتدي ثوباً أبيض للمناسبة، وتتزيّا بكلٍّ ما لديها من مجوهرات وحليّ، وقد حجزت لها أوسعُ الشرفات إلى يسار المسرح. فسارعت أوتيرو إلى حجز الشرفةِ إلى يمين المسرح. ووصلت ليان دو بوجي بثوبها الأبيض وحليّها التي لا تملك مثلها إلّا ملكة، ما أثار حميَّة الجمهور الباريسي، فَوَقَفَ نُظّار الصالة جميعهم وراحوا يصفّقون لها ويرشقونها بالقبلات.

في تلك اللحظة وصلت الآنسة أويترو. كانت لها عَيْنان سمراوان وترتدي ثوباً أسود بسيطاً، وفوقه طرحة سوداء دون أن تتزيَّن بحلية واحدة. ومع ذلك بلغت الإثارة في صفوف الجمهور حدّاً لا يوصف، لأنَّ خادمتها كانت تسير وراءها وقد تزيَّنت بكلٍّ ما لديها من حليّ ومجوهرات. لقد ضحكتُ كثيراً حين سمعت الحكاية للمرَّة الأولى، أمّا الآن، إذ أستعيد تفاصيلها في ذاكرتي، أدرك أنني لا أحبّ النبرة التي كنتُ أسمعها في صوتِ آمي. لقد كانت ضحكتها تنمّ عن غبطةٍ مفرطة.

في غضون الأسبوع نفسه قرأتُ في إحدى الصحف خبراً مفاده أن الأمير رينيه أعلن خطوبته على غريس كيلي.

وأدركتُ أنه بات عليَّ أن أغادر ولاية كونيكتيكوت، لأقيم في نيويورك. فقد تكون مشاعري تجاه السيِّد آرثر ميلر صادقة وقد لا تكون؛ ولكن، على الرغم من ذلك، أبلغتُ آل غرين بأنني أريد أن أنتقل إلى الجناح الخاص بهم في فندق بلاكستون، فرحَّبا بالفكرة. ذلك أن آمي وميلتون يدركان جيّداً متى تكون نهاية شهر العسل.

وَضَّبتُ أمتعتي وغادرت. وكان فندق بلاكستون مكاناً يوحي بالكآبة. «إنه شيء من القذارة النيويوركية القديمة» كما كانت تصفه آمي.

لم تَرُق الفكرة لميلتون. «إنه ليسَ بالفندقِ اللائق، قال، لا يليق بمن له مكانة مارلين. مكان مارلين هو في والدورف تاورز. سأعثر لها على جناحٍ فيه».

وهذا ما فعله. وعلمتُ بعد ذلك بوقتٍ طويل، أنه استأجره من مستأجر، (وليس المالك)، هو ليونورا كوربت، التي غادرت إلى إنكلترا، لقاء مبلغٍ زهيد. حيثما ذهبتُ، وأينما حللتُ، كنتُ أجدني دائماً في الناحيةِ الغَلط. وحتى لو اختارني رينيه ليجعل مني أميرة وعمد إلى تجهيز جناحٍ من قصر موناكو يكون خاصّاً بي، فكونوا على ثقة عندئذٍ أنه كان ليختار جناح الخدم. إنه قدري، كما يُقال.

وما إن انتقلتُ إلى والدورف حتّى استعدتُ عاداتي القديمة كقذارة. أحسب أنني لا أملك شخصية. ولهذا السبب، ربَّما، أصبحت ممثلة. وأشعر بأنني قادرة على أن أكون أيّ شخصٍ آخر لبعض الوقت. والبرهان على ذلك أنني حين كنتُ أقيمُ في دارة آمي، كنتُ أستحمُّ مرَّتين في اليوم مثلها تماماً، ولا أدع ملابسي مُبَعْثَرةً مهملةً في أرجاء الغرفة، أمّا هنا فلا أُبالي بما قد أرتديه، على جاري عادتي في السابق. بنطال مدعوك، وصدرية صوف أشبه ببالون متهدِّل. وعندما يأتيان لزيارتي كنتُ أشعر أن ميلتون لا يُطيقُ أن يرى بنطالي على هذا النحو، لأنَّ في طبعِ ميلتون أن يرى أنَّ البنطال المهندم أشبه بوريقة نعناعٍ في

كوبٍ من الشاي المُثَلَّج، وأن البنطال المدعوك أشبه بنقحةِ عرقٍ على القميصِ تحت الإبط.

كنتُ أراه يتفحَّص الصالون والغرفة، وأتخيَّلُ ما تراوده به نفسه: «لن أقوى على العيش هنا على هذا النحو. فلو نُظِّفَت الغرفة بعناية ورُتِّبت يكفي أن تمرّ بها مارلين لخمس دقائق حتى تتحوَّل إلى كوخٍ حقير. إنَّها طريقتها في خلع ثيابها».

وكنتُ أراه يهزّ برأسه كأنه يقول: «يا مارلين، إمّا أن تُعلّقي ثيابك في الخزانة وإمّا أن تضعيها في سَلِّ الغسيل. ولكن، أرجوك، لا تدعيها هكذا مرمية على الأرض».

وكنتُ أعلم أن مظهر منضدة الماكياج في غرفتي يُصيبه بالغثيان. ليس في يدي حيلة. ولا أعرف كيف أذرّ بقايا المساحيق في كلّ الأرجاء. كان لا يعرفُ حقّاً كيف يمكن أن يحدث ذلك. ولكن هذه هي حقيقة الأمر؛ فعندما أجلس أمام المرآة، أرى على وجهي آثار تجاعيد خفيفة ويتراءى لي فجأةً أنها، بعد أعوام قليلة، ستُصبح تجاعيد ظاهرة. ولكي أطرد هذه الصورة من عيني كنتُ أسكب قطراتٍ من الفوندوتان السائل على المرآة وأمسحها بأصابعي على مهلٍ، وكم كنتُ أعشق ذلك المَلْمَس الدَّبِقَ على أناملي، وسرعان ما تتزاحم في رأسي الأفكار كأنَّها أوركسترا تحاول ضبط إيقاعها. فيمتلىء رأسي بالحكايات، أقصد ذكريات ما خبرته وعشته. وعندئذٍ تعاودني حالة أدركها جيّداً. إذ لا أعود قادرة على قَطْع حَبْل الأفكار التي تُحاصرني مثل أضواء كشّاف سُلِّطَ عليَّ من كلّ صوب. أقصد أن المرء يستطيع إذا شاء حقاً؛ وليس عليه إلّا أن يمتلك القدرة على الإيعاز ليده بأن

تضغط الزرَّ. أما أنا فما كان عليَّ إلّا أن أنهض من أمام المرآة لكي أوقف كلَّ هذا. غير أني كنتُ أُحْجِمُ عن ذلك، وأواصل التحديق في كافة الذكريات التي عِشْتُها، بما في ذلك الذكريات القاسية، وحتى البشعة. أحياناً كانت تسيل من عيني دمعة وتترك على خدّي خيطاً من الكحلِ كمثلِ سكين تخلِّفُ فيه جُرحاً. وفي تلك اللحظات، أشعر بأنَّ شيئاً ما فيَّ، كئيباً، ينزفُ أشجانه...

أحياناً كنتُ أمكث لساعات طويلة أمام مرآتي، كما فعلتُ ذات يوم، بعد أسبوع واحد من انتقالي إلى والدورف، حين عطّلتُ الهاتف وجلستُ أمام المرآة. لساعاتٍ وساعاتٍ حتى أنني حين أشَحْتُ بنظري عنها، أحسستُ بأنَّ العَتَمَةَ تكتنف المكان. ولا بدَّ أنني مكثتُ هناك من الصباحِ إلى المساء. كان زجاج المرآة مكسوّاً بالذرور والمساحيق. ويخطىء ميلتون فعلاً إذا اعتقد أنني سأتكبّد مشقة تنظيفها، وإلّا ما جدوى أن يكون لديك مدبّرة منزل. ثمَّ إنَّ النظافة تولِّد فيَّ إحساساً بالضيق. فأشعر برغبة في البكاء، وتذكّرني بالمياتمِ التي عرفتها: «رتّبي ما استطعتِ، وإلّا حُرِمتِ من الطعام».

وكنتُ لأجلس أمام مرآتي أحتسي كأسَ ڤودكا، وأفكِّر في السيِّد مورّو يسألني: «لقد ظهرت صورتك، يا مارلين، على أغلفة مجلّات كثيرة، أما من مجلّة كنت تودّين أن تظهر صورتك على غلافها».

- الواقع أن صورتي لم تظهر على غلاف *Ladies Home Journal*، أجبت قائلة. وضحكنا جميعاً. والحقيقة أنني كنت أعلم جيداً لـمَ اتخذت مجلة *Ladies Home Journal* هذا الموقف حيالي. ورحتُ أمرِّر أصابعي على الدائرةِ التي خلّفها قعر كأس الڤودكا على

بقايا المساحيق فوق منضدة ماكياجي. فقد أكون راغبة فعلاً في أن أكون سيدة مجتمع، ولكن الحقيقة أنني لم أستطع أن أظهر على غلاف مجلة *Ladies Home Journal*.

كانت المرآةُ تأسرني حتّى أني ذات يوم سمعتُ جرس الباب وكان ميلتون فَرَجَوْتُهُ أن يدخل ثمَّ عدتُ أدراجي لأجلس أمام مرآةِ منضدة الزينة لأتفحَّص المواضع التي تبدو فيها بشرتي أقلّ نضارةً وشباباً.

- ما الذي سيطرأ عليك في السنوات الخمس المقبلة؟ لا شيء على الإطلاق، قال ميلتون.

- لا تقل لي هذا، ما سيطرأ سيطرأ.

وكنتُ في قرارة نفسي، أُفكِّر: «لا بدَّ أنه في أعماقه يُفضِّل العمل مع غاربو أو دِيترتش فهو لا يؤمن بأنني قادرة على التمثيل».

وراحت يدي تبحث تلقائياً عن كأس الڤودكا.

- إسمعيني جيّداً، لا تكوني بمثل هذا الغباء. لا تُفرطي في الشراب، قال لي ميلتون؛ فالأحرى بي أن أشْرَبَ أنا وحدي ما ينبغي أن نشربه نحن الإثنين. فأنت من سيقف أمام الكاميرا، أمّا أنا فسأقف خَلْفها.

لا أدري لماذا، ولكني لم أستطع أن أتمالك نفسي ورحتُ أضحك. فعلى الرغم من كلِّ شيء، كنتُ أحبّ ميلتون. فقد يبدو في نظر العالم بأسره في قمّةِ النجاح، ولكني أعلم جيّداً أنّه كان مثلي يُجَرْجِرُ جرحاً ريثما يُصابُ بآخر. والجرحُ التالي هو الجرح القاتل. فلا بدَّ أن ضيقه بذاته مماثلٌ لضيقي بذاتي.

ولكن، للأسف، كنتُ قد فقدت ثقتي به. فمنذ انتقالي إلى والدورف، كنتُ على أتمّ الاستعداد للابتعاد قليلاً. وكان عدد كبير مِمَّن ألتقيهم في ذلك الوقت لا يتوانون عن استغيابه: «ولكنّي أعتاش من ماله»، كنتُ أُسِرّ لبعضهم. «ما ينفقه عليك لا يساوي شيئاً إذا قارنّاه بما سيجنيه منك». كانوا يجيبون. وكان آرثر ميلر يؤكد لي أنَّ عدداً لا يُحصى من الناس لا ينتظرون سوى فرصة أن ينتجوا أفلامي، ما يعني أنه لم يكن معجباً بالسيّد غرين.

كنتُ أعرف جيّداً كيف أطردُ الأفكار المُحْبِطَة، باستغراقي المطوّل في تأمّل نفسي في المرآة، ولكن حين أفعل، كانت ذكريات الماضي تستبدّ بي. فلا أملك عندها إلّا أن أستغرق في التفكير في الأطفال الذين لم أنجبهم، وخصوصاً الثلاثة الذين لم أنجبهم من إدوارد الذي كانت أمّه تُحبّني. لقد كان في طبع هذا الرجل مقدار من الرهافة والرقة حتى خُيِّلَ إليّ أحياناً أنني أنا الرجل وليس هو. وكنتُ عاجزةً عن هجره. فهناك شيء ما في بؤرةِ جسدي، في ذلك الموضع الذي يجعلنا في حالٍ من التوازن إذا عثرنا عليه، شيءٌ ما فيَّ يكتئبُ من أجلِ إدوارد. وطوال الفترة التي استمرَّت خلالها علاقتي معه، حَبِلْتُ مراراً؛ حتّى أنني كنتُ قادرة على تَحَسُّس قوَّة اللَّكْز الذي يبذله للولوجِ إلى أعمقِ ما فيَّ، وأشعر فعلاً بأنَّ شيئاً ما يَلِجُني، ولن يقنعني أحدٌ بما هو عكس ذلك. ومن ثمَّ كنتُ أحاول خلال الأسابيع التالية أن أُفاتح إدوارد «بشأن حَمْلي» فيمتقع وجهه. «أنتِ أقوى منّي، كان يقول، ولكنَّكِ جميلة جداً! أنتِ تعشقين مهنتكِ». وكنتُ أعلم جيّداً أنني لطالما أحرجته أمام الناس. طبعاً كانت عاداته وتصرّفاته هي

السبب، فقد بلغت من الفَذْلَكَة حدّاً لا تستطيع معه إلّا أن تفعل ما لا ينبغي أن تفعله. كنتُ عاجزةً عن مجاراته، ولو أنه أحبّ كونتيسَّة لاستطاعت أن تسعده أكثر مما فعلت. مثلاً: ينادي نادل المطعم ليطلب زجاجة نبيذ، ويسألني إذا كنتُ أحبَّ نبيذ الـ«Bourgogne» الأحمر اللذيذ. وكنتُ أدرك عندئذٍ أن جوابي، مهما كان، لن يكون في محلِّه، غير أني مع ذلك، أُجرِّبُ حظي.

ـ النبيذ الذي شربناه في المرَّة السابقة كان لذيذاً، يا إِدوارد.

ـ أجل، غير أنه نبيذ سمك، كان يقول.

وكنتُ من الغباء آنذاك بحيث أُصَدِّق فعلاً أنه يقصد بكلامه هذا أن هناك صنفاً من النبيذ يُصنع من السمك، ولا يسألني أحدٌ لماذا، فعلى الرغمِ من كلِّ شيء، لم أكن سوى فتاة ترعرعت في جادة أويسا، بڤان ناتس. وكنتُ أصدِّق فعلاً أنَّه ربَّما كان في السمكة الميتة قطعة لا تفوح رائحتها النتنة، فتستخدم في صنعِ النبيذ. ومضى وقت طويل لم أجرؤ خلاله على السؤال عن حقيقة هذا الأمر، إلى أن حدّثني أبراهام روبرت تشارلز، ذات يوم، عن العِنَب. فيما كنتُ أسمعه مُسْترسلاً في الكلام، لم أكفَّ لحظة واحدة عن التفكير في الأشياء التي تموت، فقد كانت تلك هي المرَّة الثالثة التي أحمل فيها من إدوارد. ولم يتوقف أبراهام روبرت تشارلز عن الكلام على النبيذ، أمّا أنا، فكنتُ لا أفكِّر إلا بموعدي لدى الطبيب في يوم الغد لإجراء عملية إجهاض. وكانت تلك هي المرَّة الأولى التي سيتوجّب عليَّ فيها أن أذهب إلى الطبيب بمفردي وأن أُسَدِّد تكاليف العملية من مالي الخاص الذي كسبته لقاء جلسة تصوير فوتوغرافي؛ ولكنْ لندع

التفاصيل جانباً. غير أني الآن، أمام مرآتي، أتابع درس شخصيَّتيَّ الاثنتين، وأسأل نفسي أيُّهما القاتلة. وكنتُ أعلم جيّداً أنني في هذه الليلة، والليالي التي تليها، سأحلم كثيراً؛ سأحلم بصراخ الأطفالِ الذين ماتوا. أين ينتحبون الآن؟ وكنتُ لا أحبّ أن أفتح النوافذ في والدورف تاورز، (وبأية حال، كانت أقفالها عالقة)، لأنني من طينة الناس الذين من شأنهم أن يعتقدوا دائماً بأن الريح تحاول أن تحادثهم. فما من نَسَمٍ واحدٍ إلّا وارتبط بواحدةٍ من أفكاري، وأحياناً، إذ أصغي جيّداً وأنا جالسة أمام المرآة، تراودني ذكريات أناس من ماضيّ لم أعرفهم إلّا لأسبوعٍ واحد ومع ذلك أحسب أن صداقتي لهم ستدوم إلى الأبد. غير أنني اليوم أستعيد في ذاكرتي تلك الأمسية التي نسيتها منذ زمنٍ بعيد.
كانت ست سنواتٍ قد مضت على لقائي بأبراهام روبرت الذي شرح لي نظريته حول الشخصيتين في البيتش. آ. تيكي بار عند جادَّة مِلروز. وكنتُ أصغي بشخصية واحدة من الشخصيتين اللتين هما أنا، أمّا الشخصية الأخرى فقد كانت تفكر في إدوارد وعملية الإجهاض، وفي علائم التلذُّذ التي ستطالعني، في الغد، على سحنةِ الطبيب الذي سيجري العملية ـ لأنَّها ليست العملية الأولى من هذا النوع التي يجريها. وأرى بوضوح كيف ستَتَّسعُ فتحة واحدٍ من منخريه. واحد فقط. وكأنه ليسَ سوى نصف سادي.

◆

في تلك الأمسية، منذ ستّ سنوات، كنتُ برفقة أبراهام روبرت تشارلز في البيتش. آ. تيكي بار، ولم تكن لديّ أية رغبة في أن أغادر

وأعود بمفردي إلى البيت حيث لن تفارقني سحنة الطبيب المُجْهِض فأقول في سرّي إنَّ مجرَّد رؤية وجهه في الغد ستعني بالنسبة لي أن قصَّة حبي لإدوارد قد انتهت بالفعل. وكان إدوارد قد قال لي بعد ظهر ذلك اليوم بالذات: «إذا حدث أن مُتُّ وكنتِ زوجتي فسيكون عليك أن تُربّي ابنتي». وكان يحاول طيلة الوقت أن يُخفي معالم الرعبِ التي ارتسمت على وجهه. غير أنَّ الحكاية تنتهي هنا. كان ذلك تقريباً في الفترة نفسها التي شرع فيها السيّد تشارلز بشرح حكاية الشخصيتين. وأدركتُ أنني أحاول أن ألفت انتباه رجل يُمكن وصف مشاعره المزدوجة نحوي بـ «إد وديد»، (إد والموت). لم أكن أرغبُ إذاً في العودة بمفردي إلى البيت. وأقنعتُ أبراهام روبرت بأن نقوم بجولة على بارات الناحية. وكان أبراهام من طينة الرجال الذين تزخر حياتهم بالأسرار، ولكن، بعد أن تنقَّلنا بين عددٍ من الحانات بدأت أرى بوضوح كيف سنمضي بقية السهرة. كنّا نسيرُ في تلك الناحية من الشارع التي تتوسَّط هوليود وبڤرلي هيلز، فاذا بنا أمام صفٍّ من الحانات الدنيئة، وأقصد بدنيئة الحانات التي ترقص فيها الفتيات مع الفتيات فيما يتوارى الشبان في دورات المياه بصحبةِ شبّان آخرين. ولوهلةٍ، لاحظت أن أبراهام روبرت ستغادره إحدى روحيه السعيدتين في ذلك المساء. وهذا يعني أنه لن يُرافقني في طريق عودتي إلى البيت، وأنه لن يدعوني إلى احتساءِ المزيد من كؤوس الشراب. لذلك وجدتني، بعد وقت قصير، برفقةِ فتاة ممتلئة الجسم شديدة البأس، ذات شعر قصير واقف وترتدي سترة من الجلد، وتدعى روزالي. وكانت روزالي تقود درّاجة ناريّة، وتنتمي إلى عصابة النساء الدرّاجات

الوحيدة في لوس أنجلس، وتعمل مُدَرِّسة للرياضة البدنية في إحدى مدارس الوادي. فباستطاعتي إذاً أن أستدين منها بعض المال. لم يكن المال، بالطبع، غايتي الوحيدة في مثل هذه الأمور، ولكنْ إذا ضاجع المرءُ شخصاً لن يراه بعد ذلك، فالمالُ عندها يُوَلِّد لديه، على الأقلّ، بعضاً من احترام الذات. في تلك الحقبة من حياتي كنتُ أعرف قليلاً ماذا يعني أن أُضاجع غرباء. وأتوقَّع مثلاً أن تسحق روزالي شفتيَّ تحت شفتيها الغليظتين وأن ترتطم أسنانها بأسناني حين تقبّلني. وربَّما شاءت فيما بعد أن تجلس إحدانا على رأس الأخرى. وإلى ذلك كلّه، قد تنتحبُ حين أعقد العزم على هجرانها وقد تبدي ردود فعل بشعة، كأن تستخدم تفوّقها البدني وتؤذيني. أو الأحرى أنها ستؤذيني حتماً إلّا إذا تكبَّدتُ عناء أن أبدو لطيفة معها كما أفعل أحياناً حين أكون مرغمةً على ذلك، كما في علاقتي مع رجلٍ من أمثال العجوز جو شنك، (Joe Schenk)، عندما كان يأتي بي كل مساء لتناول طعام العشاء في فندقه الخاص بغية التباهي برفقتي أمام أصدقائه. وكان فيما بعد يخصّني بعشاءٍ آخر، مُجَرَّد وجبةٍ خفيفة لقضمها على مهل، وأقصد بذلك خيارته المخلَّلة المكبوسة، بلى، حقّاً، فهذا تقريباً طَعْمُ السيد شنك ومذاقه. ولكن بالمقارنة مع عجائز آخرين، وأخجل هنا من القول إنني عرفت بعضاً منهم، فهو بالتأكيد ليس الأسوأ.

كانت روزالي إذاً مجرَّد فُرصةٍ متاحة، ولكنّها لم تكن فرصة مغرية. وفي الجانبِ الآخر، قُبالتنا، كان رجلَ مخاطر يُدعى رود على أهبة الاستعداد لأنّ يقدّم لي كأساً. وكان رود بشعره الأشقر الحائلِ الطويل الذي يتهدَّل على ياقة قميصه يرتدي زيَّ رعاة البقر ويبدو عتعيتاً

بالفعل. إنه من صنفِ أولاءِ الذين يستطيعون أن يرموا بأنفسهم من سيارة منطلقة بأقصى سرعتها عند منعطفٍ خطر قبل أن تصطدم بشجرة وتقتلعها من جذورها. وكلّ ذلك طلباً للتسلية. كانت أذناه أشبه بالقنّبيط، وحول فمه أثر جرحٍ قديم؛ أما أنفه فقد جعلته الجراحة التجميلية خانساً بعض الشيء. معجزة جراحية بالفعل! فقد كان أنفه رفيعاً ذا أرنبة مروَّسة، كأن الطبيب ضغطَ منخريه بين إصبعين في انتظار التئام الجروح التي خلّفها مبضعه. وهذا ما يفعله الأطبّاء بالفعل.

كان واضحاً أن رود له سمعته بين روّاد هذه الحانة. فقد دخل إليها عَدَدٌ من الشبّان وكان بعضهم يُطلق صفيراً ذا مغزى حين يمرّ بي وكأني شحرور أبيض. لم يسبق لي أن التقيت أحداً لا يُغويه مظهري، بل التقيتُ مَن لا يقبل بي في هذا العالم. لذا دنوتُ من رود الذي شرح لي أن هؤلاء الشبّان ليسوا شيئاً في حياته، وأنَّه إنَّما يفعل ذلك من أجلِ المال. أما أنا، فإنه يجدني، قَسَماً، أرقى الفتيات اللواتي التقاهنَّ هذا المساء. أرقى الفتيات. كانت تلك عبارته. لقد كان رود رجلاً بسيطاً وحازماً وذا طلعة بهيّة، وإن كانت أسنانه تبدو كأنها لرجلٍ آخر. ومع ذلك فإن طقم أسنانه كان متقن الصنع، ولا يُفسدُ شيئاً من حُسْنِ طلعته. وإذا كان لا بدَّ لواحدنا أن يحيا مع شخصٍ ما المدّة الكافية لمشاركته فنجان قهوة في اليوم التالي فقط. فإن طقم الأسنان المُستعارة ليس مشكلة على الإطلاق. فحتى في تلك الحقبة التي كنتُ فيها لا أعرف إلّا القليل القليل من فنِّ التمثيل، لم أكن أجهل السِّرَّ الذي اكتشفه جو ديماجو: «التمثيل أفضل من الواقع». أي أن التمثيل يبدو واقعياً أكثر من الواقع نفسه. فالأسنان المستعارة قد تبدو

أفضل من الأسنان الطبيعية. وهذا ما ينبغي أن يفعله الممثل الناجح، فَمَن لا يرتقي إلى ما يجاوز ذاته، لا تعود لديه إلّا ذاته.

رحتُ إذاً أميل إلى اختيار رود وليس روزالي. سوف يحاول بالتأكيد أن يستدين مني بعض المال، لكنّه يعرف جيّداً أن يكون ظريفاً ومسلّياً. وبالطبع سيصحبني إلى بيتي. وبأية حال، كان رود يقود، هو أيضاً، دراجة نارية، وقناعتي دائماً أن الدعابة أفضل من المال.

المُشكلة الوحيدة أنني كنتُ أخافه. فقد كان مفرطاً في رقّته. ويتمهَّل كثيراً في إجاباته عن أسئلتي. كأنَّ فراغاً ما قد استقّر في قرارة نفسه، ومن شأن الغرائز أن تجد فيه ملاذاً. حتى أنه قد يتحوَّل إلى حيوان لا يتوانى، بعد أن ردَّدَ طويلاً أمام المنتجين: «أجل يا سيِّدي»، عن غرز أسنانه في عُنُقِ المروِّض. ومَثلت في مخيّلتي صورة لم تبرحها: رود يتسلَّل ليلة تلو أخرى، عبر النافذة، إلى غرفتي في الطبقة الثالثة!

حتّى في تلك الحقبة كانت حياتي رصينة. لم أكن محترمة في ذلك الوقت، ولكني كنتُ رصينة. ويمكن القول إنني كنتُ ملكاً للأستديو فلا عجبَ أن أنقل، على حين غرَّة وحين يشاء الأستديو، بصحبةِ عشر فتيات أخريات إلى دنفر أو موديستو للمشاركة في حملات إعلانية.

وفي مثل هذه الحال كان مفهوم الحملة الإعلانية، في نظر الأستديو، أوسع بكثير مما قد يخطر ببال. أي أن القيمين عليه يتوقّعون ممن يشارك في الحملة أن يُبدي كلَّ استعداد للتعاون مهما كلّف

الأمر. وكنتُ أدرك جيّداً أن الأستديو حين يطلب مني أن أذهب إلى مكانٍ ما وأن أرتدي صدرية الصوف التي تشدّ صدري شدّاً إنما يفعل ذلك لأغراضٍ معينة فلا جدوى من لعبِ دور الملاك. ومع ذلك فأنا أرى أن حياتي في تلك الحقبة كانت رصينة. ربَّما كان يتوجَّب عليَّ أن أواجه بعض التجارب التي خبرتها بابتسامة عريضة في حين أنها كانت تُقززني في الحقيقة، ولكنّي لم أشعر يوماً بالخوف حيال أصحاب الصالات الصغيرة. والحقيقة أنهم كانوا يظهرون لنا امتنانهم وبعضهم كان يُعاملنا بطيبة بالغة. والمشكلة بالفعل، حين نعود إلى الأستديو. فقد كان عليَّ أن أستقبل بعض الناس وفق مواعيد مسبقة. وذات يوم التقيت ثلاثة مدراء على التوالي. الأوَّل عند الثانية والنصف من بعد الظهر والثاني عند الثالثة والنصف، والثالث عند الرابعة والنصف، قبل أن ألتحق، على عجل، بحصّة التمثيل المسائية. طبعاً، ما كان هذا النوع من اللقاءات ليستغرق أكثر من خمس دقائق. «كيف حالك يا سيد فرنسوورث؟ كم يسعدني أن أراك مجدَّداً»، فيطلب مني أن أدنو منه وراء المكتب. وأحياناً لا يتكبَّد المعنيُّ مشقة النهوض لاستقبالي؛ وأحياناً أخرى أمكث طيلة الوقت جاثية على ركبتيّ. لقد كنتُ أعرف ثنيّات بناطيل بعض المدراء أكثر مما أعرف وجوههم. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن جميع هؤلاء ممّن تَصِحُّ فيهم الكراهية، وكنتُ، آنذاك، أتَّبع فلسفة اليتيم. «صبراً جميلاً، فقد تكون الأمور أسوأ مما هي عليه. فماذا لو خلع أحدهم جَوْرَبَيْه وطلب منك أن تُقَبِّلي قدميه».

ومع ذلك، كان المهمّ أن تكون الفتاة منا تعمل مع الأستديو

بموجب عقد. وقد يُطلب من إحدانا أن تقوم بأمرٍ بسيط قد لا يعجبها، ولكنّ مثل هذا الاستثناء لا يدعوها إلى التملّص من العقد. كنّا نعتاش في قيعان العالم البورجوازي، إذا جازت العبارة. والمطلوب أن نُبدي بعض الطواعية، هذا كلّ ما في الأمر.

أحياناً، كنتُ أحيا بمفردي، وحيدة، لا تُشاركني الشقة أية فتاة أخرى، وإذا حصل وترافق هذا الأمر مع مرحلة أمرّ بها من الإحساس العميق بالتعاسة، كما حصل خلال قصَّتي مع إدوارد، فإن حصَّتي من ليالي اليأس كانت تدفعني إلى الهروب من وحدتي، فلا أجدني، بعد ذلك، إلّا في مواقف يكون ختامها من قبيل «إلى اللقاءِ يا سيِّد فرنسوورث، سررتُ لرؤياك. صباح الخير، يا آنسة بايزلي...»، لأن السكرتيرة كانت تصل دائماً في اللحظة التي أغادر فيها المكتب. وكنتُ أعرف إذاً ماذا يعني أيضاً أن تغادر البيت في الليالي وأن تكون مجبراً على البقاء في الخارج لأن البقاء في البيت والاستلقاء على السرير، وهذا ما أعرفه جيّداً، قد يكون أسوأ بكثير. ولا بدَّ أنني كنتُ آنذاك أخشى أن أفقد صوابي لأن رأسي كان يرفض بعناد أن يكفَّ عن ترداد تلك الأغنية الحزينة. ولذا كنتُ أجازفُ بأن أقضي ليلتي بصحبة أناس غير أسوياء على أملٍ أن يُحالفني الحظُّ وأعود إلى بيتي سالمة في الصباحِ التالي.

غير أن الحياة الليلية التي عشتها لم تكن هي، بالفعل، ما أطمح إليه. فأن تلعب دور الفتاة المستهترة اللعوب أصعب بكثير من أن تلعب دور الفتاة المحافظة. ومع ذلك، كنتُ في بعض الليالي التي أشعر فيها بالتعاسة، والتي أكون فيها وحيدة، (فقد كانت قصَّتي مع إدوارد في

فصلها الأخير)، لا أقاوم فكرة أن أنزل إلى المدينة لاصطياد رفقة ليلية، وينبغي أن أعترف أن بعض هؤلاء الرجال كان ممثّلاً حتّى الموت. غير أنَّ هذا كلّه لم يكن في الحسبان: فأسناني كانت لا تزالُ مُسنَّنة!

◆

على تتالي ذكرياتي، رحتُ أفكّر في روبير دو مونتسكيو، (Robert de Montesquiou)، الذي قرأت سيرته في كتاب أعارتنيه آمي. وأسألُ نفسي لم كنتُ أفكّر فيه - حتّى أني لا أذكر عنوان الكتاب - غير أني أذكر جيّداً أنَّه كان يرتدي ملابسه مثل آمي، أو الأحرى أن آمي كانت ترتدي ملابسها مثله، لأنَّه عاش في حقبة مبكرة، أحسب أنها مطلع الأعوام ١٩٠٠. وذات يوم ارتدى طقماً خُبازيّ اللون، وقميصاً من اللون نفسه، أمّا وشاحه فكان عبارة عن عقدِ بنفسجات. كان يقصد حفلاً موسيقياً لفون ڤيبر، (Von Weber)، (والله وحده يعلم من يكون ڤيبر هذا!)، ويقول لمن يُصادفه: «يجب أن تسمع موسيقى فون ڤيبر وأنت ترتدي اللون الخُبازيّ. فلا يُعْقَل أن تتخيَّل لوناً أكثر أناقة من هذا اللون. يجب أن تسمع فون ڤيبر وأنت ترتدي اللون الخبازيّ».

وهناك، في دَعةِ سريري في كونيكتيكوت. حاولتُ أن أضحك حتى القهقهة، ولكنَّ الحقيقة أنني كنتُ لا أريد أن أقرأ المزيد حول سيرة روبير دو مونتسكيو. كان يُشعرني ببعض الضيق. ربّما لأن مونتسكيو كان يُقيم في باريس، في الطبقة الأخيرة من دارة والده،

وكان على قاصد شقته أن يتسلَّق سلّماً لولبيّاً معتماً ولا آخر له، ثمَّ أن يَعبُرَ إلى بابه رواقاً طويلاً أشبه بالنفق غير أن أرضيّته مكسوّة بالموكيت. كلُّ حجرة في شقّته لها لونها الخاص. فمثلاً كانت إحداها رماديّة، كلُّ ما فيها رماديّ: الستائر والنجود وقطع الأثاث وحتى الورود، هذا إذا أتيح له أن يعثر على ورودٍ رمادية. الحجرة التالية كانت حمراء، وتطالع الوافد إليها بكافة تلاوين الأحمر من الزهريّ المُصَدَّف إلى القرمزي مروراً بالأحمر المائل إلى البرتقالي. وقد تعلَّمتُ من قراءتي وصف حجرته أسماءً للأحمر لم يخطر ببالي يوماً أنَّها موجودة. وخلال إحدى الأمسيات، عمد روبير دو مونتسكيو إلى بثِّ عطر في أجواء الغرفة عبر مكيِّف للهواء، كما مزج أنواع الشراب بالعطر. وكانت سلحفاة مُعَطَّرة هي المصدر الوحيد للإضاءة في الحجرة. فقد رَصَّع ذَيْلها بصنوفٍ من الأحجار الكريمة: كاللازورد والمعشوقِ والياقوت الأحمر والألماس. وفي وسط الهرج الدائر، ارتطم حرف حذاءٍ أنيق بالسلحفاة فانقلبت على ظهرها، وبعد ذلك بساعتين رحنا نُدخِّن الأفيون فنَفقت السلحفاة حيث وقعت. كنتُ أقرأ القصة حابسة الأنفاس، وأنتحبُ في سريري، هناك، في كونيكتيكوت...

أمّا الآن، فأجدني قبالة المرآة في غرفتي في والدورف تاورز أُفكِّر في روزالي و رود اللذين عرفتهما منذ بضع سنوات، وأدرك فجأةً لِمَ كنتُ أشعر بالضيق حين أقرأ سيرة روبير دو مونتسكيو. وأدركتُ أيضاً أن الأمر لَمْ يكن معقّداً، بل أبسط ما يكون. لقد كان روبير دو مونتسكيو يُذكّرني بالرجلِ الوحيد الذي لا أريد أن أستعيد ذكراه على الإطلاق. وأذكر الآن أنَّ هذا الرجل التقيته في تلك الأمسية التي

اصطحبني فيها رود بجولةٍ على درّاجته النارية الضخمة. والواقع أن الرجل الذي كنت أودّ أن أنساه كان يُدعى أيضاً روبرت. روبرت ديبيرلاتا أوكونور أمضيتُ بصحبته أسبوعاً مُريعاً حتى أني رفضتُ أن أخبر أحداً عنه، حتّى ميلتون الذي أعتبره الصديق الأقرب والأعزّ إذا كان لا بدّ لي من أن أُسرّ بأمر ما لأحد. في ذلك الأسبوع قد أكون التقيت فارس أحلامي، أو ربَّما كنتُ أحاول ببساطة أن أتحاشى التفكير في الجنين الثالث الذي لن أرزق به من إدوارد، فأسعى بذلك إلى إحراقِ ذكراه. ويبدو أن قضاء ليلة ملتهبة في سريرٍ غريبٍ ما، يكوي الجراح. كنا، روبرت وأنا، لا نغادر السرير، وكنت أتَّصل يوماً بعد يوم بشركة فوكس لأخبرهم بأنني مريضة وأنني مصابة بڤيروس ما. ولحسن طالعي آنذاك، أنني لم أكن مرتبطة بأي دور في فيلم لذلك الأسبوع وإلّا لخسرتُ إلى الأبد مستقبلي المهني الذي بدأ يبزغ منذ بعض الوقت! وكانت هذه المخابرة التلفونية اليتيمة كلَّ يوم، هي كلّ ما أمكنني فعله لمواجهة مسؤولياتي، ريثما أعودُ مجدَّداً إلى السرير حيث ينتظرني روبرت (بوبي) ديبرلاتا أوكونور. لقد فعلنا سوياً أشياء كثيرة أتحرَّج من ذِكرها الآن، غير أني كنتُ مُسْتَعِدَّة في ذلك الوقت لتخريب حياتي. كنتُ أمقتُ إدوارد لأنه ليس في طاقته احتمال تصرّفاتي السوقية. في حين أن بوبي لم يُعِرْ هذا الأمر أي انتباه. لقد كان بوبي دو ب. أنانيّاً مولعاً بشخصه؛ فتى ضخم الجثة وثرياً، له وجه طفليّ متورِّد على الدوام، وذا سحنةٍ جميلة، ذهبيّ الشعر، وسيماً كما ينبغي أن يكون الرجلُ وسيماً وذا كبرياء. أما أنا فكنتُ أراه دائماً أشبه بمن ابتلع كميّة من أقراص الڤيتامين. والواقع أنه كان يحب نفسه

كثيراً، حتّى أني فاجأته ذات يوم وهو يتشمّم رائحة إبطه. والحقيقة أنني كنتُ أحبّ الرائحة التي تنبعث من جسمه، كأنه ولِدَ ليكون حرّاً طليقاً. وأمامه كنتُ أشعر بأنني عاجزة تماماً.

كما ذكرتُ في السابق، التقيتُ بوبي في الليلة نفسها التي التقيتُ فيها رود، ومع ذلك يسعني أن أذكر الأوّل دون أن يكون عليَّ ذِكر الثاني، لأنَّ صلتي برود كانت قد انتهت حتّى قبل أن ألتقي بوبي دوب. فقبل أي شيء آخر، لم يلبث «رود رجل المخاطر» أن استعرض أمامي لعبته البهلوانية المُفَضَّلة خلال جولتنا على الدراجة النارية من البار إلى جادة سانسيت مروراً بيڤرلي هيلز وكافة الهضاب والمنعطفات الخطرة في محلّة بل اير، (Bel Air). فقد كانت مهارة رود الأبرز أنه قادر، برفقةِ امرأة، تمتلك جسداً ليّناً مثلي، أنْ يُضاجعها وهو يقود درّاجته بسرعة ١٣٠ ميلاً في الساعة. كنتُ أجلس مُفرشخة أمامه، وليس عليَّ إلا أن أنحني فوق المقود قليلاً فيسهل عليه، وهو الجالس في الوضع المناسب، أن يَلِجَني حتّى ولو كان ذلك من الخلف. وكان من شأني أن يستهويني هذا الأمر؛ كما لو أنَّ الخوف الذي ولد معي يخرج من أعماقي، وأشعر كما لو أنني أهبِطُ بطيّارة أقودها بنفسي؛ وأسمع قرع طبول وأرى البروق الحمراء لأسراب من الصواريخ المنطلقة. أو كأنني أجلس على الكرسي الكهربائي! أو ربَّما كان ذلك مجرَّد تعبير لأقول لكم كم بدا الأمر لي كهربائياً! كنتُ مولعة برود بيد أن الأمر كان غير شخصي على الإطلاق وحين وصلنا أخيراً إلى دارة صديقه في Bel Air، كنتُ على وشك أن أؤدّي له التحيّة العسكرية. ولكن ما إن رَكَن درّاجته حتى أفسَد كلَّ شيء. فسرعان ما

استدرجني إلى دغلٍ قريب وأجبرني على الركوع لأتخذ تلك الوضعية الشهيرة في هوليود، ذلك أن السينما، على الرغم من كل شيء، قد بُنيتْ على عددٍ لا بأس به من رُكَب النساء؛ ومع ذلك لم أُبدِ اعتراضاً: لقد كان إدوارد رقيقاً، أما رود فاقتحاميّاً. سوى أنَّ ما حصل في الأثناء كان مُريعاً، وينبغي أن أسرد بعض التفاصيل الحميمة: فالرائحة التي انبعثت من جسمه كانت أشبه بالروائح التي تنبعثُ من بئر نفط، أو، على الأقل، ما أحسب أنها الروائح التي قد تنبعث من بئر نفط؛ أي مزيج من عفن الزيت والشحم والبنزين. فشعرتُ بالغثيان. والآن حين أستعيد في ذاكرتي تلك اللحظة أُصدِّق بالفعل ما قاله لي قادم من حقول النفط.

وما إن انتهينا حتى أدركتُ أنَّ صلتي به بلغت خاتمتها بالفعل. كنتُ أشعر برغبة في الاغتسال، أمّا هو فكان يعلم ذلك جيّداً. ولم نكد نجاوز عتبة الباب للدخولِ إلى أجواء تلك السهرة حتّى راح يبحث عن فتاة أخرى تشاركه امتطاء دراجته ـ فذاك هو الحبّ! ـ أمّا أنا فرحتُ أبحث عن رجلٍ ما يُزيل المذاق الكريه الذي خلَّفه على جسدي.

شطبتُ إذاً اسم رود من اللائحة بعد عشر دقائق فقط من تدوينه عليها، ولفتني بوبي دوب. الذي جاء لاستقبالنا عند طرف النفق؛ وما بدا لي مُستهجناً في الواقع بمناسبة ما قرأته بعد ذلك بسنواتٍ طويلة، عن سيرة روبير دو منتسكيو، التشابه بين دارتي بوبي دوب و دو منتسكيو. فدارة الأول كانت ملكاً لوالده وفيها شقّة أفردت لبوبي في الطبقة الأخيرة. والفارق الوحيد بينهما أن الوصول إلى دارة بوب لم

يكن يقتضي الدخول إلى المنزل الرئيسي، بل الالتفافِ إلى الجهة الخلفية حيث سلّم لولبي خارجي يفضي إلى بابٍ يفضي بدوره إلى رواق كُسيت جدرانه بصنفٍ من القماش الملوَّن يعبق بروائح غريبة عرفتُ أن مصدرها دخان سكائر الماريجوانا. فقد كنتُ تعاطيت مثل هذه الأمور مرةً أو اثنتين، منذ بضعة أشهر خَلَت، غير أنها لم تستهوني لأن رأسي، بعدها، كان يدور ويدور كأنه عجلةٌ تدور على نفسها وهي عالقةٌ في الوحل. وكان خوفي في قرارة نفسي ينبع من إحساسي بأنني إذا ما استسلمت لهذه الأمور، وغرقتُ في تعاطيها، فلن أكون شيئاً آخر سوى حفنةٍ من الوحل.

في اختصار، كنت لا أزال مُستثارة لفرط ما استهوتني الجولة على الدراجة النارية، وفي الوقت نفسه أشعر بالتقزُّز لأني التقيتُ رود، ولا أدري كيف أُفسِّرُ ذلك: إذ تخيَّلوا أحشاءه المصنوعة من أكثر أنواع الديناميت عفونة، هذا، إذا كان للديناميت أن تفوح منه رائحة العفونة!

إجتزنا بضع حجرات، ولفتني في إحداها خناجر وبنادق مُعلّقة على الجدارن وفي حجرة أخرى ورق الجدارن المُخَطَّط، وفي ثالثة أنَّها أشبه بمعرض صور فوتوغرافية، إذ ليس على جدرانها سوى صور فوتوغرافية فاضحة وضعت جميعها في أُطُرٍ أنيقة. ثمَّ، حجرة أخيرة، واسعة الأرجاء، وضع فيها فونوغراف وطاولة عليها كؤوس، وعدد كبير من الكنبات جلس عليها، هنا وهناك، رجال بصحبة فتيات، ورجال بصحبة رجال، تحت إنارة بنفسجية خافتة جداً. وكان على واحدنا أن يبحلق جيّداً، ليلاحظ أنّ في ذاك الركنِ مثلاً عدداً من الأجساد العارية التي لوّنتها الإنارة باللون البنفسجي، فكدتُ لا أصدق

ما أراه. إذ كانت تلك أولى سهراتي الهوليودية واللّه وحده يعلم أنني كنتُ أجهل عنها كلَّ شيء. بالطبع صادفتُ مراراً أن أعود إلى بيتي فأجد صديقتي في السرير مع رَجُل، غير أني لم أرَ مثيلاً لما رأيته هناكَ من قبل، فقد كان عددهم يفوقُ العشرين.

ولمحتُ مُضيفنا. لقد كان بوبي عارياً تماماً إلاّ من جزمته الكاوبوي وقبعة ستيتسون كبيرة. وكان يُنزّه في غدواته وروحاته كلبَ دوبرمان بدا لي أنها أنثى هائلة الحجم، لأنها حملت على عنقها طوقاً من الألماس. وحين كان الكلبُ يمرّ في تجواله بين الحضور بمحاذاة اثنين من الضيوف اختليا بنفسيهما، كان يُحاول أن يعتلي أحدهما، فأدركتُ الخطأ في تقديري. إذ لم يكن ما حسبتُ إنه «كلبة» سوى ذكر له تحت مؤخّره ما ينمّ عن فحولة. وكان بوب مستغرقاً في ضحكٍ متواصل مثل صبيّ صغير لأن الكلب لم يكن يكفّ عن محاولة اعتلاء فروج كافة أولئك العشاق، إذا جازت العبارة. وكانت تُسمع بين الحين والآخر صرخات وتوسّلات: «بوبي أبعد رومولوس من هنا! بوبي هل جننتَ؟» وحسبت أنّ مُضيفنا رجل مُريع، غير أنه حين دنا مني، بادرني بأرقِّ ابتسامة رأيتها منذ زمن بعيد، كأنه أمضى طفولته لا يأكل شيئاً إلّا العِنَب، وعندّما قبّلني مُرَحِّباً، أحسستُ بطراوةِ شفتيه. وذُهلتُ، كان فمه لذيذاً كفمِ إدوارد الذي كان يمتلك أروع فم قبّلته في حياتي. وإلى ذلك كان بوبي قويّ البنية. فقد كانت تلك هي المرّة الأولى التي يتمّ فيها التعارف بيني وبين رجلٍ عارٍ، في أول لقاءٍ؛ وبهذه الطريقة يُتاح للمرء أن يعرف أشياء كثيرة! كان جلده أملسَ كجلدِ الفقمة ورائع الملمس. فوددتُ أن لا أرفع راحتيّ عنه. كأنّه صبيّ

دُعِكَ جسمه براحات كلّ من أحبّه منذ كان رضيعاً. وأوّاه! كم أسكرتني كلماته حين أرخى شفتيه قائلاً:

ـ تعاليْ، سنغادرُ هذا المكان، ونترك هؤلاء الناس وشأنهم.

أرخى بوبي رَسَن رومولوس، وسار بي عبر النفق إلى حجرة عند طرفه الآخر بَدَت لي وكأنها شقّة على حدة. لم يُتح لي أن أنظر من حولي، فلا جدوى من ذلك. كنا قد أصبحنا مُمَدَّدَيْن على الأرض؛ ولوهلة أحسستُ ببعض الضيق لأنني ما زلتُ أحمل رائحة رود على جسمي، غير أن بوبي دوب يعشق الروائح؛ وأحسب أن له أنْفاً بدل الدماغ، وهو بأية حال، كما قلتُ في السابق، له نكهته الخاصة به. ربَّما كان شيء ما فيه يهتدي إلى جلاء سِرّي، أو ربَّما كانت تلك النزهة النزقة بصحبة رود هي التي هيَّأتني ببساطة للقاء بوبي، لأنَّها لم تترك لي شيئاً، لم تترك لي ما أحتمي به على الإطلاق. وبأية حال يمكن القول إنَّ أعماق ذاتي وكياني كانت تدفعني للوصولِ إليه بمثابرةٍ ودأبٍ قد لا يشعر بهما المرء إلّا في الحلم.

مارسنا الحبّ تكراراً، طوال الليل. وذات هنيهة، قلتُ له:

ـ أوْهِ! أنت الأفضل. لم أعرفْ لكَ مثيلاً مِنْ قبل.

وكان ما أقول صادقاً، فقد شعرتُ بأنَّ أشياء تنبثق من داخلي وتتناثر في الكون أو لا أدري أين؛ أحاسيس تخترقُ الفضاء من حولي. وكنتُ عندها لا أقول إلّا الصِّدق، غير أن المزعج في الأمر هو أنني أُرَدِّد هذا القول نفسه لكلِّ من يتضح لي أنه ليسَ سيئاً جداً؛ والحقيقة أنني قلتُ قولاً مماثلاً لرود ما إنْ أوقف دارجته الناريّة وصار بإمكانه أن يسمعني.

حتّى أني كدتُ أتلّفظ بمثلِ هذه الإطراءات على مسامع السيّد فرنسوورث، (فعلى الرغم من كلّ شيء كان فرنسوورث يقول: «لا أحد مثلي يجلس على كنبة!»)، وكانت تلك العبارة الملائمة إذا شئتَ أن ترضي غرور رجلٍ وتبقيه مولعاً بك، وفي فترةٍ ما، كان لديَّ ثمانية عشاق كبار، وكنت أعرف كيف أُبقيهم على ولعهم بي. ولو استدرجت، عندها، ثلاثة آخرين لما أمكنني أن أحصي عُشّاقي على أصابع يديَّ الاثنتين. ولكنْ، حين قلتُ ذلك لبوبي، كنتُ صادقة، وأقصد ما أقول. كنتُ صادقة وربَّما للمرَّة الأولى منذ أن بدأ بترداد هذه العبارة. غير أن بوبي جاوبني بضحكة مدوّية؛ فلا بدَّ أنه سمع هذه الأسطوانة من قبل. ثمَّ عاودنا مداعباتنا وكأنَّ واحدنا يتحرّى في الآخر، في ثنيات جسم الآخر، ما لم يعثر عليه أحدٌ آخر من قبل.

بعد ذلك، انتقلنا إلى السرير، وفيما بعد، أضاء الحجرة. كانت المرايا مُعَلَّقة في أكثر من موضعٍ على الجدران، وأحصيتُ عدداً لا يُحصى من التحف الفنية. ثمَّ رأيت السجّادة العجمية التي مارسنا الحبّ عليها: ألوانها حمراء ومذهبة وبنفسجية وخضراء. أما السرير، فلم أعرف سريراً باتساعه من قبل. ولا بدَّ أننا غزونا بجسدينا كلَّ سنتمتر مربَّع منه، فبوبي صبيّ أرعن لا يرتوي ولا يهدأ. أمضينا الليل ونحن نسمع طرقاً على الباب وأصوات تنادي: «بوب، أين أنت؟» أو «تعال وتمتّع بوقتك معنا». وعند الصباح، حين غامرنا بمغادرة الغرفة بحذر، (وكنت في تلك اللحظة أشعر باسترخاء فلم أرْتَدِ من ملابسي إلا سكربينتي ذات الكعب العالي، أما هو فقد اعتمر قبعته

الستيتسون). كان جوّ الحجرة عابقاً بالروائح البائتة والراكدة لسكائر الماريجوانا والأعقاب المطفأة في المنافض، إلا أنَّها خالية تماماً إلّا من الكلب. كان رومولوس مُمَدَّداً وسط أرضية الحجرة وقد اختفى طوقه المرصّع بالألماس، ونُحرَ عنقه. كانت عيناه جاحظتين، وفيهما يَبِسَتْ نظراتٌ أشبه بنظراتِ جروٍ يتمرَّس على إغواء صاحبه. كانت له سحنة كلب لا أكثر ولا أقلّ. فضلاً بالطبع عن الدماء التي سالت منه على السجّادة ولم نرها في البداية لأنها امتزجت بألوانها الغامقة.

جعل بوبي يبكي مثل طفل في الخامسة من العمر. كان ينتحب بصوتٍ خافت فيرتعش بطنه قليلاً وكذلك فكّه الذي جعله الغضبُ بارزاً على نحو ما يفعله الطفل إذ يكزُّ على أسنانه ليظهر كم يكون غضبه عظيماً حين يشبّ ويكبر. ثمَّ كفَّ عن نحيبه، وركع بجانب الكلب وضرَّجَ أصابعه بقليل من دمائه ومسحَ بها عليّ قليلاً ثمَّ عليه، وبرقّةٍ جعلتني أحبُّ ما يفعل كأنَّه يقولُ وداعاً بأجمل ما أمكنه. وعندئذٍ عدنا أدراجنا إلى غرفة النوم لنمارس الحبَّ برِفْقٍ لم يسبق له مثيل لأننا مارسناه بالأسى الذي تملّكَ جسدينا؛ أنا، كنتُ أبكي الجنين في أحشائي وسأفقده، وأبكي الكلب الميت، وأبكي نفسي، وشعرتُ بحنانٍ غامر حيال بوبي.

فيما بعد خلال النهار، سألته:

- هل تعرف من قتل رومولوس؟

هزَّ برأسه إيجاباً.

ـ وهل ستفعل شيئاً؟

ـ بالتأكيد! أجابني.

◆

علمتُ أنَّ والد بوبي يملك وكالة ضخمة لتجارة السيّارات، وأن بوبي الذي يمقت العمل، أنشأ فرعاً لتجارة السيّارات القديمة وأنَّ هذه التجارة تدرّ عليه مبالغ لا بأس بها من المال. فهو يُجيد انتقاء سيّارات الهواة ليعاود بيعها. كما أنه يملك مركباً يتسع «لإقامة ستة أشخاص ويبحر بسرعة ٣٥ عقدة في الساعة»، علاوةً على مزرعة جياد في «الوادي»، حيث يُعنى بجواده المفضَّل، وثلاث سيّارات، فَرُحْتُ أتخيَّل أنَّه الرجل الأكثر ثراءً ممّن التقيتهم في حياتي، (باستثناء جو شنك الذي كان من عادته أن يستعرضني أمام أصدقائه خلال مآدب العشاء). ولم تمض ثلاثة أيام حتّى وجدتني عاقدة العزم على الزواجِ من بوبي، وأدركتُ أنه، هو أيضاً، يرغب في ذلك. وقال لي مُفَسِّراً رغبته هذه إنه واثق مما يُريد لأنَّه منذ وقت طويل جداً لم يمارس الحبّ مع أحد باستثناء نساءٍ يتقاضين أجراً لقاء ذلك.

حتّى أننا نزلنا، عند ظهيرة اليوم التالي، إلى الطبقة الأرضية وعرَّفني بوالده وشقيقته اللذين رمقاني، معاً، بنظراتٍ تقول: «رائع، أنتِ محظية هذا الأسبوع». لم يأتِ بوبي على ذكر الكلب الميت، كما لم يُشر إليه أحدٌ آخر. في فترة ما بعد الظهر، اصطحبني بوبي في جولة في السيّارة، غير أن البقية المتبقية من الوقت، كنا نمضيها في السرير.

وأحْسَبُ أنني لم أدخِّن في حياتي كلها مثل تلك الكميّة من الماريجوانا. إذ ما عاد لي رأس، بل صداع نصفي، وشهوة جنسية لا ترتوي حتّى أني كنتُ أعجب من نفسي، فعندما أعمل في الأستديو، ويكون معظم عملي يقتصر على جلساتِ تصوير فوتوغرافي للدعاية والتسويق، وليس العمل في أفلام حقيقية، كان المصوّرون يعاملونني دوماً وكأني كتلة من الجنس مُرَكَّزَة في أنبوب ويكفي أن تضغط عليه قليلاً ليتدفَّق ما في داخله. وكان يذهلني دائماً أن أرى قدرتي على أن أبدو مثيرة جنسياً، ذلك أني أبعد ما يكون عن الإحساس بما أحاول إظهاره، وصدقاً أقول حتى أنني كنتُ أتساءل أحياناً، وبكثير من القلق، عمّا إذا كنتُ، على الصعيد الجنسي، باردة بعض الشيء. والحال، أنني، في علاقتي مع بوبي، كانت أحاسيسي مختلفة تماماً. فأشعر أنني جِنْسٌ خالص. ومع ذلك كنتُ أرى نفسي في المرآة، وأجد مظهري مُرعباً. مُنهكة، مشدودة القسمات، باهتة. فما كان يُشعرني بالإحباط هو ذلك الوجه الذي أراه في المرآة ويبدو لي دائماً ذا سحنة إمّا متأخِّرة وإمّا متقدِّمة عن الحال التي أكون عليها.

في تلك اللحظة بالذات، بدأت أشعر بالصّداع النصفي. وعندما لا نكون في السرير مُنصرفين إلى المضاجعة، تنتابني حالات من الغثيان حتى أنني حَسِبتُ أنني حبلت مجدَّداً. ثمّ شيئاً فشيئاً، على مرّ الأيام، بدأنا، أنا وبوبي، نخوض الشجار تلو الشجار. والواقع أن شجارنا كان دائماً عبارة عن ثورة أعصابٍ أكثر منه خصاماً بين مبغضين. وحين تهدأ ثورة الغضب نستعيد سيرتنا السالفة كأن شيئاً لم يكن. ونعاود الكلام على مشروع زواجنا. وكأنَّ ما يجري بيننا أشبه بحركة معكاسٍ

نُديرُه في اتجاه ثمَّ نعيده إلى اتجاه معاكس. وربَّما كان ذلك بسبب أقراص البنزدرين، فقد جعلني أجاريه في ابتلاعِ أعدادٍ منها طوال النهار، حتّى أصبحتُ لا أقدر على النوم. ففي كلِّ مرَّةٍ أدنو فيها إلى لحظة تفجُّر حواسي بالنشوة، كنتُ أشعر أنَّ صدري أيضاً على وشكِ الانفجار. وإلى ذلك كانت هذه الأقراص تُثيرُ فيه الرغبة الجامحة في أن يُعضعِضَ ثديَيّ واستداراتٍ أخرى في جسمي.

ـ ماذا جرى بينكما، أنتِ و رود؟ أراد أن يعرف.

فأخبرته بما جرى. وأراد أن يعرف كلَّ شيء، حتّى أدقّ التفاصيل. كان الأمر يُثيره. وفي اليوم الخامس سألني بوبي:

ـ أترغبين في الزواج؟

ـ أجل.

ـ حسناً إذاً، هيّا بنا.

ـ هيّا.

ـ لا أستطيع، أجابني قائلاً، فأنا رجل متزوّج. وراح يعضّ شفتي. فأبعدته عني بقسوة.

ـ كنتُ أعتقد أنَّك مُطَلّق.

ـ لكنَّها لا ترغب في الطلاق.

كانت زوجته تعيش مع رود. ورود هو الذي قتل الكلب وسرق الطوق المُرَصَّع، وعلمت فيما بعد أن الطوق هو في الحقيقة حلية من الألماس كانت فيما مضى لزوجة بوبي، غير أنَّه استعادها منها حين انفصلا، وجعلها طوقاً للكلب.

ـ لا بدَّ أن رود قد سافر الآن، قال. إنَّه يعمل في تصوير فيلم في ولاية يوتاه. هيّا فلنذهب لزيارة امرأتي البورجوازية.

ـ وستقول لها بأنَّك ترغب في الطلاق؟

فشدَّ على ذراعي بقوّة حتَّى آلمني وقال:

ـ لا. سنقتلها، كما قَتَل الكلب.

ما لـم أصدِّقه، في حينها، تلك الإثارة التي استبدَّت بي. كنتُ مُضطربة. وعاودتني في الحال ذكرى لقائي أبراهام روبرت تشارلز، منذ أيام خَلَت، ورأيتُ الروحَ الأخرى فيَّ، تلك الروح التي تلزم الصمت، وكانت على أهبة الاستعداد لارتكاب جريمة قتل. وعلى الفور غادرني الصداعُ النصفي. وأحسست بنخزاتٍ تسري في جسمي كتلك النخزات التي أحسست بها خلال جولتي على الدراجة النارية.

ـ لنقصد بيتها، أردف بوبي قائلاً. أنا سأتولّى قتلها، وأنتِ تراقبين. وعلى الأثر نعود أدراجنا، إلى هنا. فإن مكثنا سوياً، لن يستطيع أحد أن يثبت شيئاً، إذ يسعنا أن نزعم أننا كنّا نمارس الحبّ.

ورحتُ أتخيَّل حياتنا سويّاً، يوماً بعد آخر، وبيننا يحيا هذا السرّ. وأرى صورتي في الصحيفة: «نجمة سينمائية صاعدة تُستجوب في قضية قَتْل». وسوف تُنشر صوري في صحفِ العالم بأسره. ألا يستحقّ الأمر فعلة مثل هذه؟ فقد بدا لي أن روعة الشهرة التي سأُصيبها من جرّاء ذلك تجعل من قتلِ زوجة بوبي أمراً بسيطاً. فلو أنني لم أرَ رومولوس ميتاً وقد ارتسمت على وجهه تلك السمة الغريبة، سمة من يُريد أن يتجمَّل في عيون الآخرين؛ ولو أني لم ألمح ما يُشبه سيماء

هدوءٍ غريب تشرق من وجه ذاك الحيوان المُمَدَّد، مذبوحاً، فلربَّما كنتُ أشفقتُ على مصير زوجة بوبي، غير أن إحساسي العميق آنذاك، كان يدفعني إلى اعتبار أن ما سيحلّ بها هو أمرٌ عادل. فَمَنْ يدري، ربَّما سمح لي بوبي بأن أحتفظ بالجنين؟

أذكر أنني فكّرتُ، في تلك الأثناء، بما شعرتُ به حين شاهدتُ وجهي للمرَّة الأولى على الشاشة في فيلم «سكودا . هُو! سكودا . ها!»، وجَزَمتُ حينها، أن وجهي لافت للأنظار باستثناء ما قد يوصف بافتقاد قسماته أيّ تعبير، وبهذا يشبه قليلاً وجه رود. فربَّما كان في داخلي ما لا يراه الآخرون. مثلاً: إنني الآن على أهبة الاستعداد لارتكاب جريمة قتل.

ركبنا سيّارة بوبي واجتزنا Bel Air وبڤرلي هيلز، إلى أن وصلنا إلى دارة زوجته بالقرب مِن Rodeo Drive. كانت الدارة معتمة؛ لا أثر لأيّ سيّارة في الخارج، وبابُ المرآب موصد. تسللنا، بوبي وأنا، إلى الجهة الخلفية من المنزل وأبطلَ جهاز الإنذار، ثمَّ خَلَع قفل النافذة. دخلنا إلى المطبخ، وراح يبحث في مِشَكّ السكاكين عن سكينٍ كبير قاطع، فوجد واحداً وأمسك به. ثمَّ تسلَّقنا الدرج المفضي إلى غرفةِ زوجته. وأذكر جيّداً أنها مُطلّة على منظر تلال بڤرلي هيلز الساحر؛ في تلك الأثناء، وعلى الرغم من أقراص البنزدرين التي تُلَوِّثُ دمي، كنتُ في حالة هدوء تام كأني أشارك في حلقة من حلقات برنامج تلفزيوني، مثل «قصة حياتي»، أعلنِ فيه المذيع أنني تغيّبتُ قليلاً لإحضار ملابسي. حتّى أني كنتُ أُمسك يَدَ بوبي، يده الأخرى بالطبع، تلك التي لا يمسك بها السكين!

كان قفل باب غرفتها مُعَطَّلاً فلا يوصد بالمفتاح. وفي ضوءِ المصابيح الخارجية الذي يتسرَّب عبر النوافذ، اكتشفنا أن المرأة ليست في سريرها أيضاً. فتَّشنا في كافة الحجرات الأخرى ولم نجد أحداً؛ لقد كان البيتُ مهجوراً. ولا بدَّ أن زوجة بوبي قد رافقت رود في رحلته إلى يوتاه.

عُدنا من حيث أتينا. ولم تنته الأمسية قبل أن يعمد بوبي إلى ضَرْبي، أو على الأقل، حاول أن يضربني، غير أنه لم يستطع الإمساك بي لأنَّه كان مُتَعْتَعاً من السُّكر. وشعرتُ بأن الأمر فاق حدَّه المعقول. فجمعت أمتعتي على عَجَل وهُرِعْتُ إلى الشارعِ حيث حالفني الحظ في تلك الأنحاءِ المقفرة بإيجاد سيّارة أجرة أقلّتني إلى شقتي في هوليود. وفي الطريق إلى هوليود لم أذرف دمعة واحدة؛ كان هاجسي التثبّتُ من أن بوبي لا يعرف رقم هاتفي ولا عنواني ولا حتى كُنْيَتي. إنه يعرف إسمي فقط. ولذا لن يحاول العثور عليَّ. ولم يُحاول.

بعد ذلك بيومين، أجريت عملية إجهاض. وكُنْتُ كلّما تأملت وجهي في المرآة في شقتي، في الطبقة السابعة والثلاثين من والدورف تاورز، أدركُ أن شيئاً ما قد مات، ذلك اليوم، فيَّ، لا أدري ما هو، غير أنَّ ذلكَ يبدو واضحاً على قسماتِ وجهي.

◆

راحت تلك الذكريات تعاودني ملحاحةً خلال الأسبوع الأوَّل من إقامتي في والدورف. وأدركت أيضاً لمَ أصرخ حين أرى الصراصير،

فذلك لأنَّها تنغل مثلما تنغل الأفكار المرعبة التي تستبدّ بي، وإذ ذاك بالطبع، حين يُصبح الأمر كئيباً وفوق طاقتي واحتمالي أهجر المرآة. ولكي أطرد عني مثل هذه الأفكار أتفرَّج على التلفزيون، ويتراءى لي على شاشة الجهاز الذي يبث صوراً بالأبيض والأسود، أن الصراصير تطلعُ منه وتنغل. ما كنتُ أحبّ التلفزيون فقد كان يوقظ في أعماقي ميولاً غريبة. ومن جهة أخرى، كان وجوده في الشقّة مثل شخص آخر يُقاسمني عيشي. وبالطبع، لم يكن الشخص الذي أتوق لصحبته، بل الأحرى أنه أشبه بشخصٍ مشارفٍ على الموتِ يُطلقُ قرقراتٍ متواصلة من معدته. أما التلفزيون الملوَّن فكانَ يُشعرني بأنَّ ما أراه أمامي مجرَّد أشباح طُليَتْ وجوهها بالمساحيق ولها خياشيم صافرة وسُحُنات مُكشِّرة؛ وإذا ما أقمت صلةً بهذه الأشباح راحت تروي لك تفاصيل العمليات الجراحية التي خضعت لها. لذلكَ كنتُ أجد أن التلفزيون أمرٌ سخيف. فبدل أن تدرك صناعة المشهد المرئي أنَّها تستبدّ بمشاهدِ مريضٍ غير ذي نفعٍ لها، تَعْمدَ، على الضدِّ من ذلك، إلى إرهاقه حتّى النفس الأخير. وربَّما خرَّ ذات يوم صريع داءٍ عضال، ولكنْ، في الأثناء، لا بدَّ من متابعةِ دروس الرقص!...

ومع ذلك، فإنَّ التلفزيون هو الذي أشاع على الملأ ثقتي بميلتون وإيماني بموهبته؛ وتدفَّقت عليَّ العروض المغرية للقيام بأدوار للشاشةِ الصغيرة. وكان ميلتون يرفض دائماً هذه العروض، حتى ولو كانت إقامتي في والدورف تاورز تكلّفه ألف دولار في الأسبوع الواحد.

ـ أنتَ لا تؤمن بأنني بارعة في التمثيل، كنتُ أقول له.

ـ أنا لا أؤمن بأنَّكِ ستُجيدين التمثيل في التلفزيون، كان يجيب

قائلاً. فهذا لا يليق بفنانين بمكانتك.

وكانت نبرته حين يقول لي: «فنّان بمكانتك»، تجعلني أدرك أن شيئاً ما في قرارتي سيمنحه دائماً ثقتي العمياء به.

وكان يضيف قائلاً:

ـ لا أرى ما يليق بك سوى القمم. أما التلفزيون فهو السفح.

كنتُ في ذلك الوقت أحيا في وضع غريب. كنتُ مُولعةً بآرثر ميلر. والحقيقة أنني قبل أن أغادر كونيكتيكوت قلت لميلتون إنّني أريد أن أحيا في نيويورك بقرب الرجل الذي أحبّ. وكنتُ على ثقةٍ تامّة بأن ميلتون غرين لطالما اعتقد أنني مولعة، في سرّي، بميلتون غرين. غير أنه سرعان ما أدرك أنَّ اهتمامي، ليومٍ أو ليومين، بأشخاص مثل مارلون براندو أو الأمير رينيه، إنما يزيدني تعلُّقاً بـ «آرت»، وهو الإسم الذي كنت أطلقه على كاتب مسرحي كبير من طراز آرثر ميلر. «آرت» (Art)، كما في «الفن العظيم»، (Grand Art). وكنت أدعوه دائماً آ. م.، (آرثر ميلر)، لأنَّه كان يُحبّ أن ينهض من نومه «قبل الظهر»، (A. M)، ولو لم تكن لآرت هذه الموهبة الرائعة، لاستطاع بالفعل أن يعمل لحساب شركة سينمائية كبيرة، وأن يكون في مقصف نزلٍ صغير عند الساعة السابعة صباحاً لتناول الفطور، مُرتدياً قميصه الأبيض، وربطة عنقه القصيرة، مُتأبّطاً محفظة أوراقه. فالحقُّ أنه كان يعجُّ بالمواهبِ وكنتُ أعشقه.

فيما بعد، عندما علمت آمي بالأمر، أرادت أن تعرف كيف التقينا. أمّا أنا، فكنتُ أودُّ بإصرار أن أبقي صلتي بميلر سرّاً، حتى أني كنتُ

أبذل ما بوسعي لكي أمتنع عن التفكير فيه بحضور آمي، لأنَّ آمي من صنفِ النساء اللواتي ما إنْ ينظرن إلى عينيك حتى يقلن لك: «هيه أنتِ، هناك رجل في حياتك لا تريدين التحادث عنه».

فعندما كانت آمي لا تزال طفلة في كوبا، كانت مُرضعتها ساحرة، أو في الأقل، هذا ما روته لها أسرتها، ولا بدَّ أنَّ هذا ما منحها قوّة الحدس بالأشياء. فما على آمي إلّا أن تَحْدُسَ بشيءٍ، وعلى الفور، لا تعود لديكَ أسرار أمامها! لذا شعرتُ بارتياح كبير حين علمت بالأمر أخيراً. فأخبرتها عندئذٍ، ودون تحرُّج، كيف التقيت آرت بمحض المصادفة منذ سنوات، وحتى قبل أن ألتقي جو ديماجيو. وقد حصل ذلك كأنه مشهد في كوميديا راقصة من إنتاج شركة فوكس، ولكن في إخراجٍ أفضل، لأنني كنتُ بمفردي في الأستديو. ولأنَّ المبنى كان خالياً تماماً رحتُ أتظاهر بتمثيل مشهد راقص مع فْرِد أستير، (Fred Astaire). كنتُ في تمام الانسجام مع مشهدي المتخيّل برفقة فْرِد أستير حين سمعت البابَ يُفْتَح. فقلتُ في سرّي، لا ينبغي أن أكون هنا، ولا بدَّ أن القادم هو حارس المبنى، ولو علم بوجودي فسأُطرد من عملي. فتواريت خَلْفَ الصناديق. ورأيتُ أنَّ المتطفل هو، في الحقيقة، رجلان: أحدهما مخرج سينمائي شهير يُدعى إيليا كازان، (Elia Kazan)، أمّا الآخر فكان آرت. لم أكن أسمع جيّداً ما كان يدور بينهما من كلامٍ، غير أني رأيتهما يتناقشان حول أمر ما، ثمَّ فجأة عَطَسْتُ، ما جعلهما يُدركان على الفور أنهما ليسا وحيدين في الأستديو. ولا شك في أنهما كانا يريدان أن يكونا وحيدين لاستكمال نقاشهما بهدوء، لأنَّهما اضطربا على الفور. فتراجع أقصرهما قامةً،

وأقصد كازان، قليلاً إلى الوراء وفاجأني في مخبئي. وكنتُ مُقْعيَةً هناك خَلْفَ الصناديق أرتعدُ فزعاً.

ـ من أنتِ، وماذا سمعتِ؟ سألني.

فأجبته بصوتٍ شبه منتحبٍ أنني لم أسمع شيئاً. وفي آخر الأمر، لم تكن العواقب وخيمة. فقد عشتُ، فيما بعد، مغامرة قصيرة الأمد مع السيِّد كازان، ثمَّ أصبحنا أصدقاء، صدقاً ما أقول، إذ ليس بالضرورة أن تكون نهايات الأمور بين شخصين مؤلمة ومريعة. باختصار، كان آرثر، في ذلك الوقت، مثال الرجل الخجول الذي يُلازم الصفّ الخلفي. وكنتُ أعلم أنه مؤلف مسرحي شهير وإن لم أشاهد مسرحيته **موت بائع جوّال**، غير أني في ذلك الوقت لم تكن لي أية صلة به. فقد كانت صلتي بكازان الذي رحتُ ألتقيه ويصحبني إلى بعض الأمسيات. وذات مساء، بعد أسابيع قليلة، اصطحبني السيِّد كازان إلى حفلٍ ساهر؛ وخلال هذا الحفل أردتُ أن أتنزّه قليلاً في الحديقة. فالتقيت آرثر ميلر هناك ودارت بيننا أحاديث متفرّقة؛ وأخبرته كم أحبّ أبراهام لنكولن، وأنني أعتقد أنه أعظم رجل وُجِدَ في التاريخ. وخلال أحاديثنا معاً لفتني كم أن أ. م. يشبه لنكولن في شبابه، وأنه لو كان ممثلاً، وكُنتُ أنا من يوزِّع الأدوار، لأسندت إليه هذا الدور. ولكي يضع اللمسات الأخيرة قبل اكتمال المشهد أخبرني أنه كان في صغره يرتاد ثانوية أبراهام لنكولن في بروكلين. وكان طوال الوقت الذي استغرقته أحاديثنا ـ وأقصد ساعات وساعات ـ ظلَّ ممسكاً بإبهام رجلي. فتراءى لي أنه بستاني وأنني وردة جميلة. وأنه يَعْتني بجذوري. وكانت يده اليد الأكثر رقّة، كبيرة، واسعة الكفّ وإبهامُ رجلي الكبير يستكين في

كنفها. وحين تعاودني ذكرى ذلك اللقاء، أدرك أنَّ مثل هذا الشعور هو الذي انتابني عندما امتطيت الفيل الزهري الصغير. ما يعني أنني لم أنسَ آرثر ميلر ولو لحظة واحدة. كنّا نتبادل الرسائل وينصحني بأن لا أكترث كثيراً لفكرة أن الناس يعتبرونني رمزاً جنسياً، بل أن أعي جيّداً بأنَّ ما لديَّ في أعماقي هو روحي الجميلة. وكان يُسعدني جدّاً أن أروي كلَّ هذا لآمي، وكم شعرتُ بالارتياح لأنها علمت بالأمر أخيراً. ذلك أني طيلة فترة إقامتي في كونيكتيكوت، كنتُ أقصد نيويورك، بين الحين والآخر، لقضاء ليلة مع آرثر، سرّاً، ثمَّ أعود إلى كونيكتيكوت بعد ظُهر اليوم التالي. وكم كنتُ أشعر بضيق في طريقِ عودتي كأني قطّ ميازيب أمضى ليلته مُتَسَكّعاً في الأنحاء. كنت أتلهّف لأن أخبر آمي عن صلتي بآرثر، وأن أُسِرّ إليها بأني أمضي الوقت برفقته حين أتغيّب عن كونيكتيكوت. وكم وَدِدت أن أقول لآمي: «آرثر ميلر هو الرجل الذي ألقاه هناك ولكنْ يجب أن تعلمي أنه رجل متزوج وله أولاد وأسرة، وأنني لستُ من طينة النساء اللواتي يخربن البيوت». ولكن لا أحد سيقتنع بصدق مشاعري. فقد عرفتُ عدداً لا بأس به من الأولاد الذين ترعرعوا في كنف عائلاتٍ تبنَّتهم لأنَّ امرأة ما تسببت في انفصال والدهم عن أُمّهم. وما إن يحصل الطلاق لا تعود الأمور فيما بينهما إلى سابق عهدها على الإطلاق. لذا يمكن عملياً اعتبار هؤلاء الأولاد مجرَّد أيتام. وإذا كان ثمة ما لا أطيق أن يُقال عني فيما بعد فهو أنني تَسَبَّبت بحرمان طفل من والديه. كان آرثر يقول لي دائماً إنني لا أفسد شيئاً؛ وإنه وزوجته يُعدّان العدّة للانفصال منذ سنوات. وكنتُ آمل أن ما يقوله آرثر هو الحقيقة، وأردِّد في قرارتي أن

الأمر قد يكون كذلك، غير أني ما استطعت يوماً أن أصارح آمي بهذا الأمر. لذا شعرتُ بالارتياح حين اكتشفت الأمر، علماً بأن الطريقة التي اكتشفته بها بدت لي غريبة بعض الشيء. فذات مساء، كانت آمي وميلتون في طريق عودتهما من نيويورك، قالت آمي فجأة، وكأنه إلهام قذفته في صدرها الساحرة التي أرضعتها في طفولتها: «إن الرجل الذي تُعاشره مارلين هو آرثر ميلر». وكاد ميلتون أن ينحرف بسيّارته إلى خارج الطريق. وفيما بعد، حين سألتها كيف علمت بالأمر أجابتني أنه كان مجرَّد حدس. وعندما كنتُ أشارك في أحاديث حول المسرح، وأسأل من أحادثهم إذا شاهدوا هذه المسرحية أو تلك، كنت أجتنب السؤال مباشرة: «ما رأيكم في آرثر ميلر؟»، بل كنتُ أذكر كلّاً من تينيسي وليامز و وليم إنج، وبعد ذلك، فقط بعد ذلك، أتطرق إلى ذكر آرت في سياق الحديث لا أكثر. وكانت آمي تعتقد أن سلوكي هذا هو الذي جعلها تشكّ في الأمر.

خلاصة القول أنني كنتُ أشعر بارتياح. فقد أصبح بإمكاني أن أجمع ما بين أصدقائي. فشرحتُ للسيّد ميلر أنني كما أعشق التجوال في شوارع بروكلين لأنَّ كلّ هذه المباني المشيَّدة من حجر تُذَكّرني بحرب الانفصال وحرب الاستقلال، (ناهيك عن أن جورج واشنطن قد عبر بروكلين في طريقه إلى نيو جرْسي)، كذلك الأمر أودّ أيضاً أن يلتقي بعض أصدقائي. وعندئذٍ قلت لآمي:

ـ سأذهب إلى نيويورك خلال عطلة الأسبوع، وسأعود برفقة آرثر لتناول طعام الغداء معكم يوم الأحد.

وعدَّدتُ لكيتي لائحة الطعام التي ينبغي أن تعدّها: قطعة رائعة من

الجامبون، وكعكة لذيذة بالبطاطا الحلوة. كنتُ أعشق كعكة البطاطا الحلوة، وكعكة البطاطا، فقالت لي آمي:

ـ أنت لستِ سوى فلاحة يهوديّة. فما تريدينه فعلاً هو أن تزقمي رَجُلَكِ بالأطعمة الحلوة.

ـ والدجاج بالذرة، قلت لها، وهو طبق آخر تَبْرع كيتي في إعداده، والسَّلَطَة والجزر بالسكَّر، والكثير من أجودِ أنواع النبيذ.

كنتُ أطيرُ فرحاً لفكرة أن آرثر سيأتي أخيراً، وشعرتُ بأنّ البيت مُشرقٌ فملأتُ أرجاءه بباقات الزهور.

أعتقد أنني كنت مشدودة الأعصاب قليلاً حين وصل أخيراً. كان يستغرق في أحاديث طويلة. لا بل الحقيقة أنَّ آرت لم يكفَّ لحظة واحدة عن الكلام. إنه يَبْرع في سَرْدِ الطرائف فأجد متعةً حقيقية في الاستماع إليه. غير أني أعلم جيّداً أن آمي، وإن كانت تكنّ له احتراماً كبيراً، تودّ هي أيضاً أن تدلي بدلوِها، لذا قُلتُ في النهاية: «لقد أحبَّت آمي **موت بائع جوّال**، ما أتاح لها أن تروي لنا ما جرى في الليلة التي شاهدتها فيها وكيف أن الناس عند الخاتمة لم يصفّقوا لشدة إعجابهم وذهولهم. فقد كان التصفيق، أردفت قائلة، أشبه بتدنيسٍ مُقَدَّسٍ، وإفساد ما أحسَّ به الجمهور. وقال آرثر إن مثل هذا الأمر كان يتكرَّر تقريباً كلَّ عشرة عروض، وإنَّه يحبّذ هذا النوع من ردّ الفعلِ من قِبَل الجمهور. ثمَّ انتقلنا إلى ردهة الجلوس لتناول القهوة ـ فآرثر واحدٌ من محتسي القهوة النهمين ـ وشرع يتحدَّث عن المسرح. وناقشنا جميعاً موضوع فيلم «محطة الباص»، الذي تريد شركة فوكس أن ألْعَبَ دوراً

فيه، إذا ما استطعت أن أفرض على الشركة عقداً مختلفاً وجديداً، كما تداولنا في ما إذا كان روك هودسون يصلح لأن يقوم فيه بدور البطولة أم لا. وبعد أن غادرنا آرثر كنتُ أتحرَّق شوقاً لأقف على كافة انطباعات آمي بشأن الرجل الذي سيُشاركني حياتي. وكانت تُرَدِّدُ بأنه رَجُلٌ لطيف جدّاً. سوى أني لم أستشعر في نبرتها حين تقول ذلك ما قد يشي بإعجابٍ فِعلي. بعد يومين أو ثلاثة قلتُ لميلتون بحضورها: «آمي لا تحبّ آرثر»، فسارعت إلى القول: «مهلاً، ليس لي مأخذ على هذا الرجل». فأيقنتُ أنني على حقّ.

ولكنْ، سيّان عندي. فقد أصبحتُ مقيمةً في والدورف وما عُدنا، آرت وأنا، نحتاج للتجوال لساعاتٍ طويلة في شوارع بروكلين لكي نثبت لأنفسنا أن الحبَّ ليس مجرَّد جنس، بل هو أيضاً ذلك الشعور الرائع الذي قد ينتابُ أحدنا وهو يتأمَّل المنازل العتيقة برفقة الآخر.

وكانت المرَّة التالية التي اجتمعنا فيها، آرثر وأنا، بآمي وميلتون، في مطعم جيمي لاغرانج، المجهَّز بصالةٍ منفردة في مؤخَّر المحلّ تفصلها عن المساحة المتبقية سواتر تتيح للراغبين جلسةً هادئة. وكان جميع مَنْ فيه، من زبائن وعاملين، على قدر من الكياسة، خصوصاً عازف البيانو الذي بدا لي رجلاً ساحراً بالفعل. وكنّا قد اتفقنا مُسبقاً أن نصل أنا وميلتون وآمي أوَّلاً، على أن يلحق بنا آرت على حدة لكي لا يلفت الأنظار إليه. «يكفي أنك في خصومة متواصلة مع شركة فوكس، قالت لي آمي؛ فلا داعي إذاً لأن يُقال عنك أيضاً إنَّك خاربة بيوت».

والحقيقة أنّنا كنّا حذرين جدّاً، فحتى حين ذهبنا إلى العرض الافتتاحي لمسرحية «هرّة فوق سطح ساخن»، بوصفنا مدعوين من قبل تينيسي وليامز، وبما أني كنتُ أرتدي ثوباً مكشوف الرقبة والكتفين ولا بدَّ أنَّ مصوّري الصحف سيرابطون هناك، اضطر آرثر للحاق بنا بعد وقت. فيما بعد، خلال الحفل الساهر الذي أعقب العرض الافتتاحي التقينا، وهناك تخلّيت عن أي حذر أو مراعاة ولازمته، جنباً إلى جنب، طوال الأمسية. ففي ركنٍ مخفيّ في أعماق شخصينا لا بدَّ أنَّ شيئاً ما قد قال: «تبّاً للصيت السيِّىء الذي تريد أن تجنبني إيّاه، وفكِّر قليلاً بالصيتِ الطيّب الذي أفتقد إليه!».

كانت مضخّة المياه العتيدة تعمل على أحسن ما يُرام. وربَّما كان طموحي أيضاً لا يخلو من شغف. وبأية حال، كان هذا الأمر يثير فيَّ طاقة ما، خصوصاً حين أفكّر بآرت وبنفسي. حتى أولئك الذين لا يطيقون سماع إسمي سيُضطرّون في آخر الأمر إلى الإقرار بأن مارلين مونرو الصغيرة هذه ليست مُجرَّد ذريعة للغرائز الجنسية الدنيئة. ولن يجرؤ أحدٌ في أميركا على الزعم بأن سيّداً من أمثال آرثر ميلر، صاحب هذا الوجه الزاخر بالرصانة، من شأنه أن يهجُسَ بالجَوانب القذرة من الجنس. ومن يزعم هذا كأنَّه يزعم بأن أبراهام لنكولن كان لا يكفّ عن قَرْصِ أقفية الفتيات. لا، بالتأكيد، وسواء شاءَ المُتَعَفِّفون أم أبَوا، فلن يلبث هؤلاء أن يعترفوا بأنَّ: «مارلين مونرو لا بدَّ أن تكون على قدر من الذكاء أكبر مما كنّا نظنّ». ولم يخطر ببالي آنذاك أنهم بالأحرى سيقولون: «لقد فقد آرثر ميلر صوابه».

حتّى لو أردت أن يعلم الجميع بأمرِ علاقتنا، فقد كان عليَّ، مع

ذلك، أن ألزم حذري. فالأمور لا تأخذ مجراها مع آرثر ميلر إلّا على مراحل. وكنتُ أقول في سرّي إنّه ذو موهبة تفضّل الاستتار على العلن وإنه لهذا السبب لا يرغب في أن يضيف إلى حياته أكثر من عنصر واحدٍ في المرّة الواحدة. وأدركت ذلك حين لاحظتُ أناته وتمهّله في الارتباط بعلاقة صداقة مع آل غرين.

بالإضافة إلى ذلك، لم يكن آرت من المعجبين حقاً بلي ستراسبرغ، (Lee Strasberg). فالآن وقد أصبحت مقيمة في نيويورك، في والدورف تاورز، وجدتني أخوض تجربة حياتي الفكرية من خلال متابعة دروس التمثيل في الـ Actors Studio. وكنتُ أذهب إليه لأشاهد عروضاً مُتَنَوِّعة بعد أن تلقيت دروساً خصوصية على يد السَّيِّد ستراسبرغ، وعلى الرغم من كلِّ ما كنتُ قد تعلّمته حتّى ذلك اليوم من فنّ التمثيل، فإنَّ ذلك لم يكن شيئاً إذا قورن بما يفعله السَّيِّد لي. إنه يزرع في روعك الخوف من أن تُمَثِّل على نحوٍ رديء. ويولِّد لديك الانطباع بأنَّك إن زيَّفتَ لعبك على المسرح، فهذا يعني أنَّك اقترفتَ الأسوأ. ولم يكن لي من صنفِ الرجال ذوي المظهر اللافت: كان قصير القامة، صارم المحيّا. ويبدو دائماً كأنَّه يَشْتَمُّ لدى الآخرين ما ينبغي الاعتراض عليه فوراً. ومع ذلك، لم يرمقني مرّة واحدة بمثل هذه النظرة. وأحْسَبُ أن أمراً ما جذبني إليه منذ لقائنا الأوّل، لأنَّه كلّما نظر إليّ كنتُ أرى الشمسَ تلمع في عينيه. وأعتقد أنه كان واثقاً أنَّه ليس في أعماقي أي شيء زائف. وهذا هو أجمل مديح أطمع في سماعه. طوال ذلك العام الذي قضيته في والدورف، كنتُ أشعر دائماً أنني تحت رقابة ثلاثة رجال أذكياءٍ وذوي موهبة، (ميلتون واحد منهم). وفي

بعض الأحيان كان هذا الشعور يغمرني بالسعادة. حتّى أن ميلتون عرّفني بمارلين ديتريتش ذات يوم، ولوهلة شعرت، بالفعل، بأنني مثلها.

◆

لقد كان لي، أي السَّيِّد ستراسبرغ، يستخدمُ قاموس مفردات يسخر منه كثير من الناس. فيستخدم عبارات مثل «تَكَيُّف» و «اتصال» و«تركيز»، ومَنْ لا يعمل في حقل التمثيل يَصْعُب عليه أن يدرك معاني هذه العبارات. أمّا عن أداءِ دور ما، فكنتُ أعتقد، بعامة، أنّ الدور الجيّد له وجود حقيقي، مثل روح تُستحضر؛ والفارق الوحيد أننا لا نحتاج إلى شيء من فنون التبصير والتبريج لكي ندركها. يكفي أن نقيم «الاتصال». ففي أعماقِ ذاته يشعر المُمَثِّل متى يَلج الشخصية التي يؤديها. أو الأحرى، يتفاقم الدور ويتعاظمُ في ذاتِ الممثل. والواقع أن تجربة التمثيل تبدو مُرعبة إن لم يتمّ هذا «الاتصال». أمّا أنا، فقد كنتُ، فيما يعنيني، أتَوَصَّل إلى مَوْضَعَة هذا الاتصال. فحين تكون قادراً على تقليد شخص ما، تشعر بأنَّ لك من الحقوقِ على شخصيته أكثر مما له هو، (حتّى ولو كان الرئيس أيزنهاور هو من تقلّده). هذا هو «الاتصال» الحقيقي. ولكن المشكلة في أن يعرف المرء كيف يُحافظ عليه؛ وهنا دور التركيز. وقد كان السَّيِّد ستراسبرغ يُعامل من يفقد التركيز من الممثلين، بضراوة نَمر. فقد يكون على الممثل أن يتقمَّص دوراً ما لمدة عشرين دقيقة أو ساعة إذا كان الفصلُ طويلاً بعض الشيء؛ فالأجدر أن يقدر على التركيز، لأنَّ أشياء كثيرة، سواء على المسرح أو بين صفوف الجمهور، قد تطرأ وتفقده الاتصال.

وهذا مثل على ما أقول: قد يتوجّب عليك أن تلعب دور شخصية مولعة بإحدى الشخصيات الأخرى على المسرح. والحالُ أن المُمَثِّل الذي يلعبُ دور المعشوق يبدو لك، كفَرْدٍ، مُقَزِّزاً. عندئذٍ لا بدَّ من التكيُّف. فلا يعود كلامك موجَّهاً إلى هذا الكائن بالذات، بل إلى كائنٍ مُتَخَيَّل حلَّ محلّه، كائن يريد أن يستثير فيك المشاعر الجميلة. غير أن ما يتطلبه مثل هذا الجهد هو هذا القدر الهائل من التركيز. فمن الضروري أن تكون قادراً على القولِ في قرارةِ نفسك: «إنني أُخاطب آرثر ميلر الآن، وليس تلك اليرقانة التي تقف قبالتي».

قُصارى القول أنني طيلة ذاك الشتاء، وذاك الربيع وذاك الصيف، عملتُ مع ستراسبرغ وتابعت دروس الـ Actors Studio؛ والتقيت هناك بعددٍ كبير من الممثلين ومن بينهم مارلون براندو. ونظراً للظروف، لم يكن باستطاعة آرت أن يأتي لزيارتي كُلَّ مساء، وهناك لحظات يُصبحُ فيها الموقف مُحبطاً. فليس من دواعي البهجة دائماً أن تمضي لحظات رائعة برفقة من تُحبّ ثم تعلم بعد ذلك أنه ينبغي أن يعود إلى زوجته. ففي بعض الأيام إذاً كنتُ أعلم أنني سأمضي الأمسية وحيدة؛ وإذا شاءت الظروف بعد ظهر يومٍ كهذا أن يكون مارلون براندو في الأستديو، ويقول لي: «أتودّين أن نذهب سوياً لتناول طعام العشاء؟» كنتُ أوافق على الفور. وما نفعله بعد العشاء لا نُخطِّط له مُسبقاً، ولا جدوى من الإسهاب في تفصيله. فمهما يكن، أحتفظ به لنفسي؛ إذ لم يكن في نيّتي أن أُفسد علاقتي بآرت بسبب هفوةٍ لا شأنَ لها.

لقد كان عاماً حاولت فيه، (إذ ينبغي القول هنا)، أن أعطي الأولوية

لتثقيف نفسي. ولم أكتفِ بالكثير الذي تعلمته خلال الشتاء السابق في كونيكتيكوت، بل كان آرثر يُحضر لي الكثير من المؤلفات الأدبية والروايات لا سيما الروسية منها وكنّا نناقش احتمال أن ألعب ذات يوم دور غروشنكا، (Grouchenka)، (أحد أبطال دوستويفسكي). كما قرأتُ عدداً لا يُحصى من الكتيّبات حول البروليتاريا التي يتضح، إذا ما تنبّهنا قليلاً، أنها ترزح تحت سيطرة القول المُتَنَفِّذة. وكنتُ ألاحظ بوضوح التعابير التي ترتسمُ على وجه آمي حين أكلّمها عما أصبحت أعرفه، وكأنها تُفَكِّر أن هناك من يزقمني مثل إوزة؛ وربَّما كان هذا ما أريده في قرارة نفسي؛ فتحضرني صور أولئك المنتجين أرباب هوليود وهم من علية القوم، وكم يسعدهم أن ترى إليهم بعينِ الذلّ. أما أنا فكنتُ أشبه نفسي بالبروليتاريا، وكم كانت تروق لي فكرة أن البروليتاري ليس مديناً ولن يكون مديناً لأحد في المستقبل.

وحين كانت آمي تسمعني أتحدَّث عن كلِّ هذا، كانت تنفجر غضباً، (وهذا تعبير تعلَّمته وأحبّ استخدامه)، حتى يتراءى لي أنني أرى شرقطات غضبها تتحلَّق في هالةٍ من حولها.

ـ مَهْلَكِ لحظة، كانت تقول، ما هذا الهراء؟ لقد قرأت كتاباً حول ماركس وآخر حول لينين، غير أن هذا كلّه ليس أكثر من تخريف، ليس أكثر من يوطوبيا. هذه الأمور لا يمكن أن تصبح حقيقة. وَضَعي هذا في رأسك جيّداً يا مارلين: هناك أشياء كثيرة نحبّها في هذه البلاد.

بالطبع، لقد حظيت آمي، المولودة في كوبا، بالجنسية ولن تسمح لأحد أن ينتقد أميركا في حضورها. وهي مستعدَّة لأن تَقْتُل من أجل ذلك. فحين قلت لها ذات يوم:

ـ إن الطبقات العمالية في الغرب لن تقبل أبداً بالحرب الباردة.

أجابتني:

ـ ما هذا؟ لمَ تقولين هذا؟

ـ آرثر هو الذي قاله.

ـ لا شأن لي بما يقوله آرثر.

وكدتُ لا أُصَدِّق أذنيّ. وعلى الفور ذهبت واشترت لي كتاباً حول حقوق الإنسان وآخر حول إعلان الاستقلال. واللافت أنها اختارت الكتابين من السلاسل المخصّصة للفتيان بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة من العمر. ولم أغفر لها فعلتها هذه. وفي الوقت نفسه كنتُ أشعر بأنَّه لا جدوى من سؤال ميلتون حول هذه الموضوعات. فما إن يدور الحديث حول شؤون السياسة حتى تبدو على وجهه سمات السذاجة كأنه شخصية خرافية طلعت لتوِّها من كتاب **اليس في بلاد العجائب**.

ويسأل بصوتٍ أجشّ:

ـ أليس على ما يُرام؟

ـ ما الذي ينبغي أن يكون على خير ما يرام؟

وكنتُ أحياناً أرى ميلتون أكثر جهلاً منّي. وإذ ذاك أسأل نفسي كيف أمكنه أن يحقق مثل هذه الصور الفوتوغرافية الجميلة.

ـ إسمعي، كان يقول، الأمور تسير في مجراها الطبيعي. وكلُّ شيء قائم على قدمٍ وساق. خفِّفي عنكِ. ليس بإمكانك أن تُلبسي التاريخ نعلين جديدين.

لقد نشأ كلٌّ من ميلتون وآرثر في منطقة بروكلين، غير أن آرثر كان يُعامل ميلتون كأنَّه يتحدَّث باللغة الصينية.

«أي حماقات يتفوّه بها هذا المهرِّج؟» كأنَّ هذه العبارة هي التي تدور في خلد آرثر حين يسمع كلام ميلتون. وفي كلِّ مرَّة تحاول آمي أن تناقشه كان لا يتوانى عن إبداء امتعاضه. فأقول في سرّي: «يا لجرأة آمي! آرت كاتب مسرحي كبير، ولو قُيّض لهم لمنحوه كافة الجوائز». وذات يوم، دخلتُ إحدى الحجرات وسمعت ميلتون يُجَرِّح على مسمع من آمي بأحدهم لآمي، وأدركت أنَّه يقصد آرثر. وعلى الرغم من ذلك، كنتُ أراهما باستمرار؛ فحين أشعر بالوحدة في والدورف، أذهبُ لزيارتهما في كونيكتيكوت، وأقضي معهما يوماً أو يومين، وغالباً ما كنّا نذهبُ في الأماسي لمشاهدة العروض المسرحية. شاهدنا «محطة الباص» ثلاث مرّات. وفي المرَّة الأولى، ما أن أُسدِلَت الستارة حتى صاح ميلتون قائلاً:

ـ أنتِ وشيري توأمان.

وأزعجني كلامه. فشيري هذه مغنية رديئة من الدرجة العاشرة تعمل في الخمّارات، والفارق الوحيد يكمن في أن أحداث المسرحية تجري في برودواي وأنّ الآنسة كيم ستانلي تلعب الدور. والآنسة ستانلي تحظى باحترام كبير في الـ Actors Studio، وقد شهدت بنفسي عملها الرائع هناك. وكنتُ في قرارة نفسي أسأل دائماً إذا كنتُ سأصبح مثلها ذات يوم. فهل يحقّ لي أن ألعب دورها؟

قال لي ميلتون إن كيم ستانلي لن يكون لها، بالتأكيد، التأثير الذي

أمتلكه أنا لجذب مشاهدي السينما. لذا ليس عليَّ أن أطرح السؤال على نفسي. فليس بالأمر خيانة لها مهما حصل.

عدنا مرَّة ثانية وثالثة لمشاهدة «محطة الباص». وفي كلِّ مرَّة كانت تزداد قناعتي بعظمةِ الأداء. ألبرت سالمي، كان يلعب دور البطل إلى جانب كيم ستانلي؛ وسالمي، هو أيضاً، من الـ Actors Studio، وأداؤه رائع. فبالنسبة لي، الـ Actors Studio يُعادل التخرّج من جامعة برنستون؛ والأمر جليّ واضح. نسمع كثيراً عبارة: «لقد تخرّجت من (جامعة) هارفْرد. فأنا مهيّأ لإدارة مصرف». ومثل هذا القول يصحّ على الـ Actors Studio. «أنا مهيّأ لأن أكون ممثلاً غامضاً ورائعاً». لقد كان ألبرت سالمي «على اتصال»، فِعْليّ، بدوره. وراحت تستبد بي الرغبة مِلْحاحة لأن ألعب دور البطولة النسائية إلى جانبه. ولم يحل هذا دون إصراري على القول إن أداء كيم ستانلي كان مذهلاً، غير أني رحتُ أرى بعض التفاصيل التي أستطيع أن أضيفها إلى الأداءِ لكي يُصبح أفضل. لقد كانت ستانلي تؤدي دور شيري كشخصية حمقاء، أما أنا فسأذهب إلى أبعد من ذلك، وسأكون حمقاء. حمقاء بالفعل. فقد كنتُ، في الأقل، واثقة من أنني سأكون قادرة على إقامة «الاتصال» بصبيةِ الميتم.

◆

أبلغ إليَّ ميلتون أنني سألتقي جوشوا لوغان، (Joshua Logan)، مخرج مسرحية «محطة الباص»؛ وحادثني بشأن عقد شامل مع شركة فوكس، غير أني كنتُ لا أكفُّ عن القول:

ـ لا أعتقد أنه سيكون بإمكاني أن ألتقي جوشوا لوغان. أقصد أن هذا الرجل لن يرغب، بالتأكيد، في لقائي. ولمَ يفعل؟

وكنتُ أردّد في سرّي طوال الوقت: جوش لوغان هو الرجل الذي صوّر «مستر روبرتس»، (Mr. Roberts)، و «جنوب المحيط الهادىء» (South Pacific). فأسرَّ إليّ ميلتون أنَّ ردّ فعل جوش لوغان مماثل لردّ فعلي، لأنَّه لم يسبق له أن أدار الممثلين كمخرجٍ في فيلم. ولذا، فقد أذهلته فكرة أنني أرغبُ في لقائه، بأسرع وقت! ولكني لم أُصَدِّق شيئاً ممّا يقول. فميلتون أشبه بأولئك التجّار القادرين على إقناعك بشراء سجّادة وأنتَ في الطريق، لطيبةٍ ما تنضح من عيونهم. ومع ذلك، حين تعرَّفت بلوغان وزوجته نِدّا، (Nedda)، وجدتهما فاتنين بالفعل. آهٍ، كم كنتُ مولعةً بمسرحِ نيويورك حتى أنني كنتُ أؤدي دوراً في «آنّا كريستي»، (Anna Christie)، في الأستديو، إلى جانب مورين ستابلتن، (Moureen Stapleton)، وكان أصعبَ ما أدَّيته في حياتي. فقد كان اليوم الذي أدَّيت فيه الدور والليلة التي سبقته من أسوأ لحظات عمري. شعرتُ بأنني فقدتُ جلدي. وحين أؤدّي دوري، تظهر كافة مشاعري إلى العيان؛ كأني الأرملة يوم دفن زوجها؛ ولمجرَّد قولي صباح الخير للناس كأني أتسبب بكارثة. فالخشية أن لا أتمالك نفسي عن البكاء. ومع ذلك أنهيت دوري على خير ما يُرام ووجد البعضُ أنني كنتُ رائعة. حتى أنَّ لي ستراسبرغ أسرَّ، ذات يوم، إلى جوش لوغان أنني ومارلون براندو أفضل ممثلي سينما تعرَّفَ إلى عملهما عن كثب، وأنَّه، من بيننا نحن الإثنين، أنا الأفضل، (وكم وددتُ أن يسمع مارلون هذا الكلام، لكان أفسَدَ نهاره!).

قائلاً. فهذا لا يليق بفنانين بمكانتك.

وكانت نبرته حين يقول لي: «فنّان بمكانتك»، تجعلني أدرك أن شيئاً ما في قرارتي سيمنحه دائماً ثقتي العمياء به.

وكان يضيف قائلاً:

ـ لا أرى ما يليق بك سوى القمم. أما التلفزيون فهو السفح.

كنتُ في ذلك الوقت أحيا في وضع غريب. كنتُ مُولعةً بآرثر ميلر. والحقيقة أنني قبل أن أغادر كونيكتيكوت قلت لميلتون إنَّني أريد أن أحيا في نيويورك بقرب الرجل الذي أحبّ. وكنتُ على ثقةٍ تامّة بأن ميلتون غرين لطالما اعتقد أنني مولعة، في سرّي، بميلتون غرين. غير أنه سرعان ما أدرك أنَّ اهتمامي، ليومٍ أو ليومين، بأشخاص مثل مارلون براندو أو الأمير رينيه، إنما يزيدني تعلُّقاً بـ «آرت»، وهو الإسم الذي كنت أطلقه على كاتب مسرحي كبير من طراز آرثر ميلر. «آرت» (Art)، كما في «الفن العظيم»، (Grand Art). وكنت أدعوه دائماً آ. م.، (آرثر ميلر)، لأنَّه كان يُحبّ أن ينهض من نومه «قبل الظهر»، (A. M)، ولو لم تكن لآرت هذه الموهبة الرائعة، لاستطاع بالفعل أن يعمل لحساب شركة سينمائية كبيرة، وأن يكون في مقصف نزلٍ صغير عند الساعة السابعة صباحاً لتناول الفطور، مُرتدياً قميصه الأبيض، وربطة عنقه القصيرة، مُتأبِّطاً محفظة أوراقه. فالحقُّ أنه كان يعجُّ بالمواهبِ وكنتُ أعشقه.

فيما بعد، عندما علمت آمي بالأمر، أرادت أن تعرف كيف التقينا. أمّا أنا، فكنتُ أودُّ بإصرار أن أبقي صلتي بميلر سرّاً، حتى أني كنتُ

أبذل ما بوسعي لكي أمتنع عن التفكير فيه بحضور آمي، لأنَّ آمي من صنفِ النساء اللواتي ما إنْ ينظرن إلى عينيك حتى يقلن لك: «هيه أنتِ، هناك رجل في حياتك لا تريدين التحادث عنه».

فعندما كانت آمي لا تزال طفلة في كوبا، كانت مُرضعتها ساحرة، أو في الأقل، هذا ما روته لها أسرتها، ولا بدَّ أنَّ هذا ما منحها قوّة الحدس بالأشياء. فما على آمي إلّا أن تَحْدُسَ بشيءٍ، وعلى الفور، لا تعود لديكَ أسرار أمامها! لذا شعرتُ بارتياح كبير حين علمت بالأمر أخيراً. فأخبرتها عندئذٍ، ودون تحرُّج، كيف التقيت آرت بمحض المصادفة منذ سنوات، وحتى قبل أن ألتقي جو ديماجيو. وقد حصل ذلك كأنه مشهد في كوميديا راقصة من إنتاج شركة فوكس، ولكن في إخراجٍ أفضل، لأنني كنتُ بمفردي في الأستديو. ولأنَّ المبنى كان خالياً تماماً رحتُ أتظاهر بتمثيل مشهد راقص مع فْرِد أستير، (Fred Astaire). كنتُ في تمام الانسجام مع مشهدي المتخيّل برفقة فْرِد أستير حين سمعت البابَ يُفْتَح. فقلتُ في سرّي، لا ينبغي أن أكون هنا، ولا بدَّ أن القادم هو حارس المبنى، ولو علم بوجودي فسأُطرد من عملي. فتواريت خَلْفَ الصناديق. ورأيتُ أنَّ المتطفل هو، في الحقيقة، رجلان: أحدهما مخرج سينمائي شهير يُدعى إيليا كازان، (Elia Kazan)، أمّا الآخر فكان آرت. لم أكن أسمع جيّداً ما كان يدور بينهما من كلامٍ، غير أني رأيتهما يتناقشان حول أمر ما، ثمَّ فجأة عَطَسْتُ، ما جعلهما يُدركان على الفور أنهما ليسا وحيدين في الأستديو. ولا شك في أنهما كانا يريدان أن يكونا وحيدين لاستكمال نقاشهما بهدوء، لأنَّهما اضطربا على الفور. فتراجع أقصرهما قامةً،

وأقصد كازان، قليلاً إلى الوراء وفاجأني في مخبئي. وكنتُ مُقْعيَةً هناك خَلْفَ الصناديق أرتعدُ فزعاً.

ـ من أنتِ، وماذا سمعتِ؟ سألني.

فأجبته بصوتٍ شبه منتحبٍ أنني لم أسمع شيئاً. وفي آخر الأمر، لم تكن العواقب وخيمة. فقد عشتُ، فيما بعد، مغامرة قصيرة الأمد مع السيِّد كازان، ثمَّ أصبحنا أصدقاء، صدقاً ما أقول، إذ ليس بالضرورة أن تكون نهايات الأمور بين شخصين مؤلمة ومريعة. باختصار، كان آرثر، في ذلك الوقت، مثال الرجل الخجول الذي يُلازم الصفّ الخلفي. وكنتُ أعلم أنه مؤلف مسرحي شهير وإن لم أشاهد مسرحيته **موت بائع جوّال،** غير أني في ذلك الوقت لم تكن لي أية صلة به. فقد كانت صلتي بكازان الذي رحتُ ألتقيه ويصحبني إلى بعض الأمسيات. وذات مساء، بعد أسابيع قليلة، اصطحبني السيِّد كازان إلى حفلٍ ساهر؛ وخلال هذا الحفل أردتُ أن أتنزّه قليلاً في الحديقة. فالتقيت آرثر ميلر هناك ودارت بيننا أحاديث متفرِّقة؛ وأخبرته كم أحبّ أبراهام لنكولن، وأنني أعتقد أنه أعظم رجل وُجِدَ في التاريخ. وخلال أحاديثنا معاً لفتني كم أن أ. م. يشبه لنكولن في شبابه، وأنه لو كان ممثلاً، وكُنتُ أنا من يوزِّع الأدوار، لأسندت إليه هذا الدور. ولكي يضع اللمسات الأخيرة قبل اكتمال المشهد أخبرني أنه كان في صغره يرتاد ثانوية أبراهام لنكولن في بروكلين. وكان طوال الوقت الذي استغرقته أحاديثنا ـ وأقصد ساعات وساعات ـ ظلَّ ممسكاً بإبهام رجلي. فتراءى لي أنه بستاني وأنني وردة جميلة. وأنه يَعْتني بجذوري. وكانت يده اليد الأكثر رقّة، كبيرة، واسعة الكفّ وإبهامُ رجلي الكبير يستكين في

كنفها. وحين تعاودني ذكرى ذلك اللقاء، أدرك أنَّ مثل هذا الشعور هو الذي انتابني عندما امتطيت الفيل الزهري الصغير. ما يعني أنني لم أنسَ آرثر ميلر ولو لحظة واحدة. كنّا نتبادل الرسائل وينصحني بأن لا أكترث كثيراً لفكرة أن الناس يعتبرونني رمزاً جنسياً، بل أن أعي جيّداً بأنَّ ما لديَّ في أعماقي هو روحي الجميلة. وكان يُسعدني جدّاً أن أروي كلَّ هذا لآمي، وكم شعرتُ بالارتياح لأنها علمت بالأمر أخيراً. ذلك أني طيلة فترة إقامتي في كونيكتيكوت، كنتُ أقصد نيويورك، بين الحين والآخر، لقضاء ليلة مع آرثر، سرّاً، ثمَّ أعود إلى كونيكتيكوت بعد ظُهر اليوم التالي. وكم كنتُ أشعر بضيق في طريقِ عودتي كأني قطّ ميازيب أمضى ليلته مُتَسَكّعاً في الأنحاء. كنت أتلهّف لأن أخبر آمي عن صلتي بآرثر، وأن أُسِرّ إليها بأني أمضي الوقت برفقته حين أتغيّب عن كونيكتيكوت. وكم وَدِدت أن أقول لآمي: «آرثر ميلر هو الرجل الذي ألقاه هناك ولكنْ يجب أن تعلمي أنه رجل متزوج وله أولاد وأسرة، وأنني لستُ من طينة النساء اللواتي يخربن البيوت». ولكن لا أحد سيقتنع بصدق مشاعري. فقد عرفتُ عدداً لا بأس به من الأولاد الذين ترعرعوا في كنف عائلاتٍ تبنَّتهم لأنَّ امرأة ما تسببت في انفصال والدهم عن أُمّهم. وما إن يحصل الطلاق لا تعود الأمور فيما بينهما إلى سابق عهدها على الإطلاق. لذا يمكن عملياً اعتبار هؤلاء الأولاد مجرَّد أيتام. وإذا كان ثمة ما لا أطيق أن يُقال عني فيما بعد فهو أنني تَسَبَّبت بحرمان طفل من والديه. كان آرثر يقول لي دائماً إنني لا أفسد شيئاً؛ وإنه وزوجته يُعدّان العدّة للانفصال منذ سنوات. وكنتُ آمل أن ما يقوله آرثر هو الحقيقة، وأردِّد في قرارتي أن

الأمر قد يكون كذلك، غير أني ما استطعت يوماً أن أصارح آمي بهذا الأمر. لذا شعرتُ بالارتياح حين اكتشفت الأمر، علماً بأن الطريقة التي اكتشفته بها بدت لي غريبة بعض الشيء. فذات مساء، كانت آمي وميلتون في طريق عودتهما من نيويورك، قالت آمي فجأة، وكأنه إلهام قذفته في صدرها الساحرة التي أرضعتها في طفولتها: «إن الرجل الذي تُعاشره مارلين هو آرثر ميلر». وكاد ميلتون أن ينحرف بسيّارته إلى خارج الطريق. وفيما بعد، حين سألتها كيف علمت بالأمر أجابتني أنه كان مجرَّد حدس. وعندما كنتُ أشارك في أحاديث حول المسرح، وأسأل من أحادثهم إذا شاهدوا هذه المسرحية أو تلك، كنت أجتنب السؤال مباشرة: «ما رأيكم في آرثر ميلر؟»، بل كنتُ أذكر كلاًّ من تينيسي وليامز و وليم إنج، وبعد ذلك، فقط بعد ذلك، أتطرق إلى ذكر آرت في سياق الحديث لا أكثر. وكانت آمي تعتقد أن سلوكي هذا هو الذي جعلها تشكّ في الأمر.

خلاصة القول أنني كنتُ أشعر بارتياح. فقد أصبح بإمكاني أن أجمع ما بين أصدقائي. فشرحتُ للسيّد ميلر أنني كما أعشق التجوال في شوارع بروكلين لأنَّ كلّ هذه المباني المشيَّدة من حجر تُذَكّرني بحرب الانفصال وحرب الاستقلال، (ناهيك عن أن جورج واشنطن قد عبر بروكلين في طريقه إلى نيو جرْسي)، كذلك الأمر أودّ أيضاً أن يلتقي بعض أصدقائي. وعندئذٍ قلت لآمي:

ـ سأذهب إلى نيويورك خلال عطلة الأسبوع، وسأعود برفقة آرثر لتناول طعام الغداء معكم يوم الأحد.

وعدَّدتُ لكيتي لائحة الطعام التي ينبغي أن تعدّها: قطعة رائعة من

الجامبون، وكعكة لذيذة بالبطاطا الحلوة. كنتُ أعشق كعكة البطاطا الحلوة، وكعكة البطاطا، فقالت لي آمي:

ـ أنت لستِ سوى فلاحة يهوديّة. فما تريدينه فعلاً هو أن تزقمي رَجُلَكِ بالأطعمة الحلوة.

ـ والدجاج بالذرة، قلت لها، وهو طبق آخر تَبْرع كيتي في إعداده، والسَّلَطَة والجزر بالسكَّر، والكثير من أجودِ أنواع النبيذ.

كنتُ أطيرُ فرحاً لفكرة أن آرثر سيأتي أخيراً، وشعرتُ بأنّ البيت مُشرقٌ فملأتُ أرجاءه بباقات الزهور.

أعتقد أنني كنت مشدودة الأعصاب قليلاً حين وصل أخيراً. كان يستغرق في أحاديث طويلة. لا بل الحقيقة أنَّ آرت لم يكفَّ لحظة واحدة عن الكلام. إنه يَبْرع في سَرْدِ الطرائف فأجد متعةً حقيقية في الاستماع إليه. غير أني أعلم جيّداً أن آمي، وإن كانت تكنّ له احتراماً كبيراً، تودّ هي أيضاً أن تدلي بدلوِها، لذا قُلتُ في النهاية: «لقد أحبَّت آمي موت بائع جوّال، ما أتاح لها أن تروي لنا ما جرى في الليلة التي شاهدتها فيها وكيف أن الناس عند الخاتمة لم يصفّقوا لشدة إعجابهم وذهولهم. فقد كان التصفيق، أردفت قائلة، أشبه بتدنيسِ مُقَدَّسٍ، وإفساد ما أحسَّ به الجمهور. وقال آرثر إن مثل هذا الأمر كان يتكرَّر تقريباً كلَّ عشرة عروض، وإنَّه يحبّذ هذا النوع من ردّ الفعلِ من قِبَل الجمهور. ثمَّ انتقلنا إلى ردهة الجلوس لتناول القهوة ـ فآرثر واحدٌ من محتسي القهوة النهمين ـ وشرع يتحدَّث عن المسرح. وناقشنا جميعاً موضوع فيلم «محطة الباص»، الذي تريد شركة فوكس أن أَلْعَبَ دوراً

فيه، إذا ما استطعت أن أفرض على الشركة عقداً مختلفاً وجديداً، كما تداولنا في ما إذا كان روك هودسون يصلح لأن يقوم فيه بدور البطولة أم لا. وبعد أن غادرنا آرثر كنتُ أتحرَّق شوقاً لأقف على كافة انطباعات آمي بشأن الرجل الذي سيُشاركني حياتي. وكانت تُرَدِّدُ بأنه رَجُلٌ لطيف جدّاً. سوى أني لم أستشعر في نبرتها حين تقول ذلك ما قد يشي بإعجابٍ فِعلي. بعد يومين أو ثلاثة قلتُ لميلتون بحضورها: «آمي لا تحبّ آرثر»، فسارعت إلى القول: «مهلاً، ليس لي مأخذ على هذا الرجل». فأيقنتُ أنني على حقّ.

ولكنْ، سيّان عندي. فقد أصبحتُ مقيمةً في والدورف وما عُدنا، آرت وأنا، نحتاج للتجوال لساعاتٍ طويلة في شوارع بروكلين لكي نثبت لأنفسنا أن الحبَّ ليس مجرَّد جنس، بل هو أيضاً ذلك الشعور الرائع الذي قد ينتابُ أحدنا وهو يتأمَّل المنازل العتيقة برفقة الآخر.

وكانت المرَّة التالية التي اجتمعنا فيها، آرثر وأنا، بآمي وميلتون، في مطعم جيمي لاغرانج، المجهَّز بصالةٍ منفردة في مؤخَّر المحلّ تفصلها عن المساحة المتبقية سواتر تتيح للراغبين جلسةً هادئة. وكان جميع مَنْ فيه، من زبائن وعاملين، على قدر من الكياسة، خصوصاً عازف البيانو الذي بدا لي رجلاً ساحراً بالفعل. وكنّا قد اتفقنا مُسبقاً أن نصل أنا وميلتون وآمي أوَّلاً، على أن يلحق بنا آرت على حدة لكي لا يلفت الأنظار إليه. «يكفي أنك في خصومة متواصلة مع شركة فوكس، قالت لي آمي؛ فلا داعي إذاً لأن يُقال عنك أيضاً إنَّك خاربة بيوت».

والحقيقة أنّنا كنّا حذرين جدّاً، فحتى حين ذهبنا إلى العرض الافتتاحي لمسرحية «هرّة فوق سطح ساخن»، بوصفنا مدعوين من قبل تينيسي وليامز، وبما أني كنتُ أرتدي ثوباً مكشوف الرقبة والكتفين ولا بدَّ أنَّ مصوّري الصحف سيرابطون هناك، اضطر آرثر للحاق بنا بعد وقت. فيما بعد، خلال الحفل الساهر الذي أعقب العرض الافتتاحي التقينا، وهناك تخلّيت عن أي حذر أو مراعاة ولازمته، جنباً إلى جنب، طوال الأمسية. ففي ركنٍ مخفيّ في أعماق شخصينا لا بدَّ أنَّ شيئاً ما قد قال: «تبّاً للصيت السيِّىء الذي تريد أن تجنبني إيّاه، وفكِّر قليلاً بالصيتِ الطيّب الذي أفتقد إليه!».

كانت مضخّة المياه العتيدة تعمل على أحسن ما يُرام. وربَّما كان طموحي أيضاً لا يخلو من شغف. وبأية حال، كان هذا الأمر يثير فيَّ طاقة ما، خصوصاً حين أفكّر بآرت وبنفسي. حتى أولئك الذين لا يطيقون سماع إسمي سيُضطرّون في آخر الأمر إلى الإقرار بأن مارلين مونرو الصغيرة هذه ليست مُجرَّد ذريعة للغرائز الجنسية الدنيئة. ولن يجرؤ أحدٌ في أميركا على الزعم بأن سيِّداً من أمثال آرثر ميلر، صاحب هذا الوجه الزاخر بالرصانة، من شأنه أن يهجُسَ بالجوانب القذرة من الجنس. ومن يزعم هذا كأنَّه يزعم بأن أبراهام لنكولن كان لا يكفّ عن قَرْصِ أقفية الفتيات. لا، بالتأكيد، وسواء شاءَ المُتَعَفِّفون أم أبَوا، فلن يلبث هؤلاء أن يعترفوا بأنَّ: «مارلين مونرو لا بدَّ أن تكون على قدر من الذكاء أكبر مما كنّا نظنّ». ولم يخطر ببالي آنذاك أنهم بالأحرى سيقولون: «لقد فقد آرثر ميلر صوابه».

حتّى لو أردت أن يعلم الجميع بأمرِ علاقتنا، فقد كان عليَّ، مع

ذلك، أن ألزم حذري. فالأمور لا تأخذ مجراها مع آرثر ميلر إلّا على مراحل. وكنتُ أقول في سرّي إنَّه ذو موهبة تفضِّل الاستتار على العلن وإنه لهذا السبب لا يرغب في أن يضيف إلى حياته أكثر من عنصر واحدٍ في المرَّة الواحدة. وأدركت ذلك حين لاحظتُ أناته وتمهّله في الارتباط بعلاقة صداقة مع آل غرين.

بالإضافة إلى ذلك، لم يكن آرت من المعجبين حقاً بلي ستراسبرغ، (Lee Strasberg). فالآن وقد أصبحت مقيمة في نيويورك، في والدورف تاورز، وجدتني أخوض تجربة حياتي الفكرية من خلال متابعة دروس التمثيل في الـ Actors Studio. وكنتُ أذهب إليه لأشاهد عروضاً مُتَنَوِّعة بعد أن تلقيت دروساً خصوصية على يد السَّيِّد ستراسبرغ، وعلى الرغم من كلِّ ما كنتُ قد تعلَّمته حتّى ذلك اليوم من فنّ التمثيل، فإنَّ ذلك لم يكن شيئاً إذا قورن بما يفعله السَّيِّد لي. إنه يزرع في روعك الخوف من أن تُمَثِّل على نحوٍ رديء. ويولِّد لديك الانطباع بأنَّك إن زيَّفتَ لعبك على المسرح، فهذا يعني أنَّك اقترفتَ الأسوأ. ولم يكن لي من صنفِ الرجال ذوي المظهر اللافت: كان قصير القامة، صارم المحيّا. ويبدو دائماً كأنَّه يَشْتَمُّ لدى الآخرين ما ينبغي الاعتراض عليه فوراً. ومع ذلك، لم يرمقني مرَّة واحدة بمثل هذه النظرة. وأحْسَبُ أن أمراً ما جذبني إليه منذ لقائنا الأوَّل، لأنَّه كلّما نظر إليَّ كنتُ أرى الشمسَ تلمع في عينيه. وأعتقد أنه كان واثقاً أنَّه ليس في أعماقي أي شيء زائف. وهذا هو أجمل مديح أطمع في سماعه. طوال ذلك العام الذي قضيته في والدورف، كنتُ أشعر دائماً أنني تحت رقابة ثلاثة رجال أذكياءٍ وذوي موهبة، (ميلتون واحد منهم). وفي

بعض الأحيان كان هذا الشعور يغمرني بالسعادة. حتّى أن ميلتون عرّفني بمارلين ديتريتش ذات يوم، ولوهلة شعرت، بالفعل، بأنني مثلها.

◆

لقد كان لي، أي السَّيِّد ستراسبرغ، يستخدمُ قاموس مفردات يسخر منه كثير من الناس. فيستخدم عبارات مثل «تَكَيُّف» و «اتصال» و«تركيز»، ومَنْ لا يعمل في حقل التمثيل يَصْعُب عليه أن يدرك معاني هذه العبارات. أمّا عن أداءِ دور ما، فكنتُ أعتقد، بعامة، أنّ الدور الجيّد له وجود حقيقي، مثل روح تُستحضر؛ والفارق الوحيد أننا لا نحتاج إلى شيء من فنون التبصير والتبريج لكي ندركها. يكفي أن نقيم «الاتصال». ففي أعماقِ ذاته يشعر المُمَثِّل متى يَلج الشخصية التي يؤديها. أو الأحرى، يتفاقم الدور ويتعاظمُ في ذاتِ الممثل. والواقع أن تجربة التمثيل تبدو مُرعبة إن لم يتمَّ هذا «الاتصال». أمّا أنا، فقد كنتُ، فيما يعنيني، أتَوَصَّل إلى مَوْضَعَة هذا الاتصال. فحين تكون قادراً على تقليد شخص ما، تشعر بأنَّ لك من الحقوقِ على شخصيته أكثر مما له هو، (حتّى ولو كان الرئيس أيزنهاور هو من تقلّده). هذا هو «الاتصال» الحقيقي. ولكن المشكلة في أن يعرف المرء كيف يُحافظ عليه؛ وهنا دور التركيز. وقد كان السَّيِّد ستراسبرغ يُعامل من يفقد التركيز من الممثلين، بضراوة نَمر. فقد يكون على الممثل أن يتقمَّص دوراً ما لمدة عشرين دقيقة أو ساعة إذا كان الفصلُ طويلاً بعض الشيء؛ فالأجدر أن يقدر على التركيز، لأنَّ أشياء كثيرة، سواء على المسرح أو بين صفوف الجمهور، قد تطرأ وتفقده الاتصال.

وهذا مثل على ما أقول: قد يتوجّب عليك أن تلعب دور شخصية مولعة بإحدى الشخصيات الأخرى على المسرح. والحالُ أن المُمَثِّل الذي يلعبُ دور المعشوق يبدو لك، كفَرْدٍ، مُقَزِّزاً. عندئذٍ لا بدَّ من التكيُّف. فلا يعود كلامك موجَّهاً إلى هذا الكائن بالذات، بل إلى كائنٍ مُتَخَيَّل حلَّ محلّه، كائن يريد أن يستثير فيك المشاعر الجميلة. غير أن ما يتطلبه مثل هذا الجهد هو هذا القدر الهائل من التركيز. فمن الضروري أن تكون قادراً على القولِ في قرارةِ نفسك: «إنني أُخاطب آرثر ميلر الآن، وليس تلك اليرقانة التي تقف قبالتي».

قُصارى القول أنني طيلة ذاك الشتاء، وذاك الربيع وذاك الصيف، عملتُ مع ستراسبرغ وتابعت دروس الـ Actors Studio؛ والتقيت هناك بعددٍ كبير من الممثلين ومن بينهم مارلون براندو. ونظراً للظروف، لم يكن باستطاعة آرت أن يأتي لزيارتي كُلَّ مساء، وهناك لحظات يُصبحُ فيها الموقف مُحبطاً. فليس من دواعي البهجة دائماً أن تمضي لحظات رائعة برفقة من تُحبّ ثم تعلم بعد ذلك أنه ينبغي أن يعود إلى زوجته. ففي بعض الأيام إذاً كنتُ أعلم أنني سأمضي الأمسية وحيدة؛ وإذا شاءت الظروف بعد ظهر يومٍ كهذا أن يكون مارلون براندو في الأستديو، ويقول لي: «أتودّين أن نذهب سوياً لتناول طعام العشاء؟» كنتُ أوافق على الفور. وما نفعله بعد العشاء لا نُخطِّط له مُسبقاً، ولا جدوى من الإسهاب في تفصيله. فمهما يكن، أحتفظ به لنفسي؛ إذ لم يكن في نيّتي أن أُفسد علاقتي بآرت بسبب هفوةٍ لا شأنَ لها.

لقد كان عاماً حاولت فيه، (إذ ينبغي القول هنا)، أن أعطي الأولوية

لتثقيف نفسي. ولم أكتفِ بالكثير الذي تعلمته خلال الشتاء السابق في كونيكتيكوت، بل كان آرثر يُحضر لي الكثير من المؤلفات الأدبية والروايات لا سيما الروسية منها وكنّا نناقش احتمال أن ألعب ذات يوم دور غروشنكا، (Grouchenka)، (أحد أبطال دوستويفسكي). كما قرأتُ عدداً لا يُحصى من الكتيّبات حول البروليتاريا التي يتضح، إذا ما تنبّهنا قليلاً، أنها ترزح تحت سيطرة القول المُتَنَفِّذة. وكنتُ ألاحظ بوضوح التعابير التي ترتسمُ على وجه آمي حين أكلّمها عما أصبحت أعرفه، وكأنها تُفَكّر أن هناك من يزقمني مثل إوزة؛ وربّما كان هذا ما أريده في قرارة نفسي؛ فتحضرني صور أولئك المنتجين أرباب هوليود وهم من علية القوم، وكم يسعدهم أن ترى إليهم بعينِ الذلّ. أما أنا فكنتُ أشبه نفسي بالبروليتاريا، وكم كانت تروق لي فكرة أن البروليتاري ليس مديناً ولن يكون مديناً لأحد في المستقبل.

وحين كانت آمي تسمعني أتحدَّث عن كلِّ هذا، كانت تنفجر غضباً، (وهذا تعبير تعلَّمته وأحبّ استخدامه)، حتى يتراءى لي أنني أرى شرقطات غضبها تتحلَّق في هالةٍ من حولها.

ـ مَهْلَكِ لحظة، كانت تقول، ما هذا الهراء؟ لقد قرأت كتاباً حول ماركس وآخر حول لينين، غير أن هذا كلّه ليس أكثر من تخريف، ليس أكثر من يوطوبيا. هذه الأمور لا يمكن أن تصبح حقيقة. وَضَعي هذا في رأسك جيّداً يا مارلين: هناك أشياء كثيرة نحبّها في هذه البلاد.

بالطبع، لقد حظيت آمي، المولودة في كوبا، بالجنسية ولن تسمح لأحد أن ينتقد أميركا في حضورها. وهي مستعدَّة لأن تَقْتُل من أجل ذلك. فحين قلت لها ذات يوم:

ـ إن الطبقات العمالية في الغرب لن تقبل أبداً بالحرب الباردة.

أجابتني:

ـ ما هذا؟ لمَ تقولين هذا؟

ـ آرثر هو الذي قاله.

ـ لا شأن لي بما يقوله آرثر.

وكدتُ لا أُصَدِّق أذنيّ. وعلى الفور ذهبت واشترت لي كتاباً حول حقوق الإنسان وآخر حول إعلان الاستقلال. واللافت أنها اختارت الكتابين من السلاسل المخصّصة للفتيان بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة من العمر. ولم أغفر لها فعلتها هذه. وفي الوقت نفسه كنتُ أشعر بأنَّه لا جدوى من سؤال ميلتون حول هذه الموضوعات. فما إن يدور الحديث حول شؤون السياسة حتى تبدو على وجهه سمات السذاجة كأنه شخصية خرافية طلعت لتوّها من كتاب **اليس في بلاد العجائب**.

ويسأل بصوتٍ أجشّ:

ـ أليس على ما يُرام؟

ـ ما الذي ينبغي أن يكون على خير ما يرام؟

وكنتُ أحياناً أرى ميلتون أكثر جهلاً منّي. وإذ ذاك أسأل نفسي كيف أمكنه أن يحقق مثل هذه الصور الفوتوغرافية الجميلة.

ـ إسمعي، كان يقول، الأمور تسير في مجراها الطبيعي. وكلُّ شيء قائم على قدمٍ وساق. خفِّفي عنكِ. ليس بإمكانك أن تُلبسي التاريخ نعلين جديدين.

لقد نشأ كلٌّ من ميلتون وآرثر في منطقة بروكلين، غير أن آرثر كان يُعامل ميلتون كأنَّه يتحدَّث باللغة الصينية.

«أي حماقات يتفوّه بها هذا المهرِّج؟» كأنَّ هذه العبارة هي التي تدور في خلد آرثر حين يسمع كلام ميلتون. وفي كلِّ مرَّة تحاول آمي أن تناقشه كان لا يتوانى عن إبداء امتعاضه. فأقول في سرّي: «يا لجرأة آمي! آرت كاتب مسرحي كبير، ولو قُيِّض لهم لمنحوه كافة الجوائز». وذات يوم، دخلتُ إحدى الحجرات وسمعت ميلتون يُجَرِّح على مسمع من آمي بأحدهم لآمي، وأدركت أنَّه يقصد آرثر. وعلى الرغم من ذلك، كنتُ أراهما باستمرار؛ فحين أشعر بالوحدة في والدورف، أذهبُ لزيارتهما في كونيكتيكوت، وأقضي معهما يوماً أو يومين، وغالباً ما كنّا نذهبُ في الأماسي لمشاهدة العروض المسرحية. شاهدنا «محطة الباص» ثلاث مرّات. وفي المرَّة الأولى، ما أن أُسدِلَت الستارة حتى صاح ميلتون قائلاً:

ـ أنتِ وشيري توأمان.

وأزعجني كلامه. فشيري هذه مغنية رديئة من الدرجة العاشرة تعمل في الخمّارات، والفارق الوحيد يكمن في أن أحداث المسرحية تجري في برودواي وأنّ الآنسة كيم ستانلي تلعب الدور. والآنسة ستانلي تحظى باحترام كبير في الـ Actors Studio، وقد شهدت بنفسي عملها الرائع هناك. وكنتُ في قرارة نفسي أسأل دائماً إذا كنتُ سأصبح مثلها ذات يوم. فهل يحقّ لي أن ألعب دورها؟

قال لي ميلتون إن كيم ستانلي لن يكون لها، بالتأكيد، التأثير الذي

أمتلكه أنا لجذب مشاهدي السينما. لذا ليس عليَّ أن أطرح السؤال على نفسي. فليس بالأمر خيانة لها مهما حصل.

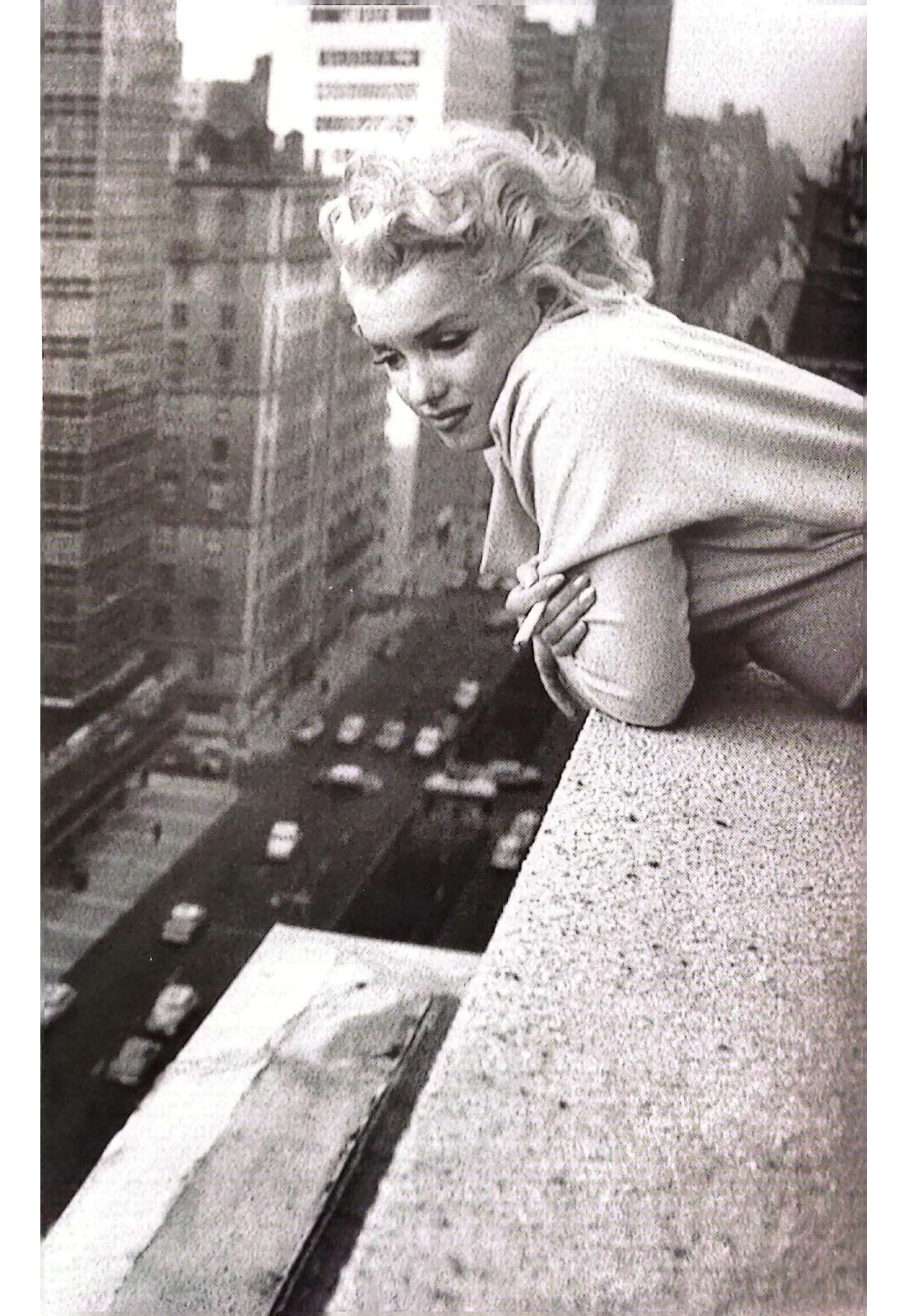
عدنا مرّة ثانية وثالثة لمشاهدة «محطة الباص». وفي كلِّ مرّة كانت تزداد قناعتي بعظمةِ الأداء. ألبرت سالمي، كان يلعب دور البطل إلى جانب كيم ستانلي؛ وسالمي، هو أيضاً، من الـ Actors Studio، وأداؤه رائع. فبالنسبة لي، الـ Actors Studio يُعادل التخرّج من جامعة برنستون؛ والأمر جليّ واضح. نسمع كثيراً عبارة: «لقد تخرّجت من (جامعة) هارڤرد. فأنا مهيّأ لإدارة مصرف». ومثل هذا القول يصحّ على الـ Actors Studio. «أنا مهيّأ لأن أكون ممثلاً غامضاً ورائعاً». لقد كان ألبرت سالمي «على اتصال»، فِعْليّ، بدوره. وراحت تستبد بي الرغبة مِلْحاحة لأن ألعب دور البطولة النسائية إلى جانبه. ولم يحل هذا دون إصراري على القول إن أداء كيم ستانلي كان مذهلاً، غير أني رحتُ أرى بعض التفاصيل التي أستطيع أن أضيفها إلى الأداءِ لكي يُصبح أفضل. لقد كانت ستانلي تؤدي دور شيري كشخصية حمقاء، أما أنا فسأذهب إلى أبعد من ذلك، وسأكون حمقاء. حمقاء بالفعل. فقد كنتُ، في الأقل، واثقة من أنني سأكون قادرة على إقامة «الاتصال» بصبيةِ الميتم.

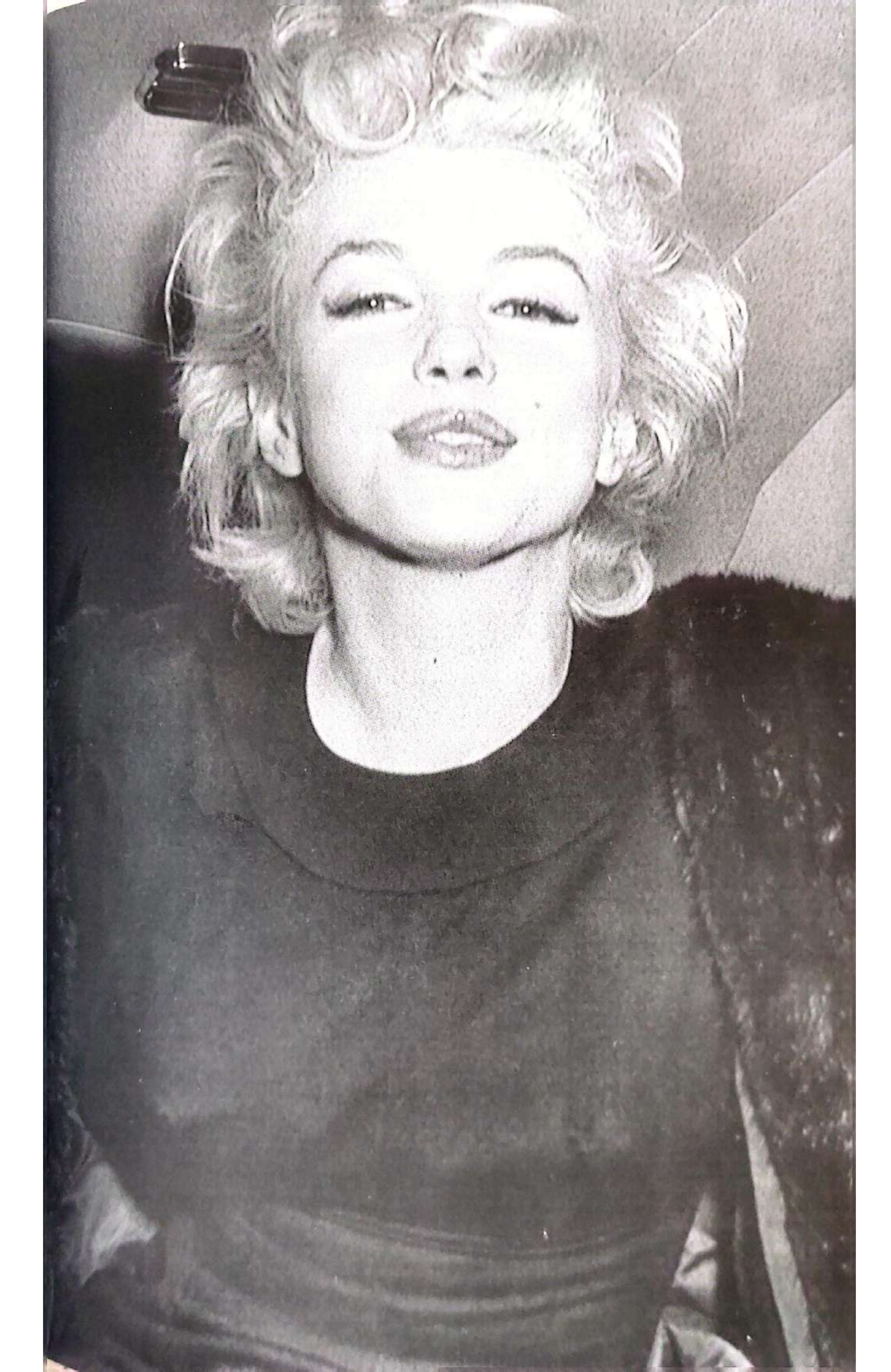
◆

أبلغ إليَّ ميلتون أنني سألتقي جوشوا لوغان، (Joshua Logan)، مخرج مسرحية «محطة الباص»؛ وحادثني بشأن عقد شامل مع شركة فوكس، غير أني كنتُ لا أكفُّ عن القول:

ـ لا أعتقد أنه سيكون بإمكاني أن ألتقي جوشوا لوغان. أقصد أن هذا الرجل لن يرغب، بالتأكيد، في لقائي. ولمَ يفعل؟

وكنتُ أردّد في سرّي طوال الوقت: جوش لوغان هو الرجل الذي صوّر «مستر روبرتس»، (Mr. Roberts)، و «جنوب المحيط الهادىء» (South Pacific). فأسرَّ إليّ ميلتون أنَّ ردّ فعل جوش لوغان مماثل لردّ فعلي، لأنَّه لم يسبق له أن أدار الممثلين كمخرجٍ في فيلم. ولذا، فقد أذهلته فكرة أنني أرغبُ في لقائه، بأسرع وقت! ولكني لم أُصَدِّق شيئاً ممّا يقول. فميلتون أشبه بأولئك التجّار القادرين على إقناعك بشراء سجّادة وأنتَ في الطريق، لطيبةٍ ما تنضح من عيونهم. ومع ذلك، حين تعرَّفت بلوغان وزوجته نِدّا، (Nedda)، وجدتهما فاتنين بالفعل. آهٍ، كم كنتُ مولعةً بمسرحِ نيويورك حتى أنني كنتُ أؤدي دوراً في «آنّا كريستي»، (Anna Christie)، في الأستديو، إلى جانب مورين ستابلتن، (Moureen Stapleton)، وكان أصعبَ ما أدَّيته في حياتي. فقد كان اليوم الذي أدَّيت فيه الدور والليلة التي سبقته من أسوأ لحظات عمري. شعرتُ بأنني فقدتُ جلدي. وحين أؤدّي دوري، تظهر كافة مشاعري إلى العيان؛ كأني الأرملة يوم دفن زوجها؛ ولمجرَّد قولي صباح الخير للناس كأني أتسبب بكارثة. فالخشية أن لا أتمالك نفسي عن البكاء. ومع ذلك أنهيت دوري على خير ما يُرام ووجد البعضُ أنني كنتُ رائعة. حتى أنَّ لي ستراسبرغ أسرَّ، ذات يوم، إلى جوش لوغان أنني ومارلون براندو أفضل ممثلي سينما تعرَّفَ إلى عملهما عن كثب، وأنَّه، من بيننا نحن الإثنين، أنا الأفضل، (وكم وددتُ أن يسمع مارلون هذا الكلام، لكان أفسَدَ نهاره!).





كان كلّ شيءٍ ليكونَ رائعاً إذاً، لو لم أصَبْ، غداة عرض «آنا كريستي»، بالتهاب الحنجرة. فماذا لو كان عليَّ أن ألعب دوري هذا المساء؟ فكلَّما استرسل لي في الكلام عن مستقبلي كممثلة في برودواي، أدركتُ أنَّ إحدى الشخصيَّتين فيَّ، (إحداهما على الأقل)، ستزول حتماً. إذا ما تخلَّيت عن كوني نجمة سينمائية. وربّما زالت الشخصيَّتان معاً. ولكنْ لمَ أصاب بالتهابِ الحنجرة في ذلك اليوم بالذات، فلا أعود قادرةً على الكلام؟

في الأثناء، كان ميلتون يمرُّ بأزمة مالية. حتّى أصبحت الأمور لا تُطاق. وعلى الرغم من ذلك، لم يتوقف عن سدادِ فواتيري؛ وكنتُ أسمعه في أحاديثه مع شركة فوكس يحاول إنقاذ ماء الوجه. حتّى كان، على ما بدا لي، على وشك إقناعِ الشركة، حسب زعمه، بإدخالِ تحسينات هائلة على شروط عقدي.

وبدل أن أتقاضى سبعمئة دولار في الأسبوع، سأحظى، من الآن فصاعداً، مبلغ مئة ألف دولار لقاء كلّ فيلم أنجزه لصالح شركة فوكس، ولا تلزمني بنود العقد على الاشتراك بأكثر من أربعة أفلام خلال سبع سنوات. وفي الأثناء يكون لي الحقّ في أن أعمل في أفلام لحسابي، أي لحساب شركة مارلين مونرو للإنتاج السينمائي. كما سأُمْنَحُ الحقّ في اختيار المخرج الذي أريد في كلِّ فيلم أعمل فيه لحسابِ شركة فوكس. واتفقنا على لائحة من ستة عشر اسماً. جورج كوكور، جون فورد، ألفرد هيتشكوك، جون هيوستن، إيليا كازان، دايڤيد لين، جوشوا لوغان، جوزف مانكييڤيتز، فنسنت مينلّي، (فقط

لأفلام الكوميديا الاستعراضية)، كارول ريد، ڤيتوريو دي سيكا، جورج ستيڤنس، لي ستراسبرغ، بيلي وايلدر، وليم وايلر، وفْرِد زينمان. ولوهلة شعرتُ برغبة في الاتصال بجو ديماجيو، لأنَّ مثل هذه الأشياء تثيره. فقد كنّا نؤلف فريقاً رائعاً.

علمت، فيما بعد، أن ميلتون أصبح، بالفعل، على حافة الإفلاس. ومع ذلك تمَّ توقيع العقد في مطلع العام، في ٤ كانون الثاني ١٩٥٦، وقال لي ميلتون: «هذه السنة، ستكون فرصة العمر بالنسبة لك»، وبالفعل، كانت كذلك. والحقيقة أنَّ ميلتون قد سارع، بعد توقيع العقد، إلى اقتراض المال لشراء حقوق اقتباس مسرحية بعنوان **الأمير النائم** لترنس راتيغان، (Terence Rathigan)، وقال لي:

- سنجعلها من بطولة أوليڤييه، (Olivier)، من بطولة مونرو وأوليڤييه، وهذه شراكة ينبغي ألّا يتجاهلها أحد.

وسيكون اسم الفيلم «الأمير والراقصة». وهنا كان الخلاف بيننا. فقد ألمحتُ أمام لي ستراسبرغ أن ميلتون يعتقد بأنَّ أوليڤييه قد يكون، ليس فقط بطل فيلمنا الجديد، ولكن أيضاً مُخرجه، فأجابني لي: «قد تكون فكرة سديدة».

فأبلغتُ إلى ميلتون ما قاله لي ستراسبرغ، وعرض الأمر على أوليڤييه الذي وافق على القيام بهذا الدور المزدوج. ولكنْ، بعد ذلك، علمت أن لي كان يقصد الموافقة المبدئية، على أن يناقش الأمر في كافة تفاصيله. «قد تكون فكرة سديدة»، قال. ذلك أن الآراء قد تختلف حول عمل السير لورنس أوليڤييه على الصعيد المهني، وهذه الآراء قد

لا تكون مطابقة لما يراه لي، (Lee).

ـ مارلين، ينبغي أن تصارحيه أنتِ، قال لي ميلتون. إذ لا يسعنا أن نقول لأوليڤييه فجأة: «دع كلّ شيء. فأنت لم تعد مخرج الفيلم».

لم ترق لي الحكاية. وراودتني شكوك بأن ميلتون قد يكون المُخَطِّط لمثل هذا الأمر. وكدت أُجيبه بما يدور في رأسي، غير أن ميلتون سارع إلى القول:

ـ إن هذا الفيلم قد يُحَطِّم، إلى الأبد، شهرتكِ كرمزٍ للإثارة الجنسية».

ثمَّ أوضح لي أنّ شركة الإخوة وارنر، (Warner)، قد وافقت على تمويله. وكان فخوراً بهذا الاتفاق. قلتُ لِـ لو واترمان (Lou Watterman): «من دون فائدة». فأجابني: «ماذا؟ لم يفعل ذلك أحد مِنْ قَبْل!»، «لويس، قلتُ بإصرار، من دون فائدة». «وفي حدود علمي يا مارلين، إنه الفيلم الوحيد الذي سيموّل من دون فائدة».

حاولتُ أن أفهم. وبما أني أبذل ما بوسعي لأُثَقِّفَ نفسي في كافة المجالات، فربَّما كان عليَّ أن أحاول التَّمَرُّس في عالم الأعمال. غير أني لم أقدر. وكنتُ أشعر بأنَّ ميول النساء الجميلات ينبغي أن تقتصر على الثروة وليس على شؤون المالِ والأعمال.

إنتقل لورنس أوليڤييه وترنس راتيغان من لندن إلى نيويورك للقائي. ولا أدري إذا كنت قد تصرَّفت على سجيتي معهما؛ فقد كنتُ أشعر حيالهما بأني أخاطب دوقَيْن، ولفرط ما أظهرا من الكياسة واللباقة حسبتُ أنهما من نسجِ الخيال ولا صلة لهما بالواقع. فلا تخلو عبارة

في أحاديثهما من «يا عزيزي»، وإنْ بدا لي أوليڤييه صلباً كالفولاذ.

وكان المؤتمر الصحافي الذي عُقِدَ في فندق بلازا للإعلان عن الفيلم، أشبه بكرنڤال صاخب. فمنذ وقت طويل لم أعقد مؤتمراً صحافياً، وأدركتُ أن السيّد أوليڤييه يرى أن ما يجري أشبه بسيرك. إذ لم تكن قبضته، وحدها، من الفولاذ، بل إسته أيضاً.

شعرتُ بضيق. فقد كانت معظم الأسئلة تُوَجَّه إليّ، وكم وددتُ أن أقول للصحافيين: «ألا تُدرِكون أن السير لورنس أوليڤييه هو النجم الأبرز على الشاشة وفوق خشبة المسرح؟»؛ غير أني لم أجرؤ. فالكلام مع الصحافة محفوفٌ بالأشراك.

وفي تلك اللحظة بالذات سمعتُ صوت أوليڤييه يقول:

ـ إن للآنسة مونرو تلك الموهبة النادرة التي تجعلها قادرةً، في لحظة، أن تُولِّد الانطباع بأنَّها امرأة مزعجة حقّاً، وفي اللحظة التي تلي، بأنها البراءة مُجَسَّدَة.

عندما قال هذا، رحتُ أشعرُ بوخزٍ في عينيَّ، وأحسستُ بانزعاج لا يوصف. فقد بدا لي أنني وُضعتُ على المنصّة ليُنادى عليّ في مزادٍ علنيّ مكشوف. ومع ذلك، وما إن علا تصفيق الحضور من الصحافيين، (ربّاه، كم كانت جباههم لامعة لفرط ما تصبَّبت عرقاً تحت الكاشفات الحارقة!)، حتّى رحتُ أتأوَّد في مكاني. لم أستطع أن أتمالك نفسي، وتلك الأضواء الباهرة تثيرُ فيَّ ما لا تُحمَدُ عقباه. كنت أرتدي صدرية من حرير أسود ذات حمالات دقيقة دقة الخيطان وفوقها سترة قطنية سوداء ياقتها من فرو الزبلين. كان الجوّ خانقاً فلم

ألبث أن خلعتُ سترتي وحرَّكتُ كتفيَّ بشيءٍ من الإغواء.

ـ ما الدور الذي تودّين أداءه فيما بعد، يا آنسة مونرو؟

ـ غروشنكا. إحدى شخصيات دوستويفسكي.

ـ كيفَ تُكْتَب لو سمحتِ؟

ـ تبدأ بحرف الـ «غ»، على ما أعتقد.

ـ ولم أكد أنهي كلامي حتّى لويتُ جذعي ورفعتُ كتفي كأنّي أقول: «دعوني أختبىء وراء كتفي الناعمة الشهيّة»، لكنَّ إحدى حمالتي الصدرية انقطعت. فساد هرج بين الصحافيين كأنهم أكلة لحوم بشر. راحوا يتدافعون ليروا جيداً، ويتقافزون. كأنَّ نظرةً واحدة إلى ثديي العاري ستطيل عمر واحدهم عاماً كاملاً. ذاك هو منطق الجسد. مع أني لم أكشف من عُريي أكثر بكثير ممّا كان مُعَرَّضاً لأنظارهم طيلة الوقت. غير أني، على الرغمِ من ذلك، استطعت أن أرى بوضوح أن السير لورنس أوليڤييه قَطَّبَ ما بين عينيه استنكاراً. حَفِظ الله الملكة!

◆

بعد انتهاء المؤتمر الصحافي لاحظتُ أن السير لورنس أوليڤييه كان منزعجاً. فمن المزعج حقاً أن يشعر المرء أنَّه الممثل الثانوي، مهما كانت الظروف.

«آه، بلى، لقد كنتَ جيّداً، أنت أيضاً». فينتابك شعور بأنك صغير أبناء العائلة التي وضعت كلّ آمالها في ابنها البكر. وكنتُ أعلم أن السير أوليڤييه لم يَعتَد من قبل مثلَ هذا الشعور، غير أني قلتُ في

سرّي: «الواقع أن المنافسة لم تؤذِ أحداً من قبل». وهذا قول مأثور من أقوال آمي، وليس آرثر بالطبع.

على الرغم من ذلك، استطعنا، أنا وأوليڤييه أن نلهو قليلاً. وكنّا نتبادل بعض المُداعبات في الأمسيات التي يكون فيها آرثر متغيّباً. لم يحصل بيننا ما يدعو إلى إثارة فضيحة، غير أني قضيت معه وقتاً ممتعاً لم أعرفه من قبل. ذلك أنَّ الشخصيّات الملكيّة تتقن فنَّ العيش.

ـ يا عزيزتي، كان أوليڤييه يقول، إذا حصل، ذات يوم، وصادفتُ امرأةً بجمالك، فلن أقوى على مقاومتها: وعندئذٍ كلُّ شيء سينهار فيَّ من الداخل.

ـ سيكون عليكَ، أنتَ، أن تلوذَ بأسوارك تحصّناً، كنتُ أُجيبه.

ولا أدري لِمَ كان ذهني يبدو متوقّداً كأنَّه مُسَّ بعصا سحرية. ففي صحبة أوليڤييه كنتُ أشعر بأنني أمتلكُ من الفطنة ما يجعلني أتفوّه بعبارات لا أدري من أين تأتيني.

ـ بلى، أنت أجمل امرأة التقيتها في حياتي، قال، (ثمَّ هز رأسه)، لا، ربما كنتِ أجمل امرأة التقيتها لو أنَّ أرنبة أنفك ليست غريبة بعض الشيء.

فأُسارع إلى ضربه براحةِ يدي على ظاهر يده. كان يحلو له أن يُعطي ثمَّ يسترجعُ ما أعطاه. وإني لواثقة من أن الإنكليز يُقَلِّبون الأمور على كافة الأوجه ويتعمّقون في تَمْحيصها قبل أن يقيموا علاقات جنسية. فقد كنّا لا نزال في علاقتنا، عند مرحلةٍ لا تتعدّى أن يُبادر واحدنا إلى إشعالِ سيكارة الآخر. كنتُ أمنحه شُعلتي فلا ينفخها لتخمد نارها. «آه!

كأسُك فارغة»، كان يقول، ويُـنادي بأعلى صوته: «شمبانيا للآنسة مونرو»؛ وأقول في سرّي «يا إلهي، أنا ولورنس أوليڤييه معاً!» كانت آمي مفتونة به؛ وأعتقد أن آرثر كان يشعر بشيء من الغَيْرة حيالَ ما يحيطني به من ملاطفة ورعاية، غير أني لستُ واثقة من ذلك. فحين يكون آرت برفقتنا يكونُ شارد الذهن، غارقاً في أفكاره. وكنتُ أرى جيّداً أن ما يزعجه هو أن يلاحظ أنَّ «أهل هذه الطبقة الاجتماعية» قد يمتلكون مثل هذه الفتنة. «دعنا لا نتكلّم في السياسة، كان أوليڤييه يقول، فأهل اليسار وأهل اليمين متشابهون. والخنزير هو نفسه الخنزير».

وكان آرثر ولي ستراسبرغ يردّدان، كلٌّ على حدة، على مسامعي بأن لا أنقاد بسهولة للإعجابِ بلورنس أوليڤييه. وكانا يقولان، إن رجلاً مثله، وقد أنجز ما أنجزه في حياته المهنية، يحتاج دائماً لأنَّ يُلمّع صورته أمام الناس، وأن يُشاهد بصحبة امرأةٍ مثلي. غير أني كنت أرى السير صاحبَ الإست الحديدي أشبه بإله. فقد كان ظُرفه لا يُضاهى. وذات يوم، كنا في أحد المطاعم، وقُدِّمَ له على طبق، سرطانٌ بحري ذو مَشْبَكٍ واحد، وشرح له النادل أن هذا السرطان فقد مشبكه الآخر خلال عراكٍ بين سرطانات البحرِ جرى في الوعاء الذي تحفظ فيه حيّة قبل طبخها.

- إذاً المسألة ليست شاقة، قال أوليڤييه. استرجع هذا السرطان وأحضر لي السرطان المنتصر.

وما إن غادر النادل، غمز لورنس بعينه وقال لنا:

- إنها عبارة مستلة من كتاب... (وذكر اسم كتابٍ).

ـ أليس مؤلف الكتاب... (وذكرت اسمَ مؤلفٍ متسائلةً).

ـ سواء كانت دعابة أم لا، بالله عليكِ لا تُشَوِّهي الأسماء على هذا النحو!

فلم أتمالك نفسي من الضحك إلى أن لاحظت أن آرثر ينظر إليَّ مُقَطِّباً حتى أني تساءلت عمّا إذا كان سيمكث على هذه الحال إلى الأبد.

ثمَّ عمد السير لورنس أوليڤييه إلى رفعِ كأسه نَخْبي وقال: «أن تكوني جميلة! يا للسطوة! يا للبهاء! وأن تري الجميع ينحنون أمام جمالك بإجلالٍ من ينحني لرجلٍ عظيم!» وقد أعجبتُ بقوله هذا؛ فلطالما أردت أن أشعر بأني رجل عظيم وليس مجرّد دمية مطلية بالمساحيق. «بلى، أردف لورنس قائلاً، إنَّ العناية الإلهية هي التي وَسَمَتْ جبينك بالجمال. وهو لسلطان مجيد، أضاف قائلاً وهو يُحَدِّق في عيني، شريطة أن يُحسَنَ استخدامه».

ـ هل ارتجلت كلَّ هذا، الآن؟ سألته.

ـ بالطبع لا. فالممثل لا يستخدم إلا عبارات الآخرين.

ـ لكنّ آرثر يستخدم عباراته الخاصّة به، قلتُ.

ـ لقد حظي آرثر ببركة الآلهة، أجاب أوليڤييه.

وذات مساء، ذهبنا لمشاهدة «يوميات آن فرانك» من بطولة إبنة لي، سوزان ستراسبرغ. وبالطبع كنتُ مولعة بِـ لي وزوجته بولا، وأُعامل سوزان كأنني أحد أفراد العائلة. وحين انتهى العرض، لم أتَوَقَّف عن كيل المدائح لها، حتى استنفدت كلَّ ما يُقال. فقد شعرتُ بأنَّ أداءها

كان ممتازاً وقلت ذلك لأوليڤييه. فأجاب: «كانت جيّدة، لكنّها بليدة».

كنتُ أعلم أنه لا يُطيق آل ستراسبرغ. «فهذا القدر من العاطفة المُلْتَبِسَة لا يُطاق، قال لنا، آرثر وأنا، ذات يوم. إنَّهم يفرطون في استغلالِ مشاعرهم. فالتمثيل قد يكون غريزة حيوانية، ولكنَّ الحيوان يتمّ تدريبه، وإلّا لكان قادراً على أنْ يعضّ ذيله». إني أقول لتلامذتي: «إحفظوا النصّ ثمَّ انصرفوا إلى القيام بعملكم. لأنه عملكم. فإما أن يكون أحدنا ممثلاً وإمّا أن لايكون. وإنْ لم يكن ممثلاً، فليمتهن السَّمْكَرَة، بحقّ السماء، وليغرب عن وجهي». وافق آرثر على هذا الكلام بشيء من الحنكة. «إنّي أوافقك الرأي تماماً. ما زال لي ستراسبرغ يتمتع بشهرة واسعة في الأوساط المسرحية، أردف آرثر قائلاً، ولكنْ هناك شيء غامض في طريقته في إدارة التمثيل. فالتمثيل، قال آرثر، هو التواصل».

ـ ما تقولانه ليس صحيحاً على الإطلاق، قلتُ لهما. وكنتُ أرى أن مآخذهما عليه تافهة.

ـ يا عزيزتي، أجابني لورنس، إن الممثل الجيِّد هو من يَسِمُ دوره بطابعه الشخصي. فالأناقة، في المقام الأخير، تقوم على المبدأ القائل إنَّه ينبغي الاختيار. فلا نستطيع مثلاً أن نطلب بعد الطعام كلَّ صنوف الحلوى لأننا لا نستطيع أن نختار.

شيءٌ ما في نبرته، جعلني أنظرُ إليه بإعجاب. إنَّها فكرة وجودِ صنفٍ من الحلوى ألذّ من كافة الصنوف الأخرى. ورحت أتساءل من

أين لي هذا الطالع الذي يقضي، كلّما أوشكت على الهيام بآرت، أن يقفَ بيننا أمير فاتن مثل أوليڤييه. وراحت آمي تلقي عليّ محاضرة أمام الجميع، ومن بينهم آرثر.

ـ من سوء طالع بعض الأشخاص، قالت، أنهم مرغمون على العيش دون أن يكون لديهم كفاف يومهم من الطعام.

وبدا لي الأمر فظيعاً. ولكن، على الرغم من ذلك، إن مَنْ يمتلكون المال يُعانون، هم أيضاً، مآسيهم الشخصية. فمن شأن أي كائن أن يُقدم على خيار خاطىء من بين احتمالين مغريين، فيكون عليه أن يسلك الدرب الخاطىء.

ـ يا مارلين، أردفت اسمي قائلة، عليك أن تعي جيّداً أنك تحيين في هذا العالم.

كنتُ أعلم أنَّ آمي لا تحبّ آرت لهذا السبب بالذات. إذ إنَّ آرثر لا يكفّ عن التصرُّف وكأنَّ العالم الذي يحيا فيه الجياع هو العالم الوحيد القائم. «وربَّما لهذا السبب أُحبّه. قلتُ في سرّي. فهو قادر على تَفَهُّم ما أنا عليه أكثر مما قد تستطيع آمي، وكذلك الأمر بالنسبة للسير لاري. ذلك أن آرثر يعلم أنني، في قرارة نفسي، جائعة دائماً».

ومع ذلك، كنتُ مُولعة بصحبةِ أوليڤييه. فقد كان يُجيد سرد القصص الرائعة، كتلك الصفحات التي كنتُ أقرأها في الكتب، خلال إقامتي في كونيكتيكوت. ومن بينها قصّة عن امرأة تُدعى لولا مونتيز، كم جعلتني أحلم وأحلم. لقد التقت لولا مونتيز، ذات يوم، ملكاً يُدعى لويس دو باڤيير، (Ludwig!)، فأسَرَّ إليها أنَّ نَهْدَيْها من الجمال بحيث

لا يُعقل أنهما حقيقيان. فلا بدَّ أن مهارة صانع الصدار هي التي جعلتهما كذلك. فما كان من لولا مونتيز إلّا أن أمسكت بِمَقْطَع ورق من على مَكْتَب الملك لويس وشَقَّت صدارها من النَّحْرِ حتى الخصر. وكنتُ أرى نفسي ألعبُ الدور نفسه مع لاري أوليڤييه. «أوَتَعلمين، قلتُ لأغيّر الموضوع، ربَّما كان الطعام مثل كنبات العهود القديمة. فذات يوم كنت برفقة ميلتون في متحف الكنبات الهولندية أتفرَّج على الكنبات الفرنسية، ووجدت أن الهولنديين يحبّون، ببساطة، أن يلقوا بثقلهم عليها». «ماذا تقصدين من ذلك؟» سأل لاري. «أقصد أنَّ الهولنديين كانوا يقولون: إن الكنبة هي التي تُعنى بوزنك. أمّا الفرنسيون، فكانوا يضيفونَ ترصيعاً إلى مسند الكنبة ويستخدمون قماشاً حريرياً رقيقاً في تنجيدها بحيث إنَّ من له عجيزة عريضة قد يتسبب، إذا ما جلس عليها، بتمزيق القماش. لذا أعتقد أن المهمّ في رأيهم، هي الكنبة. ومن كانت له عجيزة عريضة، فهذا شأنه، ليس عليه إلّا أن يجتنب الجلوس! وأعتقد أن الفرنسيين يهوون أن يصرفوا مقداراً من الجهد والعمل حيث لا يتكبّد أحدٌ مشقتهما. أليس هذا ما يُسمى الأناقة؟».

- بلى، يا عزيزتي. قال. بل وأقول لك إنَّكِ أحسنتِ العبارة.

- حسناً إذاً، هذا بالضبط، ما تفعله في الـ Actors Studio. فهناك يُبذل الكثير من الجهد على أشياء لا أحد يتكبد عناء مشقّتها.

رأيتُ آرثر يرمقني بنظرات حارّة، بينما ترفع آمي ذراعها كأنَّها تُقَدِّمُ لي أذني الثور. في ذلك المساء، حين عدنا إلى المنزل، أخبرني آرثر بأنه سيطلب الطلاق، وأنه سيذهب إلى رينو، خلال انهماكي بتصوير

«محطة الباص»، لتسوية هذا الأمر. وقبل أن نودّع السير لورنس قبيل عودته المرتقبة إلى لندن، قلت لميلتون:

ـ حاول أن تُعطيه أجراً منصفاً، أعطِ السير لورنس المبلغ الذي يطلبه. لا تكن بخيلاً.

ـ يا مارلين، لقد عرضت عليه أكثر مما يريد. ولي أسبابي الخاصّة لفعل ذلك، أجابني ميلتون.

ـ كلُّ ما أطلبه منك هو أن لا تكون بخيلاً.

ـ إسمعي يا مارلين، لقد عرضت أن أدفع له أكثر مما طلب، رَدَّدَ ميلتون قائلاً، وما إن يبدأ التصوير ستدركين لمَ فعلتُ ذلك.

◆

رافقتني بولا ستراسبرغ لتساعدني على حفظِ المشاهد خلال تصوير «محطة الباص». كانت قصيرة القامة دحداحةً، وليس هذا لحسن طالعها، ولكن في المقابل، كان حظُّها أنَّ أحداً لن يتظاهر بِحُبِّها إلّا إذا كان يُحِبّها بالفعل. وعلى هذا النحو لم تكن مرغمة على إهدار وقتها في محاولة التقرُّب من الجميع، وتكتفي بأداء عملها.

في حين أنّ ناتاشا ليتس، (Natacha Lytess)، وقد عملت كمساعدة لي في الفترة التي بدأت فيها الشركة بإعطائي بعض الأدوار الكبيرة، كانت دائماً تشعر بالغيرة من الناس الذين أعاشرهم. أو على الأقل، في الفترة التي كنتُ أسكن فيها معها، أي في الفترة التي أعقبت علاقتي بـ بوبي دوب. وسبقت علاقتي بـ جو د. فخلال تلك الفترة

كانت بمثابة زوج لي. ولكن دعونا نجتنب مثل هذه التفاصيل.

وحين صَمَّمْتُ على تصوير فيلم من دونها، وفور وصولي إلى لوس أنجلس، راحت ناتاشا تروي للصحافيين أنها لا تفهم كيف سَمَحْتُ لنفسي بطردها من عملها. وأنني في أمسّ الحاجة لخدماتها، كما أعلنت، مثلما يكون «الميت في أمسّ الحاجة إلى تابوت». ولم يَرُقْ لي كلّ هذا. فهي تتهمني، بصراحة، بأنني آمرأة قذرة. ولكن، بأية حال، وبفضلِ هذه الفتاة، كان جميع العاملين في مواقع التصوير، بين لقطةٍ وأخرى، يحاولون الانتباه جيّداً إلى ما يدور بيني وبين بولا، ليتبيَّنوا حقيقة ما نتبادله من أحاديث.

وكنتُ مسرورة جدّاً لأنَّهم لا يسمعون. فقد كانت بولا تهمسُ في أذني أحياناً، في أوقات الاستراحة، «كوني عصفوراً»، أو «كوني شجرة»، وتلك كانت طريقتها في أن تُشعرني بالألوان التي ينبغي أن أضفيها على ما أفعله. فإذا وجدت أن أدائي كان رصيناً جدّاً، على سبيل المثال، كانت بولا تقول لي: «لا تكوني رصينة جدّاً بل كوني عصفوراً». وهكذا بإمكاني أن أشعر بخفّةٍ أكبر. وإذا أرادت أن أفرض حضوري في مشهدٍ دون مبالغة، كانت تهمس في أذني: «كوني شجرة». غير أنَّ ما كان من شأنه أن يفقدهم صوابهم لو سمعوه، هو قولها لي: «كوني لوحة زيتية»، أو كوني «لوحة أكواريل». أمّا أنا، فهذا النوع من الإرشادات، كان يُسعفني كثيراً. فحين أحاول أن أكون لوحة زيتية أشعر بأنني مثقلة بالتعابير، من الداخل؛ أما محاولتي أن أكون لوحة أكواريل فكانت تشعرني بأني رقراقة مثل جدول ماء.

- رائع! كان جوش لوغان يقول.

كان ميلتون قد وضع تصاميم الملابس، واختار لي الماكياج الأبيض الرائع. فشيري فتاة لا ترى الشمس. ثمَّ إنَّ جوش لوغان كان يُعاملني باحترام بالغ، ولذا لم تكن فترة التصوير مضنية. غير أني كنتُ أمقت دون مورّاي، (Don Murray)، شريكي في المشاهد ومُخاطَبي في الحوار. فقد كان عليّ أن أتكيَّف معه طوال الوقت. وأُردّد في سرّي: «إني أمحوكَ. أنت شخص آخر». ولكنْ مَنْ؟ كان ذلكَ رهن المواقف. وهنا أتحرَّج من قول ذلك، غير أني ذات مرَّة تخيَّلتُ حتى أنه رود، رجل المخاطر. فقد كانت تلك طريقة لأقول بقناعة: «في آخر الأمر، وبصرف النظر عمّا يشاء أو لا يشاء، عمّا هو مهَيّأ له أو غير مهيأ له، إنه مُجَرَّد شخصية في فيلم». وخلال إقامتي في لوس أنجلس كنتُ أقيم مع ميلتون وآمي وجوش في دارة كبيرة استؤجرت لهذا الغرض في بڤرلي غلن، وكانت آمي تساعدني، كلَّ مساء، على حفظ دوري، ما يمنحني الشعور بأنني مُسْتَعِدَّة للَّقطة التي سيتم تصويرها في اليوم التالي، وكانت بولا تعرف دائماً اختيار التمرين الملائم لاستعادة صلتي بشيري. «أنت ورقة في مَهَبِّ الريح».

كانت تنتابني مشاعر غريبة، ما كنتُ أجدُ لها تفسيراً. فكلما أفلحتُ في «اتصال» وثيق بالشخصية كنتُ أشعر، في آخر النهار، بعَياءٍ لا يوصف. وفي وقتٍ ما رحت أتخيَّل أن شيري موجودة بالفعل، وأنها امرأة عاشت وماتت، ثمَّ أفلحت في إقناع السَّيّد وليم إنج بأنها قد تكون شخصية مسرحية ناجحة. وحين كنتُ أقيم «اتصالي» بها، كان ينتابني إحساس مزدوج، ليس فقط أني أحيا حياتي، بل أحيا حياتها البائسة أيضاً. سكرتيرة تعمل طيلة النهار. فلا بدَّ أن تكون متعبة عند

المساء؛ وإذا كان عليها أن تنجز عمل زميلتها في المكتب المجاور، فلا بدَّ أنها ستكون مرهقة جدّاً. وهذا ما كنتُ أشعر به. فكلّما انهمكتُ في عملي في «محطة الباص»، زاد إحساسي بأن أعصابي مشدودة، حتى أني كنتُ أبتلع قرص مُنَوِّم أو اثنين كُلَّ ليلة، لكي أقوى على لعبِ المشهد في اليوم التالي. فأستيقظ متثاقلة مرهقة. وفي النهاية أصبتُ بالتهاب رئوي وتغيّبتُ أسبوعاً كاملاً عن التصوير. وأحسب أن لوغان قد تنفَّس الصُعداء حين انتهينا. أما أنا، فكانت نفسي كئيبة، وأودُّ ألّا ألتقي شيري مُجَدَّداً. ومع ذلك، كان الجميع يزعمون أنه أجمل دور لعبته. وأصبحتُ لا أطيق وجهها الأبله. إذ خُيِّل إليَّ أنني عشتُ بالفعل في جسدِ فتاةٍ حمقاء جدّاً.

◆

طيلة ذاك الوقت كنتُ أُفكِّر في الزواج. فقد بقي آرثر في رينو، ثمَّ أقام في بايرميد لايك في نيڤادا منصرفاً إلى تأليف القصص في انتظار إتمام معاملات الطّلاق. وكان يأتي خلسةً إلى لوس أنجلس في عُطَلِ نهاية الأسبوع التي نقضيها سوياً في شقّةٍ في قصر مارمونت، وهو الأمر الذي كان يُفْقِد ميلتون صوابه، لأنني أخلف بموعد التصوير صباح كلّ يوم إثنين. كنتُ أمضي سهراتٍ طويلة، وحتى ساعاتٍ متأخرة من الليل، بصحبةِ آرت، فلا أنام كثيراً، بالإضافة إلى إفراطي في الشراب الذي كان يُعينني على الاسترخاء. وبعد كلِّ عطلة أسبوع كان ميلتون يستقبلني يوم الإثنين بصحبة طبيب وحقنة ڤيتامين. ثمَّ يُوَبّخني لازدياد وزني. وكنتُ أجيبه دائماً:

ـ هذا ليس شأنك. إنها مسألة شخصية.

ـ يجب أن أُفاتح آرثر بالموضوع. ألا تدركين أننا نصوّر فيلماً! كان يصرخ قائلاً.

ـ هذا ليس شأنك، كنتُ أقول بإصرار.

ومع ذلك شعرتُ بإحراج حين علمتُ أن ميلتون عمد إلى تفصيل مقاسين مختلفين من كافة ملابسي التي أرتديها في الفيلم، وقد خُصِّصَ المقاس الثاني للمشاهد التي تُصَوَّر يوم الإثنين حين يزداد وزني. وما إن أنهينا تصوير الفيلم حتى أسرعت بالعودة إلى نيويورك. فلو استغرق الأمر أسبوعاً إضافياً واحداً لفَسدَ جهازي العصبي بأكمله. كنتُ أعرف ذلك جيّداً.

◆

كان ولعي بآرثر لا يوصفُ، فقد بدا لي أنه يملك جواباً لكلِّ شيء. وحين لا يقتضي الأمر مثل هذه النباهة، كنتُ أعشقُ ذلك الحزن المذهل الذي يرتسمُ فجأة على وجهه ويُغرقه في حالٍ من الاكتئاب. لم يكن يُدرك دائماً ما الذي يُقلقني، غير أنَّه كان لا يكفّ عن المحاولة فيُشْعِرني بما في أعماقِه من الحنانِ الغامر. لم يأبه أحدٌ قبل آرثر بمشاعري. فأحياناً كان ميلتون يعرف بالضبط كيف يَتَصَرَّف لتدبُّر الأمور، ولكنّ آرثر هو من يقلق. وبالطبع، كانت تراودني، مرتين في السنة على الأقل، الرغبة في التخلّي عن كلِّ شيء، وعندئذٍ كان ميلتون يقول: «تذكري شابلن. سترتدين أنتِ الأبيض أما هو، (شابلن)،

فسيرتدي الأسود». ومثل هذه العبارة وحدها تكفي. فقد كنت أعلم جيّداً أنني حالما أشارك السيِّد شابلن ببطولة فيلم، فلن يكون عليَّ، بعد ذلك، أن أقيم «اتصالاً» بأي دور. وسأعمد، ببساطة، إلى الاستجابةِ لما يؤديه أمامي تشارلي شابلن. فإذ ذاك يكون التمثيل أشبه بلعبة كرة الطاولة. وكنتُ أعشق ميلتون حين يلجأ إلى هذه العبارة لتدارك ضيقي من كلِّ شيء. وكان عندها يتفوَّق على آرثر بما لا يقدر عليه، ولكنْ، أواهُ كم كنتُ مولعةً بـ أ. م.! فحين شاهدت «موت بائع جوّال» وجدتُ أنها أجمل مسرحية شاهدتها في حياتي، وجدتُ أنها أجمل من مسرحيات شكسبير، وشعرتُ بما يرضي غروري حين فكَّرْتُ أن هذا الرجل، مؤلف المسرحية، هذا الفارع النحيل الأربعيني، صاحب الابتسامة العريضة الذي يُشاركني سريري، لطالما جالسني ليشرح لي، كما قد يفعلُ تلميذ، كم أن العالم طريف، بلى، ذلك أن آرت يمتلك الميزتين دون أن تكونا متلازمتين في وقتٍ معاً: أقصد الاكتئاب والطرافة. ميزتان لا تجتمعان في حالٍ واحدة. فمعظم الأحيان يُبدي لي من الرقّة ما يجعلني أشعر بأن ما نمارسه معاً لا صلة له بالجنس، بل يبدو عطراً مثل زهرة، أو مثل أغنية رائعة. وكان باستطاعتي آنذاك أن أقول له بصدقٍ بالغ: «هذا أجمل ما رأيت»، دون أن يَمْثُلَ أمام عينيّ أي طيف من أطياف ماضيّ.

ومع ذلك كانت تعترضنا مشكلة حقيقية. ذلك أن وزارة الخارجية كانت ترفض أن تمنح آرت جواز سفر لكي يرافقني إلى إنكلترا حيث سأقوم بتصوير فيلم «الأمير والراقصة». وكانوا يقولون علانيةً تقريباً إنَّ ميوله الشيوعيّة هي السبب. فقد كان والتر، رئيس لجنة مكافحة

النشاطات المعادية لأميركا والتابعة لمجلس النواب، يريد أن يحضر آرثر إلى واشنطن للإدلاء بشهادته أمام اللجنة. وقيل لنا إنَّه إذا رفض الإدلاء بهذه الشهادة فقد يُحكم عليه بالسجن لمدَّة سنة. وبالتأكيد لم أشعر، في حياتي، بمثل القلق الذي ساورني حين قصدنا واشنطن لحضور الجلسة، كما لم أشعر من قبل بمثل هذا القرب الذي يربطني بآرت. أنا وهو، معاً، ضدَّ العالم بأسره. إنه أجمل ما قد يشعر به إنسان. وفي اليوم التالي قال آرثر أمام الكونغرس إنَّه يريد الذهاب إلى إنكلترا ليكون إلى جانب المرأة التي «ستصبح زوجته».

قال ذلك وهو يَحْمِلُ القُرْطين اللذين كنتُ أضعهما في راحةِ يده، وقلتُ في سرّي إنه بالتأكيد يريد الذهاب إلى إنكلترا لأنَّ أوليڤييه هناك، وكدتُ أُطلقُ قهقهةً مدوّية لمثل هذه الخاطرة. ولحسنِ الحظ تمالكتُ نفسي. وأدركتُ عندئذٍ كم كان عليَّ أن أبذل من الجهد والتركيز، سواء في حياتي الخاصة أو أثناء عملي، لكي لا يُحْدِثَ هذان القُرْطان الكبيران طقطقةً مسموعة.

في الأيام التالية، وَصَلَتْنا، من العالم أجمع، رسائل تستنكر الأسلوب الذي تتعامل به أميركا مع أحد أكبر فنّانيها. ولا شكَّ في أن مثل هذه الضغوط أرغمت وزارة الخارجية على التراجع عن موقفها وسرعان ما أصدرت قرارها التالي: «إمنحوا ميلر جواز سفر. بصرفِ النظر عن ميوله». وكنتُ على وشكِ القولِ حيال هذا القرار: «بلى، أليست هذه هي الديمقراطية؟»،

ثم راحت الأمور تتسارع في موضوع زواجنا. كان الصحافيون لا يُغادرون الشارع قُبالة شقَّتنا في نيويورك. فلا نكاد نغادرها حتّى

تلاحقنا سيّاراتهم. يريدون الإعلان عن الزواج. فوقف آرثر، ذات يوم، في وسط رصيف الشارع ٥٧ ليقول لهم إننا سنعقد مؤتمراً صحافياً لهذا الشأن يوم الجمعة في روكسبوري في كونيكتيكوت حيث يملك منزلاً. وكنتُ أرى بريقاً غريباً في نظراتِ آرثر خلال حديثه معهم. فهو قد اعتاد المؤتمرات الصحافية المُصَغَّرة حيث يجتمع صحافيان وأحياناً ثلاثة، ليطرحوا عليه بعض الأسئلة الرصينة رغبة منهم في الاستماع فعلاً لما يقوله. غير أنه لم يألف هذا الموقف الذي يضعه أمام عصبةٍ من الصحافيين الوقحين الذين لا شاغل لهم سوى استدراجه إلى الإدلاء بأقوالٍ، وكم تكون غبطتهم كبيرة إذا بدت أقوالاً غبيّة، فَيُصَدِّرونها صفحات جرائدهم الأولى.

كانت أجواء الإثارة على أشدِّها، الأمر الذي تسبَّب خلال رحلتنا إلى روكسبوري، يوم الجمعة، بحادثٍ مروعٍ. فقد ساد رحلتنا جوٌّ من التوتّر، وتوقَّعت أن تحلّ بنا كارثة ما قبل حصولها. وبالفعل، فقد تعرَّضت امرأة، هي مراسلة مجلة *Paris - Match*، كانت تلاحقنا بسيارتها إلى حادثٍ أودى بحياتها، فقد انزلقت سيّارتها عند أحد المنعطفات وقذفت بها قوَّة الصدمة إلى خارج السيّارة وقتلت على الفور. والمؤسف في الأمر أننا كنّا أصبحنا على بُعد مئتي متر من المنزل؛ منعطف آخر وكانت لتصل سالمةً. ولذا حين شاهدتها لم أستطع أن أتمالك نفسي. طيلة أسبوع لم تَغِبْ أخبار حياتي الخاصة عن عناوين الصحف، وطيلة أسبوع وطعم المرّ في فمي. طعم خبرته من قَبْل، إثر لقاءاتي مع السيِّد فرنسوورث. كنتُ على حافةِ الانهيار! وتلكَ الفتاة الميتة أمام عينيّ، تشبه رومولوس. نقعة الدماء نفسها.

والملامحُ الغريبة. كأنَّها تنتظر تعليمات أخرى.

في طريقنا الصاعدِ نحو البيت، استبدّت بي مشاعر طاغية من الخوف. كأنَّ لعنةً ما تخيِّم على أجواء زفافنا. «لنتزوج هذا المساء»، قلت لآرثر الذي وافق على الفور. وفي طريق عودتنا إلى نيويورك عرَّجنا على محكمة وايت بلايس حيث أعلن القاضي أننا أصبحنا زوجاً وزوجة.

أما حفل الزفاف فقد أقيم يوم الأحد، بحضور الحاخام في دارة وكيل أعمال آرثر، كاي براون، في كاتوناه، وعندها فقط شعرتُ بأن زواجنا قد تمَّ بالفعل. وجرت الاستعدادات لهذا الحفل بسرعةٍ أفقدتني صوابي. فقد وجدنا أنفسنا أمام مشكلات لا تُحصى، وخصوصاً مشكلة الملابس. فما اعتاد آرثر ارتداءه، حين يرغب في الظهور بمظهرٍ أنيق، هو عبارة عن بنطالٍ من الغَبَردين وبلازر أو بنطال من الكتّان وسترة من التويد. وربَّما ارتدى، فيما ندر، طقما كحلياً. غير أنَّه لم يكن، بأية حال، من صنف الرجال المتأنقين. فاستعنت بميلتون للاتصالِ بمن يستطيع إنقاذ الموقف، فأحضر لنا أحد أصدقائه ست بدلات ليختار منها. وكانت جميعها ملائمة. وفي الأثناء كان جون مور ونورمان نوريل منهمكين في إعداد ملابسي. وأردتُ أن تكون بيضاء، غير أن آمي أبدت تحفُّظاً وقالت: «ليس بإمكانك ارتداء الأبيض، يجب أن ترتدي البيج، أنسيت أنك كنتِ متزوِّجة». فشعرتُ بأنني سأبكي. أريد أن أرتدي الأبيض وطرحة طويلة وأحمل باقة من الزنبق. «ألا تدركين ما الأمر، كنتُ أودُّ أن أقول لها، إنَّ زواجي هذا هو، بالفعل، زواجي الأوَّل. ولا تحاولي إقناعي بأنني مررتُ بمثل هذه

التجربة من قبل». «لا. أردفت قائلةً وهي تُحدِّق في عينيّ، الأبيض سيبدو فلّاحياً، وستبدين رائعة في البيج. لم لا ترتدين ثوباً بلون الشمبانيا». فسُرِرتُ لهذا الاقتراح. لون الشمبانيا على قماش ساتاني لامع. «سَنُفَصِّل ثوباً من التفتة البيج، قال نورمان نوريل، مع ياقة حاسرة واسعة، وكُمَّيْن قصيرين فضفاضين قليلاً. وارتأينا أن أرتدي طرحة عرس آمي تَقَيُّداً بتقليد يقول إنَّ على العروس أن ترتدي شيئاً مُستعاراً في يوم زفافها. وكانت طرحتها عبارة عن ثلاث قطع مستديرة ورائعة خيطت إحداها فوق الأخرى. كان لونها أبيض، غير أن نورمان موريل غطَّها في الشاي فأصبحت، بعد أن جفَّت، بلون الشمبانيا. فقلتُ في سرّي، هذا يعني أنني، على الرغم من كلِّ شيء، أرتدي الأبيض مُمَوَّهاً. وأحضرت لي آمي كولّان بلون الرَقّ من عندِ بندل، (Bendel)، وهو المتجر الوحيد الذي يبيع جوارب نايلون بهذا اللون، فَبَدَوْت في أزهى ثيابي. كان آل ستراسبرغ من بين المدعوين، وبعض الأصدقاء الآخرين. ولحسن الحظّ استطعنا أن نتغيّب عنهم قليلاً، واجتمعنا أنا وميلتون ولي وآمي في غرفتي لبعض الوقت قبل بداية الاحتفال، غير أن صورة الفتاة الميتة كانت لا تزال ماثلة أمام عينيّ. وقلتُ لهم:

ـ أصدقوني القول إذا كان ما أقدم عليه هو مُجَرَّد حماقة. وقولوا لي إذا كنتم ترتأون أن أُحجِم عن ذلك. وإذا قلتم إنَّها غلطة، فلن أتزوّج.

رمقني ميلتون بنظرةِ حَنق وقال لي مرتعداً:

ـ لا يجوز أن تفعلي ذلك. يجب أن تكوني واثقة يا مارلين من أنَّك تريدين ذلك أو لا تريدين؛ يجب أن تصارحيني الآن... (وراح

يهزُّ برأسه متأتئاً). إنَّها خطوة مصيرية.

أمّا لي ستراسبرغ فلبث مُسَمَّراً في وقفته لا ينبس بكلمة؛ وكنتُ أقول في سرّي: «كلّ هذا غير حقيقي. إنّي ألعب دور فتاة مولعة بآرثر ميلر، واستطاعت إلى الآن أنْ يستغرقها الأداء. ولكن ها أنذا أفقد اتصالي بالدور». وما كان ميلتون يريد قوله فعلاً هو: «قولي لنا إنَّك لا تريدين الزواج منه، فنعود معاً من حيث أتينا!» وحدَّقتُ في وجهه مُطَوَّلاً، أُفكِّرُ مليّاً. ومكثنا لبعض الوقت دونما حركة، كأننا لا نجرؤ على التنفُّس.

رحتُ أسترجع ذكريات تَحَوّلي إلى اعتناقِ اليهوديّة، وكيف كان عليَّ أن أدرس التوراة على يد حاخام، ثمَّ كيف تعرَّفت بوالدي آرثر ميلر اللذين وجدتهما مُحبَّبين، والده إيزادور ووالدته سيليا. لقد أعانتني آمي في فهم نصوص التوراة لأنها كانت قد تَحَوَّلتْ إلى اعتناق اليهودية منذ وقت طويل، حين تزوَّجت من ميلتون. وراحت السيِّدة ميلر تُعَلّمني طريقة تحضير سمك الشبوط المحشو، والكبد المفروم، وحساء الدجاج وأطعمة أخرى كالبورتش وسواها... نظرتُ إلى لي وميلتون وآمي وقلتُ في سرّي: «هيّا، ما جدوى أن أكون مُمَثِّلة؟» وابتسمت، لأن الأمر أصبح أشبه بالمهزلة، وقلتُ بصوتٍ عال:

- هيّا، كَفى، لا ينبغي أن نخيّب آمال المدعوين.

- يا إلهي، لقد مُنِيت بالحُرْمِ قبل أن تُتِمَّ نذورها! قالت آمي بصوتها الأجشّ، ورحنا نضحك جميعاً، لأنها عبارة من فيلم «My Fair Lady»، كنّا، أنا وآمي، نُحبّها كثيراً، والحقيقة أنَّها،

حرفياً، الكلمات التي يتلفَّظ بها الأب هيغنز لحظة زواج ليزا من فْريدي هينسفورد ـ هيل. فسألني لي:

ـ إذاً، أهي لا أم أجَل؟ فأمسكتُ بيد آمي وقلتُ:

ـ حسناً، إذهب وأَضىء الشموع. وأخبر الجميع أننا في طريقنا إليهم.

لعب لي ستراسبرغ دور أبي، وهو الذي تأبَّط ذراعي ورافقني حسبَ تقاليد الزواج. أمّا إدّا روستن وجودي كانتور وآمي فَكُنَّ الوصيفات، أو الأحرى السَّيِّدات الوصيفات، وقد ارتدين جميعهنَّ أثواباً بلون البستل الموشّى بألوانٍ رملية. أقام الحاخام طقس الزفاف وتَوَّجَهُ آرثر بأنه نسيَ أن يسحق الكأس بقدمه، فاستدرك ميلتون الأمر وسحقه. وصرخ الجميع بعبارة التبريك التقليدية، واستدار آرثر ليُقَبِّلني. وقد أخبرتني آمي، فيما بعد، أن حفل زفافها قد أقيم في حديقة، ولم يستطع ميلتون أن يُحطّم الكأس لأنَّ التراب كان رطباً، ولذلك ربَّما شعر بأنَّه مدين للقدر بكأس فحطم كأسي أنا.

◆

في اليوم التالي أدركتُ أنني حين سألت ميلتون عمّا إذا كان يحسن بي الزواج من آرثر، إنما كنتُ أمثِّل. فحين سألتُ كنتُ زوجته بعد أن عقد القاضي قراننا مساء يوم الجمعة. وجُلُّ ما في الأمر هو أنَّني لم أكن أشعر حقيقةً بأنَّني متزوجة.

أما الآن، فبلى. لقد مكثنا، أنا وآرت، أسبوعاً في روكسبوري.

وكنتُ أراقب من على الشرفة النحلات تجرسُ مَؤونتها من الزهور، فتُراودني أفكار غريبة. كمثلِ أن تكون إناث النحل للطبيعة ما تُمَثِّلُهُ الصّحافة حيالي. وكدتُ أضحك لفكرةِ أن الصحافيين يمتصّون عسلي، ولكنْ، في الوقت نفسه، أشعرتني بالغيظ. ذلك أني كنتُ أشعر مراراً بالفعل أنني زهرة لا عسل فيها، خضراء، رطبة، ورحيقها طعم المرّ.

خلال ذلك الأسبوع الأوّل، كان آرت يُعاني من حالة انهيار فعلي. كُنّا سعداء بالطبع، وفي الوقت نفسه، كنا نشعر بأننا تائهان مثلَ يتيمين في مهب العاصفة؛ يتشبث واحدنا بالآخر ونشعرُ بأنَّ الوَهَن استبدَّ بجسدينا. وأدركتُ عندها أنَّ آرت ضعيف مثلي، ولكنْ على طريقته، وأنَّ الأحداث التي مررنا بها قد أنهكته. وأدركتُ أيضاً أنه لن يكون قادراً على العنايةِ بي كما كنتُ أتوقَّع. فماذا لو اتضح أنه مجرّد وَتَد تُربَطُ إليه الخيول وليس ملاذاً له كَنَفٌ من جدران أربعة؟ غير أنَّ هذا جعلني أحبّه أكثر من أي وقتٍ مضى. إذ لم يخطر ببالي من قبل أنَّه ربَّما كان في حاجة إليّ، هو أيضاً! ولا أعرف إذا كنتم تدركون ما أقصد، فقد كان لآرت وجه ينضح بالحيوية؛ وكانت مفاجأة أن أكتشف حقيقة ما هو عليه. فحين تُحاصره الظروف بضغوطٍ هائلة يُصبحُ شديد الاضطراب، ولكي أدرك ذلك ليس عليَّ إلّا أن أنظر إلى وجهه: إذ تَتَشَنَّج عضلات فكّيه وتشحبُ بشرته برغم اسمرارها. فَتَحْتَ مظهر اليهودي الفاتن، المتوقّد الذكاء والمرهف الإحساس، يكون ردّ فعل آرت، أقصد جسدياً، أشبه بردّ فعل أحد أعضاء المافيا.

ذلك الأسبوع الوحيد لم يكن كافياً. إذ لم تكن لي رغبة إلّا في

تأمَّل النحلات وهي تَدُنُّ حول الزهور. لذلك اتصلنا بميلتون الذي كان قد غادر إلى إنكلترا للإعداد للفيلم الذي سأُصَوِّره إلى جانب أوليڤييه، وأبلغنا إليه أننا نودّ تمديد إجازتنا لعشرة أيام أخرى. وكان جوابه برقياً بأنَّ مثل هذا التأخير يُكَلِّف أموالاً طائلة. وقال لاري أوليڤييه في عبارة أضافها إلى البرقية: «بإمكانكما أن تمضيا شهر عسل رائعاً في إنكلترا».

أذعنّا لطلبهما، غير أننا كنَّا غاضبين. وللمرَّة الأولى ربَّما شعرتُ بأنني قادرة على احتقار ميلتون غرين. وفجأة تذكَّرتُ أنه هو من حطَّم كأس زواجي. «لم تكن فعلته من قبيل الدعابة بل...» وسألتُ آرثر عن الكلمة الملائمة، «إنها أشبه بالشفعة» أجابني.

◆

كانت أمتعتي عبارة عن ثلاثين حقيبة تقريباً، أما آرثر فله حقيبتان أو ثلاث. ومثل هذا الأمر يروق لي كثيراً، فإني لأمقت زَوْجاً يُنَقِّل بصحبتي عدداً من الحقائب يوازي حقائبي. وفي المقابل، علمنا في المطار أنه سيتوجّب علينا سداد مبلغ ألف دولار إضافي بسبب الوزن الزائد. فشعرتُ بالخجل من نفسي. فقد كنتُ لا أزال أحسب أن مبلغ الألف دولار يكفي لشراءِ سيّارة جديدة.

في إيدلوايد استقبلتنا جمهرة من الصحافيين وصرَّحت أمامهم كم أني سعيدة لأنني سأعمل إلى جانب لورنس أوليڤييه. وأخطأ آرثر حين أعلن أننا في حاجة إلى الهدوء والراحة وإلى «السّكينة والصمون» (Tranquillance et de silité)؛ أو أنه لم يتلفَّظ بمثل هذه

العبارات، بل هذا ما سمعته بدلاً من «السكينة والصمت» (Tranquillité et de silence)؛ ورحتُ أتمالك نفسي من الضحكِ وقد ارتسمت على وجهي سيماء الذهول، ولكنْ، للأسف، التمعت عدسات المصوِّرين في تلك اللحظة بالذات؛ فبدا وجهي في الصور أشبه بعجينة كعكة مُدَوَّرة قبل أن توضع في الفرن. وما زاد الطين بلَّة، أن آرثر أردف قائلاً إنَّ العيش معي أشبه بعيش سمكة في أكواريوم. غلطة أخرى لا تغتفر! والتقطت له صور وهو جاحظ العينين.

جاء لورنس أوليڤييه إلى المطار لاستقبالنا برفقةِ زوجته ڤيڤيان لاي، التي سرعان ما شعرت بأنَّها تَجِدُني مُنَفِّرة. وحَسِبْتُ آنذاك، أنَّ هذا حقُّها. فقد لعبت هي دوري على خشبة المسرح. وها أنذا ألعب دورها في السينما. وإلى جانب زوجها!

ـ أوه! هل يعاملك الصحافيون دائماً على هذا النحو؟ سألت.

ـ إجمالاً، وقد تكون الأمور أسوأ أحياناً، أجبتها.

فأبْدَت شيئاً من الامتعاض.

◆

أقمنا في دارة كبيرة في إيغهام، (Eggham)، يسمونها هناك بيتاً ريفياً، وكان آل أوليڤييه يقيمون على مسافة نحوِ ساعةٍ من الزمن، في ملكيّتهم التي تدعى دير نوتلي. وتراءى لي أنني سأجد هناك راهبين يؤدّيان دور رئيس الخدم، ولحسن الحظ أنني آثرتُ كتمان مثل هذه الأفكار التي تراودني. لم يمضِ على وصولنا إلى إنكلترا أكثر من

يومين، وكنا لا نزال غير معتادين على فارق التوقيت. وعندما أقام السير لورنس والليدي أوليڤييه حفل عشاءٍ حاشداً في مطعم ترنس راديغان على شرفنا، اتصلت آمي بنا، وقالت لنا وهي تكاد لا تتمالك أنفاسها لشدةِ حماستها: «إن شخصيات إنكلترا المرموقة ستكون مدعوة إلى الحفل، يا عزيزتي». فشعرتُ بأن قلبي ينقبض. كلّ أولئك الفضوليين الذين يتحرَّقون لرؤيتنا، أنا وآرثر: إنها سوق رقيق. «تفحَّص أسنانهما جيّداً يا سيِّد!».

«سيكون حفلاً رائعاً» قالت آمي بثقة.

ذكَّرني آرثر بأنه لا يملك طقم سموكنغ. وأنا أيضاً، كنتُ أشعر بالحَيْرة فلا أدري ماذا سأرتدي من الملابس.

ـ قولي لي ماذا ينبغي أن ألبس؟ سألتُ آمي.

ـ ماذا تقولين؟ لديك ملابس رائعة؛ أجابت.

ـ لا أرغبُ في ارتدائها. أشعر بأن ليس لديَّ ما أرتديه.

وكنتُ أمضيتُ ساعتين وأنا أُفكّر أنّني مهما فعلتُ فإنَّ سيّدات إنكلترا لن يُعجبهنَّ وسيقلنَ، لا بدَّ: «هذه الجارية لا تعرف كيف ترتدي فستاناً».

ـ يا إلهي، يا عزيزتي، قالت آمي، لديكِ ثلاث ساعات قبل أن يبدأ الحفل.

وبدت ـ إذا أردتُ أن أصفها بعباراتها ـ منزعجة. فهي ترى أن ميلتون قد اشترى لي كثيراً من الملابس.

ـ يجب أن تُشيري عليَّ بما أرتدي، قلت بإلحاح. فلستُ أدري ما الذي ينبغي أن أرتديه.

ـ إذاً، قالت بنفاد صبر... لمَ لا ترتدين الثوبَ الأبيض الذي من المفترض أن ترتديه في أحد مشاهد الفيلم؟ واطلبي من المُزَيِّن أن يرفع شعرك على الطريقة الإدوارديّة.

كانت على حقّ. دائماً تكون على حقّ. لم يبق أمامنا سوى مشكلة آرثر. فقد أقرَّ الرأي على ارتداء الطقم الذي ارتداه يوم زفافنا، غير أنّه لا يملك أيضاً پاپيون. وبالطبع لم أكن لأعترض على ارتدائه ربطة عنق، ولكنَّ آمي كانت ترى أنه سيبدو مثل أحد أنسباء أبراهام لنكولن الفقراء، ما جعلني أشعر بالضيقِ لأنني أرى كلَّ شيء بعينيْ آمي.

كانت الأمسية كما توقَّعت. فالسّادة المدعوون يرتدون جميعاً السموكنغ، أمّا السّيِّدات فلا بدَّ أنهنَّ أفرجنَ عن حليهنّ من الخزائن لكي يرتدينها لهذه المناسبة. وكم كنتُ أشعر بالأسى لأنَّ ليس لي خادمة مثل بوتيرو الجميلة، ولا حليّها. وكانت آمي خلال السهرة لا تكفُّ عن القول: «يا لها من بادرة لطيفة من قبل آل أوليڤييه»، غير أنّي لم أكن لأوافقها الرأي. إذ إنني لم أرَ، في حياتي كلّها، مثل هذا الحشد من الناسِ المتأنقين. أما كلامهم فكان يُشعرني بأنني غير قادرة على الإتيان بحركة واحدة، أو حتّى على الكلام. «عزيزتي مارلين، كان يقول لي أوليڤييه، إسمحي لي أن أُقَدِّم لك السير اللورد رامبتي دامب؛ وإذا بي أمام رجل يُشبه كولونيلاً بريطانياً في فيلم هوليودي، يضع المونوكل وحزامَ السهراتِ التقليدي. يُصافحني وينحني فأقول: «كيف حالك؟» ثمَّ أستدير مخاطبةً آرثر. فيما بعد طوَّقني ميلتون بذراعه وراقصني:

ـ ما بكِ؟ سألني. لمَ تتصرَّفين على هذا النحو؟ أنت تعلمين جيّداً أنهم أناس لطفاء جدّاً.

ـ أصمت يا ميلتون، أنت تعلم جيّداً أنَّك أجبرتنا، أنا وآرثر، على المجيء قبل الموعد بأسبوع.

كنتُ أشعر بأنني غاضبة جدّاً منه، لذا تعمَّدت، حين جلسنا إلى المائدة، أن أدعو آرثر للجلوس بجانبي. والمفترض أن يجلس آرثر، لياقةً، بجانب ڤيڤيان لاي. غير أنه لم يفعل. حتّى أننا استبدلنا البطاقات التي تحمل أسماءنا وتوضع في الأماكن المفترضة لجلوسنا إلى المائدة. كما أنني تعمَّدت أن أُوَجِّه كلامي إلى آرثر وأن أتجاهل لاري في معظم الأحيان. غير أني ما كنت قادرة على المضيّ في سلوكي هذا طيلة الأمسية. وأحسبُ أنَّ كلَّ ذلك كان بسبب المجوهرات التي غشيت أبصاري. وفيما يروي لي آرثر طوال الوقت حكايات وطرائف عن نظام الطبقات في إنكلترا، (بصوتٍ خفيض بالطبع)، كنتُ لا أفكِّر إلّا في المجوهرات. فقد رأيت منها خلال تلك الأمسية ما يكفي لأن تزداد معرفتي بها. حتّى أني كنت واثقة من أنها تعكِسُ أنواراً مصدرها النجوم مباشرة. وربما كان ذلك سبب ولع الناس بها، فهي تجعلك على اتصال مباشر بأماكن بعيدة جداً.

ـ هل سمعت يوماً بروبير دو مونتسكيو؟ سألتُ أوليڤييه.

ـ مَنْ؟ أجابني مستهجناً.

فحاولتُ أن ألفظ الإسمَ كما ينبغي محاولةً ضبط مخارج الحروف.

ـ آه، بلى! دو ـ مو ـ نتس ـ كيو، (كأن هناك طريقة وحيدة في

العالم للتلفُّظ بالأسماء)، بلى، بالطبع، أعرف دو مونتسكيو هذا. إنه البارون دو شارلو. إسمعي مثلاً يا عزيزتي، مونتسكيو هذا قال ذات يوم عبارة تُنْسَبُ اليوم إلى أوسكار وايلد وهي: «مهما بدا مسلّياً أن تستغيب أعداءك، فالأمتع هو أن تستغيب أصدقاءك».

والحال أنّني كنتُ على أتمّ الاستعداد لاستغابة أصدقاء لاري أوليڤييه. فقد قرأت في كتب آمي وصفاً للسيّدات الإنكليزيات اللواتي كنَّ، منذ مئة أو مئتي سنة، يخفين أثداءهنَّ النحيلة بارتدائهنَّ أثداءً مستعارة هي عبارة عن قوالب من الشمع. ثمَّ يعمدن إلى سترها بغلالةٍ شفيفة، ولا بدَّ عندئذٍ أن تبدو مثل ثمار من شمع. وتراءى لي أن ثلاث سيّدات أو أكثر من حولي يستخدمن هُنَّ أيضاً مثل هذه القوالب. أما وجوههنَّ ففيها ما ينمُّ عن أنفةٍ وعجرفة. وربَّما كان السبب في ذلك شكل أُنوفهنّ. فالسيّدات الإنكليزيات لهنَّ حدبة صغيرة على أرنبة الأنفِ ذي الطرفِ المروّس تقريباً. غير أن هذا بالطبع لم يَحُل يوماً دون إقبالهنَّ على اللهو. فمنذ عام ١٧٥٠ مثلاً، كانت النساء يذهبن إلى صالات التدليك، ويرتدين معاطف خاصَّة، فضفاضة مثل خيمة. وكان المعطف الفضفاض هذا له أكمام كثيرة تتيح للمدلِّك أن يمرّر ذراعه من خلالها. وهكذا يمكنه أن يُدَلِّك بيديه أجسادهنَّ العارية. وبالطبع لم يكن باستطاعة المُدَلِّك أن يرى ما تفعله يداه، غير أن الأمر ما كان ليخلو من متعةٍ للطرفين! وكنتُ أودّ أن أسرد كلّ هذا على مسامع آرثر، غير أني تنبَّهتُ فجأةً أنها ليست القصص التي تستهويه في مثل هذه المناسبات. وعندئذٍ التفتُّ إلى السير لورنس وقلت له، زوراً وبهتاناً:

ـ إنها أمسية أنيقة، يا لاري.

ـ آه! تبّاً لها من أناقة. قال، (فقد كان سكرانَ بعض الشيء)، كلُّ هذا مصدره متاجر الثياب العتيقة. أتودّين فعلاً أن أحدثك عن الأناقة الحقة؟

فهززت برأسي.

ـ حسناً إذاً، في ذلك الزمان كان ثمة رجل يقصد بائع المثلّجات تورتوني في باريس، وكان يطلب دائماً قرصاً مثلَّجاً من الفانيليا وآخر من الفراولة. ويحرص على أن تُقدَّم له في طبقين مختلفين. وعندئذٍ كان يخلع نعليه ويدسّ قرص الفانيليا في حذائه الأيمن والفراولة في حذائه الأيسر، ثم ينتعلها مجدَّداً ويغادر. هذا يا مارلين ما أسميه «أناقة».

ـ لنرقص، قال آرثر.

ورقصنا. رقصنا مطوّلاً في تلك الأمسية. فقد كان آرثر قد تعلَّم الرقص في بروكلين، وأكثر ما يستهويه وثبة السُّوَقة. وفي ختام كل صرخة خلال «نقلة الثعلب» كنا نَثِبُ متلاصقين. كانت ساقاه طويلتين جدّاً، فلا يلبث أن ينهض رافعاً إحداهما. وحين يتغافل عني قليلاً أشعر كأنني أسيرُ على حبل غسيل. ولكنْ حين اقتربنا من آمي راح يدور حول نفسه مثلَ بُلْبُل، فصرخت: «آرثر، أنت زوبعة بالفعل».

كنتُ أتلهَّف للجلوس، إذ لم ترق لي تلك النظرات التي كانت السيّدات الإنكليزيات ترمقننا بها، أنا وآرثر، خلال رقصنا. فبإمكاني أن أقرأ حركة شفاههنَّ، ولا بدَّ أنَّهن يقلن في سرّهنَّ: «هذه هي الممثلة

التي تُفَضِّل أن تقوم باستعراضها فوق فراش». ومثل هذا الكلام كان يُصيبني في الصميم.

عند نهاية حفل العشاء، كنتُ قد تعمَّدت أن لا أخاطب لاري ولو بكلمة واحدة؛ فتقصَّد أن يربت على كتفي قائلاً:

ـ إسمعي، أعرف طرفة مسلّية عن مونتسكيو. فقد قرَّرت إحدى بنات عمِّه أن تتزوَّج من رجل ينتمي إلى فئة اجتماعية دنيا. فقال لها: «شهر من السعادة، وأربعون عاماً من فتات الموائد». وقد أفلح بذلك في إفساد أمسيتي.

وفيما كنا نغادر الحفل، لمحت التعابير التي ارتسمت على وجه آمي. كأنَّ عينيها تقولان: «هذا هو الوجه الحقيقي لآرثر. إنه يشعر بالتعاسة إذا أخفق أن يكون محطَّ أنظار الجميع».

◆

لم يَمْضِ يومان على بدء التصوير حتى أحْسَسْتُ بأني تَعِسة. ومن عادتي ألّا أدرك بنفسي ما يُصيبني، وأحتاج دائماً لشخصٍ ما، كبولا ستراسبرغ لتدلَّني على طريق الصواب. ومن ناحية أخرى، بإمكاني أن أقول إذا كانت الأمور تسير نحو الكارثة. لذا ساورني قلق بالغ حيال ما يصنعه أعظم ممثل في العالم بذلك الفيلم بوصفه مخرجاً. كنت ألعب دور راقصة استعراض أميركية خلال جولة تقوم بها في أوروبا، أما هو فلعب دور أمير بلقاني يزور لندن لمناسبة زفاف الأمير جورج من الأميرة ماري. «يغلب على الفيلم طابع نهاية القرن» قال السير لورنس

لكافة أعضاء فريق العمل، وكأنهم ليسوا في حاجةٍ، لأنَّهم إنكليز، لأن يعرفوا أكثر من ذلك. كان السير لورنس أوليفييه يبرع في أداء دوره فلا يحتاج لأكثر من أن يُغيِّر سلوكه لكي ينتقل من عصرٍ إلى عصر. وكان في أدائه دور الأمير في الفيلم دقيقاً، لا شوبَ فيه. وكان يتكلم كمن تعلَّم اللغة الألمانية بلكنة بلغارية، ثمَّ يُعيدُ حواره بالإنكليزية بلكنة جرمانية بلغارية. وتراءى لي أن السير لورنس أوليفييه الذي بدأ التمثيل بجدارة تستحقُّ ٩٩ من مئة، يريد أن يُحَقِّق المئة في المئة. أمّا أنا فلم ألعبْ دوراً من قبل إلى جانب مُمَثِّل ببراعته وكما أدائه. حتى أنه لم يكُنْ يعلم ما إذا كان الممثلون الآخرون يُواجهون صعوبة في إقامة «الاتصال» بأدوارهم. فقد كان، كمخرج، يعطي التعليمات للمصوِّر ويشعل سيكارة، وبلمح البصر يعود إلى تلبُّس شخصية الأمير. وكنتُ لا أُصدِّقُ ما أراه. فقد كان عليَّ أن أحصر تفكيري لساعاتٍ قبل أن أتلبَّس قليلاً شخصية إلسي، أي الدور الذي ألعبه، مع أن إلسي بدت لي أنها شبيهتي ما إن قرأت السيناريو.

وفي هذا المعنى، إذا كان هذا ما يعنيه التمثيل، فإن السير لورنس أوليفييه هو أعظم ممثل في العالم. فقد كان أميراً بالفعل. والمُشكلة أن هذا الأمير لم يكن يحبّني، فلا يكفُّ عن النظر إليَّ وكأني دائماً في المحلّ الذي لا ينبغي أن أكون فيه.

بالطبع، لم يكن من المفترض أن يُحبّني منذ بداية الفيلم، وينصُّ سيناريو الفيلم على أن الأمير سيقلق في البداية لأنّي لا أعرف أصول اللياقات الملكية. غير أني كنتُ أرى أنَّه، في أدائه للدور، لا يترك لي هنةً واحدة أستطيع من خلالها أن أقترب منه وأنتزع منه التفاتة. لا.

كان يؤدي دوره كأنَّه مصنوع من معدنٍ يُصْقَل كلَّ صباح. الأمر الذي أربكني كثيراً. فلن يُصدِّق أحد أنني سأفلحُ في استمالته إليَّ ليُغرم بي. وعندئذٍ سأبدو حمقاء. بإمكاني دائماً أن أبذل جهداً في التمثيل، غير أنّي سأبدو ممثلة رديئة. أعرف ذلك دائماً. فمن عادتي أن أستشعر المتاعب التي سأتعرَّض لها حتى قبل أن تتضح معالمها.

والأنكى أنه كان يُصرُّ على العجلةِ في تصوير المشاهد. وكنتُ أحاول أن تكون الوتيرة أبطأ، وأن أرغمه على التصرُّف بقدر أكبر من الحسِّ الإنساني. كان يُمثِّل وكأننا، جميعاً، مُجَرَّد عمال ميكانيك في ورشته. فالإنكليز اعتادوا أن ينظروا إلى الجميع على أنهم مُجَرَّد آلات. وبهذه الطريقة، حين يصبح أجرك مرتفعاً أمكنهم دائماً أن يستعيضوا عنكَ بآلة أخرى تكون ذات قيمة مماثلة. ثمَّ إنَّه معتاد على أداء هذا الدور إلى جانب ڤيڤيان لاي. وبإمكانها دائماً أن تتشبَّه بفتاة استعراض أميركية، ولا بد أنَّه كان يستمتع بذلك كمثلِ زوجٍ وزوجة يتداعابان في السرير. وبإمكانه أنه يُعجب بمشهدٍ يؤدّيه مع ڤيڤيان لاي، أما معي فلا، لأني أمثل في نظره جانب الحقيقة لا التمثيل. كلّ ما كان يريده مني هو أن أحفظ نصَّ الحوار وأن أتبعه دون تلكؤ. أن أتقمّص الشخصية على الفور. وكنتُ أشعر أنه يقيس أدائي بالكرونومتر. والحال أنَّني أصرّ على فهم كُلّ كلمة في النصّ. وحين أحفظها مُسبقاً أشعر بأن العبارات التي أتلفَّظ بها تخرج بتلقائية. وبرأيي أن الممثل يبلغ ذروة تملّكه الأداء حين يكون مثل مارلون. إذ يُخيَّل إليك أن الكلمات تتشكَّل في رأسه، وكأنه، بالفعل، لم يقرأ من قَبْل العبارات التي يقولها.

كنتُ أحاول إذاً أن أجعل وتيرة العمل مع السير لاري أبطأ. وأحياناً

كان يشير عليَّ بطريقةٍ ما لأداء لقطة، فكنتُ لا أُعير ملاحظته أي اهتمام، (فقد كنتُ في الميتم أتلقّى التوبيخ تلو الآخر لأنني لا أقوم بأعمال التنظيف التي تُطلب مني). وفي مثلِ هذه الحالات كنتُ أجتنب الحديث معه. وأقول في سرّي: «إنه فيلمي أنا. فهو من إنتاج مارلين مونرو. وأنا التي تدفع أجره». وأسرّ بذلك إلى پولا.

ـ ما هو مفتاح المشهد؟ سألتُ پولا.

ـ أنتِ امرأة مُسْتَفِزَّة. في هذا المشهد، يبدي لك الأمير ضيقه من هذا الأمر. مارلين، في هذا المشهد أنت موزة ناضجة وُضِعَت على طبق.

بإمكاني دائماً أن ألعب دور موزة ناضجة. وحين قالت لي ذلك شعرتُ بالارتياح. وأحياناً كانت تقول: «أنت سابحة في الفضاء، يُثيرك النسيم». وعندئذٍ أشعرُ بالرشاقة. فقد أكون مجرَّد راقصة استعراض أميركية شديدة الحماقة، ولكن حين يكون المطلوب هو الذكاء الفطري...

كان الجميع يَوَدّون أن يعرفوا ما تقوله لي پولا. فعلى الرغم من قصر قامتها، فقد كانت أحياناً تبدو مثيرةً للريبة. وكنتُ أحببتها أكثر بالفعل غير أن آرثر لا يُطيقها، وميلتون كذلك. كانت تتقاضى منّي أجراً مُرتفعاً، ومع ذلك لا تستطيع أن تواجه السير لورنس أوليڤييه، فما إن يرمقها بإحدى نظراته المعتادة حتى تبتعد متبخترةً مثلَ إوزّة.

كان أوليڤييه يُثير فيَّ شعوراً بعدم الارتياح. وأقول في سرّي: «إذا كان ممثلاً بارعاً، فلمَ لا يتظاهر بأنه يُحبّني؟» وأجيب عن سؤالي: «إنَّ

كراهيته لي تجعله عاجزاً عن التظاهر بحبّي». وما أراه هو أنه يرمقني بنظراتٍ غير مطمئنة ولا تنمّ إلّا عن اتهام واحد: «فيوماً بعد يوم، كان يُلاحظ إهمالي المتعمَّد أن أتهيّأ للقطة التي سيتم تصويرها».

كنتُ لا أرغبُ حتّى في لقاءِ ميلتون. فقد كان هو وآمي لا يبارحان جوار دارة أوليڤييه، وكأن تلك وسيلتهما الوحيدة لكي لايقتلهما الجوع. كلَّ عطلة أسبوع يقضيانها في ديرنوتلي. ولا يكفيهما أن يتناولا طعام الغداء إلى مائدته كلَّ يوم سبت، بل يقضيان يوم الأحد في ضيافته. وكان لاري يحاول دعوتنا، أنا وآرثر، غير أني كنتُ أشعر بأنني عاجزة عن الحركة. فالتمثيل يُشعرني دائماً بأنني منهكة. وكلّ ما أريده عندئذٍ أن ألجأ إلى آرثر الذي يعرف كيف يُواسيني. كنتُ أطلعه على نصّ حواري ونناقش ضرورة التعديل في عباراته. كنّا نقضي يومي السبت والأحد على هذه الحال، وفي غفلةٍ منّا نصبحُ مجدَّداً على مشارف أسبوع آخر من التصوير.

لكن، في آخر الأمر، اضطررنا لتلبية إحدى دعوات آل أوليڤييه. والتقينا هناك رجالاً ونساءً يرتدون سترات التويد منذ عشاء البارحة. لم نمكث طويلاً. فقد بدا لنا أنَّ دارة أوليڤييه أشبه بالنوادي التي يرتادها الجميع. غير أنَّه أصرَّ على محادثتي على انفراد.

ـ مارلين، الأمور على خير ما يرام، (وهذا ما نعلم جيّداً، أنه كذب)، ولكن يجب أن أُحدِّثك قليلاً عن العصر الذي تجري فيه أحداث الفيلم؛ إذ يبدو لي أنَّكِ تخلطين بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر.

ـ يا إلهي، قلتُ! إني أحاول دائماً أن أُدرك جيّداً في أي عصرٍ أحيا.

فوافق. ومع ذلك كان يُكلّمني بلطف.

ـ القرن الثامن عشر هو ذروة الجنون، قال. فقد كان الناس يُطلقون أحكاماً على غرار: «إن ملابس امرأة جميلة هي ملحمة». أي أنَّهم كانوا يصرفون أعمارهم كلّها في صنعِ ملابسهم. وما ساد آنذاك نوعٌ من فلسفة المظهر.

في الأثناء دخل آرثر إلى الحجرة وبدا أن عضلات فكّيه مشدودة كأنَّه شاهد لاري مُتلبّساً بسرقةِ مجوهراتي.

ـ مثلاً، أردف أوليڤييه، حين نأتي على ذكر مُزيّن تتبادر إلى الذهن صورة رجل مثل كينث، (Kenneth)، مهنيّ فاتن. ولكن في ذلك العصر، في القرن الثامن عشر، ولا أقصد العصر الذي تدور أحداث فيلمنا فيه، بل أقصد القرن الثامن عشر الحقيقي، كان المُزَيّن بمثابة صحافي متخصّص في أخبار المجتمع. وكان بإمكانه أن يُلَمِّع صيت شخص ما أو يفسده. فقد كانوا على قدرٍ من الاعتداد بمهنتهم بحيث إنهم لم يتوانوا مراراً عن مقاضاة صانعي الشعور المستعارة أمام المحاكم. ففي القرن الثامن عشر، أضاف لاري قائلاً، كانت رؤوس النساء أشبه بمناظر الطبيعة. أشبه بأجماتٍ مُشَجّرة. ولم يكن ينقصها إلّا الجداول التي ترويها. وكُنَّ يضعنَ في تسريحاتهنَّ خرافاً صغيرة ورعاة وراعياتٍ. وأخريات يضعن مجسّماً للشمس أو القمر أو الكواكب الأخرى. حتى أن بعض المزينين اضطروا إلى تسلُّق سلّم

لإنجاز تسريحةٍ ما. وإثر ذلك، كان يتعيّن على أولاء النساء أن يُسافرن في عرباتِ خيل، وأن يجلسن في مقاعدهن فيُحنين رؤوسهن حتى تكاد تلامس ركبهنّ.

ـ يبدو لي أن ما كان يصيبهنّ آنذاك أشبه بما يُصيب اليوم نعجة سينمائية، قلت.

ـ أجل، قال أوليڤييه وقد ارتسمت ابتسامة مكّارة على شفتيه، سوى أنَّ سيّدات ذلك العصر كانت تفوح من أجسادهن روائح مُنَفِّرة. كنَّ يتنزَّهن وقد غَسَلْنَ أجسادهنَّ بالعطر لكي يُمَوِّهنَ رائحتهن الحقيقية. فالقرن الثامن عشر كان حقبةً غريبة بالفعل. عصر الفلسفة والبربريّة. وأرجو ألّا يُشْكِلَ عليك، فتظنين أنَّه شبيه بالقرن التاسع عشر؛ إذ لا مجال للمقارنة بينهما على الإطلاق. ذلك أن نهاية ذلك القرن كانت مثالاً للرياء. فمن أراد فيه أن يلهو ما أحجم عن ذلك يوماً. فقد كان الرجل مثلاً، يذهب لمشاهدة عرض باليه راقص فقط ليتمكن من استغفال زوجته في وقتِ الاستراحة. إذ كان الرجال يتركون زوجاتهم في شرفاتِ المسرح مُنهمكاتٍ في قضم ألواح الشوكولاته، وهنا ينبغي القول إن النساء كُنَّ يستخدمن ملاقط صغيرة من الفضة لهذا الشأن لكي لا تتسخ قفّازاتهن الناصعة البياض. وفي الأثناء كان الزوج يتسلَّل إلى ما وراء الكواليس للقاءِ الراقصات وكانت الراقصات متحذلقات إلى أقصى الحدود؛ إذ لا يسمحن بدخول مَنْ لا ينتمون إلى الجوكي كلوب أو الرويال. فعلى الداخل أن يكون من رتبة دوق فما فوق.

ـ والأمراء؟ سألتُ.

ـ والأمراء أيضاً، قال أوليڤييه بابتسامة فاتنة.

ـ أحسبُ أن الشخصية التي تلعبها تُصبحُ من طبقة الرعاع حين نلتقي في الأمسيات.

ـ بالطبع، يا عزيزتي، ولهذا السبب يبدو مُكتئباً. ففي باريس مثلاً، لا بدَّ أن تكون مثل هذه الشخصية ذاتها في الصالة الخاصة لمطعم مكسيم. وإذا بعاهرة محترفة تدخل الصالة؛ إنَّها كورا بيرل، إحدى أشهر المحظيّات آنذاك. غير أن دخولها الصالة لا يكون عاديّاً. فذات مساء أُوتي بقالب حلوى ضخم يتجاوز عرضه المتر ونصف المتر. ومَنْ خرج من القالب عارياً؟ إنَّها كورا من خرج! بالطبع لم يكن في الصالة رجل واحد لم يسبق لها أن أقامت معه علاقة جنسية. وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ أحداً منهم لا يتوانى عن اصطحابها إلى أي مكان في أي وقت من أوقات النهار، علانية. ذلك أن عاهرة من الطبقة الراقية، كانت تحظى في ذلك الوقت باحترام تُحْسَد عليه، بزينتها وملابسها المتحشمة. ملابس شديدة الإغراء. فكأنَّ خلع مثل هذه الملابس أشبه بمأثرة تضاهي اقتحام مصرف بغية السطو على محتوياته من المجوهرات. ولا بدّ أن فكرة الاقتحام وحدها كانت تجعل الرجال في حالة غريبة من الإثارة.

هززت برأسي. وكنت أودّ أن أقول له إنني سأحاول في هذا الفيلم أن أكون مصرفاً يسهل اقتحامه، غير أني أحجمتُ إذ لمحتُ آرثر مقطّباً.

ـ ولكنْ قُل لي، ألا يُعالج هذا الفيلم فكرة التأثير الذي تمارسه

ذهنية فطرية ودونما تَكَلّف على شخصٍ مُستبدّ؟ سأله.

ـ بلى، بإمكاننا أن نقول هذا، أجاب أوليڤييه، ومع ذلك فإنَّ تعرية امرأة في تسعينات القرن الماضي، كان أمراً لا يُستهان به.

ـ ألا ينبغي أن تبقى ماثلةً في أذهاننا دوماً، أجاب آرثر، حقيقة أنَّ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانا يمثلان، على نحوٍ ما، عهدين عتيقين؟ فقد شهد الأوَّل، كما الثاني، ظاهرة المُطَرِّزات المَشلولات. فقد كنَّ يُواصلن عملهنَّ في التطريز وقد جمدت أصابعهنَّ بفعل الصقيع الذي يسود غرفهنَّ الضيقة غير المُدَفّأة.

وهزّ أوليڤييه رأسه بشيء من التعالي. «يا آرثر، هناك أيضاً، وينبغي ألّا نغفل هذا الأمر، فكرة أن وجود الأُسَر الارستقراطية، حتى منذ الولادة، قد يكون جوهريّاً لوجود جمهورية وبمثل أهمية أن يكون لبلدٍ ما أدَب».

شعرتُ بأنَّ آرثر يرغب في المغادرة، فاستأذنّا وغادرناهم. غير أنّي في طريق عودتنا لم أكفَّ لحظة واحدة عن التفكير في أولاء النساءِ اللواتي كُنَّ يعملن في غُرَفِهِنَّ الضيّقة الباردة. وأحسستُ بأني واحدة منهنّ. فأنا أيضاً وقعتُ في شرك لا أتمكّن من الخروج منه. ورُحْتُ أبكي. وحين سألني آرثر عن سبب بكائي أجبته بأنني أفكّر في المُطَرِّزات المَشلولات اللواتي تحدَّث عنهنّ وقال لي:

ـ إنَّ شخصيّتك تفيض عذوبةً وجمالاً، وتتجدَّد باستمرار. وكانت تلك هي المرَّة الأولى التي يخاطبني فيها آرثر بإحدى عباراته الرائعة التي يكتبها.

ثمَّ بادرني بأعرض ابتسامة ارتسمت على شفتيه منذ عرفته. «إسمعي، قال، لقد وقعتُ على عبارة طريفة في كتابٍ كنت أقرأه ليلة أمس. إسمعي: "إن رائحة البنزين تذهب بالرائحة النبيلة لروث الحصان" وأحسب يا مارلين، أن هذا ما تعنيه نهايات القرن». وللمرَّة الأولى منذ وقتٍ طويل شعرتُ بأنني استعدتُ قوايَ النفسية والمعنوية. وأسفتُ كثيراً لأنَّه لم يفكِّر في هذه العبارة أثناء النقاش الذي دار بينه وبين أوليڤييه.

خلال يومٍ أو اثنين بدا لي أن الأمور تسير على نحوٍ أفضل بيني وبين السير لورنس، ولكن سرعان ما عادت بنا المشاكل إلى سابقِ عهدنا. فقد كنتُ عاجزة عن تحضير نصّ حواري كما يجب. وأحاول أن أستعيده مراراً بمساعدة آرثر غير أنَّ جُمَل الحوار كانت كثيراً ما تنبّه حواسي خلال الليل. فما إن تنطلق مخيِّلتي حتى تنتابني رغبة في أن أعمل ولو كان ذلك في منتصف الليل. فأعجز عن النوم، وأبتلع أقراصاً مُنَوِّمةً أستيقظ بعدها في حالٍ من التراخي والوهن. وكانت الأمور تسيرُ من سيىء إلى أسوأ. وما زاد الطين بلّة، أنَّ الطمث جاءني في تلك الفترة. وبدا لي أن «الاتصال» الوحيد الذي أقدر عليه هو «الاتصال» بصداعي النصفي.

وكان عليَّ أيضاً أن أحبه مشكلة أخرى. فقد كان آرثر لا يعرف كيف يمضي وقته دون عمل. ورحتُ أشعر بالأسفِ لأنَّه رفض أن يُدَرِّس مادة المسرح في جامعة أكسفورد. كان يُحَدِّثني دائماً عن الثورة، ولكن يُخيَّل إليَّ أحياناً أنني ببساطة الثورة الوحيدة في حياته. فقد كانت أموره لا تجري على خير ما يرام. وكنتُ أعرف جيّداً أنّه

لم يكتب كثيراً منذ أن التقاني في نيويورك، وكنت في أحيان أسأل نفسي بقلق إذا كان شغفه بي يجعله تعيساً كما هي حالي إذ شغفتُ به؛ إلّا أنه لايستطيع أن يظهر ذلك. ومع ذلك راح يتردَّد يوميّاً على مواقع التصوير. وكان أشبه برجلِ أعمال متقاعدٍ بائسٍ لا يدري ماذا يفعل ببقية عمره. وذات يوم، جاء إلى مقصورتي، (فقد أصبحت مقصورتنا)، طلبت منه أن يتفرَّج على بعض صُوَري. وأمتعه ذلك. فقد أمضى ساعة يُحدِّقُ فيها مستعيناً بعدسةٍ مكبِّرة. ثمَّ دخل علينا ميلتون ولم ينبس بكلمة واحدة، غير أني كنت أدرك جيّداً ما الذي يعتملُ في قرارة نفسه. فالصور الفوتوغرافية هي مضماره الخاص.

لطالما اعتاد آرثر أن يكون مَحَطَّ أنظار الناس، أمّا الآن فقد أصبحت أنا قِبلة الأنظار. وإذا كان أبراهام روبرت تشارلز مُحِقّاً في ما قاله بشأن الشخصيَّتَيْن فيَّ، فلا بدَّ أنَّ إحدى الشخصيتين تحبّ آرثر كثيراً وتراودها أحاسيس بالذنب لأنَّها لا تكرِّس له ما يستحقه من وقتٍ وانتباه. وفي المقابل، تبدو لي الشخصية الأخرى فيَّ مقيتة. فقد سمعتُ، ذات يوم، صوتها يتردَّد في رأسي. وكانت تقول: «فليذهب آرثر إلى الجحيم. فأنا من يحتاج إلى الرعاية». وهذا صحيح. فقد كنتُ أحتاج إلى كلِّ ما قد يُعطاني من رعاية. ففي الليل، لا أقدر أن أنام، ويخطر ببالي أنَّ التمثيل سيقتلني في آخر المطاف، وأنَّ الموتَ وشيك مثل وحشٍ يكبُر في داخلي. لعلّه لم يكن في البداية سوى جنين يغتذي وينمو في داخلي العام تلو العام. وأحياناً حين يستبدُّ بي الأرقُ كنتُ أفكِّر في زوجة بوبي وأسأل نفسي إذا كنتُ حقاً سأقفُ لامباليةً حيال قتلها. وكم كنتُ أودّ أن أعلم إذا

كانت تلك الشخصية فيَّ، والتي لم تحرِّك ساكناً تلك الليلة، لها صلة ما بما ينتابني الآن.

ثم إني شعرتُ بغضب عارم حيال آمي وميلتون. لقد شعرتُ بأنهما قد انحازا بالكلية إلى صفٍّ لورنس أوليڤييه. أعرف جيّداً أن آمي تشعر بأنني خذلتها. فحين كنا نصوِّر فيلم «محطة الباص» كنتُ دائماً على أتمّ الاستعداد لأي مشهد أو حوار. لذا لا تفهم الآن لِمَ تغيَّرت الأمور. وأُدرك جيّداً أنها تحقد على آرثر لهذا السبب. وذات يوم، ضاجعني آرثر، ربّما بدافع اليأس، في المقصورة التي أفردت لي في موقع التصوير، وكأنَّه بذلك يودّ أن يُهَدّىء من روعي. ولكن، بالطبع، لم تكن تلك البادرة خشبة خلاص. حتى أني ارتكبت ذات يوم هفوة أن أروي لآمي ما حدث، فلم تُحر جواباً، غير أني حدَّقت جيداً في وجهها، فقد ارتسمت على ملامحه إحدى التعابير المفضَّلة لديها: إنه أمر مُرعب.

وكنتُ آمل أن ترى في وجهي تعبيراً مماثلاً حين قالت لي، ذات يوم، إنها اصطحبت ڤيڤيان لاي لتناول طعام الغداء. وتخيّلي، قالت لي آمي، لقد ذهبنا سوياً، لمشاهدة اللقطات التي صوِّرت إلى الآن.

- «ماذا؟».

في الحقيقة، ڤيڤيان لاي هي التي قالت للاري: «أريد أن أرى ما صُوِّرَ إلى الآن». ولا تنسي أن الدور، في الأصل، هو دورها. حتى أن بيري راتيغان كان قد كتب الدور لها. باختصار، قالت ڤيڤيان لآمي: «سنذهب لتناول طعام الغداء في الأستديو، ثُمَّ نشاهد اللقطات».

واتضح لي أن ڤيڤيان ساذجة حقاً. إذ لم تُسْعِفْها سرعة البديهة في القول: «هذا ليس من شأني». فقد كانت ڤيڤيان لاي هي الدعوة، وآمي في مثل هذه الحالات تتبع. ولكنها هذه المرة لم تتنبّه إلى أنها بذلك تلتحق بالمعسكر الآخر.

ـ وكيف وجدت ڤيڤيان هذه اللقطات؟ سألت.

ـ الحقيقة، قالت آمي، لقد ذهلت بالفعل. فقد وجدتها رائعة.

وعلى الرغم ممّا كنتُ أشعر به من مرارة أحْسَسْتُ بغبطةٍ غامضة مُلتبسة. «يا عزيزتي، قالت آمي، لقد كنتِ أمامي على الشاشة، وكانت ڤيڤيان بجانبي، ولم تكفَّ لحظة عن الترداد برفق: "أوه! يا إلهي، .كم هي جيّدة. لا بل جيّدة جداً". ما الحيلة يا مارلين، أنت ساحرة؛ ما إن تظهر صورتك في الفيلم حتى يفعل السحر فعله». ومع ذلك، لم أستطع أن أغفر لآمي. فماذا لو لم يرق لها عملي؟ فما الذي سيجول في رأسها إذ ذاك؟ وما تُراها تقول؟ واقتنعت بأنَّ الصديق الحقّ لا يضع نفسه في مثل ذلك الموقف.

في اليوم ذاته، ضاجعني آرثر، مُجَدَّداً، في المقصورة. وكدتُ في الأثناء أسمع الآذان الفضولية تسترق السمع عبر الجدارن.

ومع ذلك، كان عليَّ طوال ذلك الوقت، أن أُصغي لآراء الناس جميعاً. كنتُ أصغي لما يقوله أوليڤييه وبولا. وما تقوله آمي وإلى ما يقترحه ميلتون ويشيرُ آرثر به. وكلٌّ ذلك يمتزج في رأسي كأنَّه خلّاط آليّ. ثمَّ راحت تتكرَّر الأيام التي أمتنع فيها عن العمل لأنني، ببساطة، أشعر بأن لا رغبة لي في العمل. كنت أتلقى صباحاً مكالمة هاتفية من

الأستديو فيُرغمني آرثر على مغادرة سريري، فأصرخُ في وجهه: «لمَ تحشر أنفك في ما لا يعنيك؟ أليس الأحرى بك أن تنصرف إلى الكتابة قليلاً؟»، وأشعر عندئذٍ أن كلامي هذا يُؤذيه في أعماق ذاته. كنتُ أعلم جيّداً أنه لا يستطيع أن يُبَدِّل شيئاً من عاداته. إذ لم يكن أصلب مني. وكم دفعني ذلك إلى أن أحقد عليه. ولكنْ بعد خمس دقائق فقط أعود لأطلب منه أن يعطيني رأيه في أمر ما. إذ ينبغي أن ألفت انتباهه، فأن يلتفت إليَّ، كان، بالنسبة لي، أمراً أشبه بالتنفُّس.

في الأثناء كان آرثر يتحوَّل إلى رجلٍ بخيل، لا أقصدُ أنه أصبح مُقَتِّراً، بل أصبح بخيلاً. وكنتُ أُردِّد في سرّي أن سبب ذلك لا بدّ أن يكون عجزه عن الكتابة. فمن لا يجْنِ شيئاً، يجب ألّا يُفَرِّط في شيء. غير أن سلوكه هذا كان يُزعجني. وذات يوم، أراد آرثر أن يشتري قصبة صيد وسأل ميلتون إذا كان باستطاعته أن يقتطع ثمنها من موازنة الأستديو. فرمقه ميلتون بعينين جاحظتين. «الأفضل يا آرثر أن يتمَّ قيدها على حساب شركة مارلين مونرو للإنتاج. فلن أطلب من لاري أن يتحمَّل نِصْفَ ثمنها». «دعكَ من هذا الهراء. أليس المبلغ مئة دولار؟ لمَ إذاً لا يستطيع لاري أن يدفع نصفه؟»، «لأنها شركة لورنس أوليڤييه للإنتاج، قال ميلتون، وقصبة الصيد لآرثر». «ما عليكَ إلّا أن تجمل ثمن قصبة الصيد في حساب الأستديو»، قلتُ لميلتون. «لمَ لا تفهمين يا مارلين، أردف ميلتون قائلاً بنبرة لئيمة، ففي مثل هذه الحال نحن الأستديو. الأستديو هو شركة مارلين مونرو للإنتاج».

على الأثر، أصبح أوليڤييه يعاملني بفظاظة. «بحقِّ السماء يا مارلين، قال لي ذات يوم، كوني مثيرة»، فهُرِعْتُ إلى مقصورتي واتصلت هاتفياً

بِـ لي ستراسبرغ في فندقه في لندن.

- يا لي، أخبرني ما قصة أن أكون مثيرة؟ كيف يمكن للممثلة أن تقيم «اتصالاً» بمثل هذا الأمر؟ هل يُقام «الاتصال» بالذات؟ سألته.

- يا مارلين، أجاب ستراسبرغ، لا يحقّ لك أن تقولي هذا.

أسقمتني عباراته. فما قصد إليه أوليڤييه هو التالي: «هيّا، اضغطي الزرّ. فالبغايا يستطعن أن يَكُنَّ مثيرات بحسب الطلب. ووجدتُ أنه أمر فظيع بالفعل؛ أمر يذكرني بِـ بوبي. أواه! كيف يمكن القول إنّني كنتُ أشعر بأنني مثيرة. فالأحرى أنني كنتُ أشعر بأن مظهري أفظع مما قد يتخيّله إنسان.

وفي اليوم التالي، طرأ أمران يفوقان حدودَ احتمالي. فقد أبلغ أوليڤييه إلى ميلتون بأن پولا يجب أن تغادر. ولا رجوع عن قراره هذا. وكنتُ أعلم في قرارة نفسي أنّني لا أستطيع أن أرفض طلبه، وإلّا عمد أوليڤييه إلى إيقاف العمل في الفيلم. ورحتُ أتخيَّل كيف ستعود إلى دارة آل ستراسبرغ في سنتراك بارك وست حيثُ تلك الرفوف الرائعة التي تحمل أعداداً لا تُحصى من كتب المسرح. سوف تقصر پولا اهتمامها على المسرح من الآن فصاعداً. أما أنا فسأمكثُ وحيدة في إنكلترا.

في تلك الليلة لم أقوَ على النوم، وعثرتُ بمحض المصادفة على دفتر يوميات آرثر. كان تركه مفتوحاً لكي يتسنّى لي أن أراه. على الصفحة الأولى كتب آرثر أنني، في البداية، كدتُ أجعله مؤمناً باللّه، لجمالي الفاتن ومظهري الملائكي. غير أنه يسأل نفسه الآن إنْ لم يُسْهِم في أن يُوْقِظَ فيَّ نوعاً غريباً من شياطين الأنوثة. وفي مثل هذه

الحال، تكون تلك غلطته. ويسأل آرثر إذا كان بإمكانه أن يُحَدِّق في عيني أوليڤييه ويؤكّد له أنّني لستُ مُجَرَّد ساقطة مثيرة للمتاعب. فشعرتُ بأنني على حافة الانهيار. وابتعلتُ ما يكفي من الأقراص المُنَوِّمة وغفوتُ في الصالون. كنتُ في حالٍ تُقعدني عن العمل في اليوم التالي، غير أن غضبي من آرثر ويقيني بأن هذا الغضب له ما يُبَرِّره هذه المرَّة، قد أمدّاني ببعض القوَّة. ثمَّ فجأةً، وبعد أن غادرت بولا، يُصبح أوليڤييه أكثر تهذيباً في تعامله معي. فاستطعنا أن نواصل العمل في الفيلم. غير أن الأجواء التي كانت تسود أجواء العمل والتصوير لم تكن أجواء بهجة. أصلُ دائماً، كما يقول أوليڤييه، دون أن أكون مستعدَّة للعمل، مع أني كنتُ أبذل كلَّ ما بوسعي. فيستغرقني مثل هذا الجهد ساعات. كانوا لا ينظرون إلى تعابير وجهي، بل إلى ساعاتهم يحسبون الوقت.

في الأثناء، كان آرثر قد شرع يُعنى بالأعمال والقضايا الماليّة. كأنَّه وجد أن الطريقة المثلى لاجتنابِ الضغوط تكمن في انصرافه إلى قضايا عمليّة. وذات يوم خلال تصوير أحد المشاهد قال لميلتون: «ربَّما أمكننا أن ننشىء شركة ميلر - مونرو للإنتاج السينمائي». فعلى الرغم من كافة المتاعب التي واجهتنا خلال عملنا مع ميلتون، فقد كان هذا الأخير يتدبَّر أمور الإنتاج على نحوٍ لافت. ذلك أننا لم نَتَخَطَّ الميزانية المرصودة للفيلم. وقد أسرّ إليَّ آرثر أن هذا الأمر يُدهشه. وبأية حال، حتّى لو أنه لا يُصرِّحُ بذلك علانيةً، فقد كنتُ أنا النجمة.

إقترح آرثر إذاً أن نعقد شراكة. على أن تُعتبر مسرحياته من رأسمال

الشركة. «فعلى الصعيد المالي، قال آرثر، من شأن ذلك أن يؤدّي إلى تخفيض الضريبة».

بدا لي ميلتون أشبه برجلٍ يحاول بيع سجّادة في الشارع غير أن الزبون يُصِرّ على أن يدفع ثمنها بواسطة حوالة مصرفيّة. واستطعت أن أُخمّن أوّل فكرة تبادرت إلى ذهنه: «منذ كم من الوقت لم يكتب ميلر مسرحية؟». وهزّ برأسه. «يا آرثر، حين ننتهي من تصوير الفيلم، سيكون بإمكاننا أن نجلس سويّاً بهدوء لنرى إذا كان مثل هذا الأمر ممكناً أمّا الآن فدعني أهتم بالميزانية، قال ميلتون، ذلك أننا نتجاوزها قليلاً كلَّ يوم.

- إني لا أدرك بالفعل سبباً للقلق، قال آرثر. إن شركة «وارنر بروذرز» تملك من المال ما يجعلها غافلةً حتى عن عشرة أيام إضافية من التأخير.

- إنه ليس مالهم، قال ميلتون، بل مالنا نحن، أيُّها الأبله البائس.

لم يكن ليجرؤ أحد على مخاطبة آرثر بمثل هذه العبارات. ورأيت كيف أن عضلات فكّيه قد أصبحت مشدودة.

- ماذا تقول، كيف يكون مالنا نحن؟ سألتُ. إن الـ «وارنر» هي التي أقرضتنا المال.

- إنّي أقصد المال الذي نأمل في ربحه، قال ميلتون. فكلّ يوم تأخير يُخَفِّض نسبة أرباحنا في المستقبل. وهذا هو المهمّ، ألا تدركين ذلك؟

فيما مضى، كنتُ أشعر بسطوةٍ ما حين أصل متأخرة إلى الأستديو. فقد كان التأخير يُحتسب من ميزانية الأستديو. ولهذا، كانوا كُلّما

ازدادت كراهيتهم لي، تزداد أعباؤهم المالية. فمن عادتي أن أكون حسّاسة جدّاً حيال مشاعر الكراهية التي يُبديها لي بعض الناس، ما يجعلني أبكي حين يتعمّدون مُناكفتي، ومع ذلك، حين أدخل إلى الأستديو مُتأخِّرة، أشعر بأنني أمتلك من القوة ما يجعلني لا أبالي بكراهية الآخرين لي. كنتُ لا أبالي، لأنني في قرارة نفسي أعلم أنَّهم معجبون بي. ومثل هذا الأمر ليس في متناول الجميع.

وإذ بي أشعر بأن هذه القوَّة قد انتزعت مني بسببٍ من ملاحظة ميلتون. فما أخسره كلَّ يوم بسبب التأخير هو مالي أنا. وهذا ما أشعرني بضيق لا يوصف. فحين يستبدّ بي الأرق في الليل، أصبحتُ أقول في سرّي: «سيُكلّفني أرقي هذا ثروة، في الغد».

كان أمراً مُستهجناً بالفعل. لقد جرت الأمور كلّها على أسوأ ما يكون، وخصوصاً أملي في أن يكون الفيلم عظيماً، وأن يتحدَّث الناس عنه إلى الأبد، وعن مارلين مونرو والسير لورنس أوليڤييه. لقد فُقد الكثير من احترامي لآرثر، والكثير أيضاً من محبّتي لآمي وميلتون. وكنتُ واثقة في قرارة نفسي من أن شارلي شابلن لن يوافق، ما حييتُ، على مشاركتي البطولة في أي فيلم. كما أنّي لم أكن لأثق كثيراً بپولا ستراسبرغ. فقد كنتُ محاطة بأناس لا أستطيع أن أثق بهم. وفجأة تملكتني رغبة في أجني ما استطعت من المال. ألا تجري الأمور دائماً على هذا النحو؟ إذ يبدو لي أنَّ مَن اخترع المال إنما اخترعه لأنَّه، على الأقل، شيء يمكن كَسْبه فلا يعود هاجساً مقيماً.

لذا أصبحت قادرة على النوم. فلا أريد أن أخسر المزيد من المال. ورحتُ أصغي إلى ما يقوله أوليڤييه. وأدركتُ أنَّه، في هذا الفيلم، لن

يُظهر لي حُبَّه ولو لحظة واحدة. ولكنْ، ما الأهميّة في ذلك؟ الأحرى أن نكسبَ بعض الوقت. وبدأنا نُسَرِّع وتائر عملنا حتى أننا استطعنا أن ننجز العمل بميزانية أقلّ مما كان متوقعاً. كان رقماً قياسياً في ميزانيات الإنتاج المُخَفَّضة. وعلمتُ فيما بعد أن جاك وارنر قال لميلتون:

- لِمَ تُعيد إليَّ ثلاثين ألف دولار؟ فبهذه الطريقة ستُربك حساباتي الدقيقة.

- خذها دون نقاش، أجابه ميلتون.

بدا لي الأمر مُضحكاً، غير أني لم أضْحَك لأني كنتُ حزينة. فقد بلغ خصامي مع ميلتون ذروته حتى أننا أصبحنا لا نتبادل الكلام. لقد وصف آرثر بالأبله، ما اعتبره غلطة فادحة. وكان آرثر يتحيَّن المناسبة ليردَّ له الإهانة. وفيما كنّا على وشك الانتهاء من الفيلم، قرأ خبراً في صحف الصباح، بأن شركة مارلين مونرو للإنتاج السينمائي قد وقَّعت عقداً مع جاك كارديف، (Jack Cardiff)، مدير تصوير «الأمير والراقصة»، لإخراج فيلمين لحسابها؛ وأحد الفيلمين هو اقتباس سينمائي لقصة **برج الحلزون** للسيد هنري جيمس، (Henry James). فاستدعاني آرثر بنبرةِ المحقِّق الذي يستدعي الشهود للاستماع إلى أقوالهم.

هل كنتُ أعلم بما جرى؟ سألني.

فتلعثمتُ.

إذاً، هل كنتُ على علمٍ بهذا الأمر؟ فأجبتُ، أحياناً كان ميلتون يُحَدّثني في مواقع التصوير بين المشهد والآخر. وسمعته يُطلعني على

أمرٍ وآخر وآخر، ولكن دون أن أولي الأمر اهتماماً. وربَّما كان هذا العقد من بين الأشياء التي حدَّثني عنها. غير أني لا أذكر بالضبط.

وأفهمني آرثر بأنني، أنا، من سيجعل المداخيل بملايين الدولارات، غير أن ميلتون سيحظى بالنصف. ليس هكذا تُدارُ الأعمال، والآن سوف تضاف حصّتي من المداخيل المستقبلية إلى حصة ميلتون ليتمّ توظيفها في أفلام لا نسمع عنها إلّا في الصحف.

حين تلقّى ميلتون المخابرة، كان آرثر يصيحُ بأعلى صوته فأقفل الخطّ. وعلى الأثر بلغ خصامنا أوجه وأصبحنا لا نتبادل حتّى الكلام. وعندما أنهينا تصوير الفيلم، وجدتني لا أقوى على النوم، ليلة بعد أخرى، لفرط ما كنت أُفكّر في كافة الأسباب التي تجعلني عرضةً للأرق. نعجز عن النوم، كنتُ أقول في سرّي، لأننا سنفقد شخصاً نحرص على محبّته، أو نعجز عن النوم لأننا نشعر بالرغبة في قتل أحدٍ ما، وأحياناً نعجز عن النوم لأنَّ أحداً ما يستولي على أموالك. وبالطبع، ربَّما كان سبب أرقي لأنني أودّ أن أكون سيّدة مجتمع وأن لا أرتكب الهفوات، غير أنَّ هذا الأمر لن يتحقق على ما يبدو.

قبيل مغادرتي إنكلترا، استقبلتني الملكة. وقالت لي إنَّني أجدتُ الانحناء إجلالاً. وشرحتُ لها أنني تمرَّنت كثيراً خلال تصوير الفيلم. وسألتني الأميرة مرغريت، إذا كان صحيحاً أنني أمارس هواية الدراجات الهوائية. فتلعثمت في إجابتي، ما ذكّرني بميلتون المسكين. وقلتُ: «حين يتسع وقتي لذلك، أمارس هذه الهواية من حين لآخر»، واجتهدتُ أن أُضَمِّنَ عبارتي هذه كلَّ ما يُعبِّر عن شخصيتي الحقيقية.

فنظرتا إليّ فاغرتين. فخلصتُ إلى القول في سرّي إن السّيِّدة السّيِّدة، تُعرف عندما يوكل إليها عمل ما.

◆

حين عدنا إلى نيويورك، كان لي ستراسبرغ لا يكفُّ عن الترداد على مسامعي: «كيف يجرؤ أوليڤييه أن يزعم بأنك جعلتِه يعاني الأمرَّيْن؟ فهو الذي جعلك تعانين الأمَرَّيْن. إذ لم يكن رومنسياً كعادته». ودون أن أدري لماذا، كنتُ أشعرُ بشيء من الضغينة حيال ميلتون. وفي الأثناء كان آرثر لا يكفُّ عن القول إنه طالما لم نجد طريقة للتخلُّص من السيّد غرين، فإنّه سيواصل اقتطاع نسبة ٤٩٪ مما أكسبه من مال.

فاستدعينا محامينا. وجرت نقاشات فيما بيننا. وعلمتُ فيما بعد أنَّ المحامين كانوا يقولون لميلتون: السيّد والسيّدة ميلر لن يقبلوا بأية حال أن تعمل بصفة المنتج المُنَفِّذ في «الأمير والراقصة». فيجيبهم ميلتون قائلاً: «لا بدَّ أنَّكم تُمازحونني».

إستغرقت المفاوضات بضعة أشهر ورحتُ أتصرَّف بطريقة غريبة: كنتُ أقصد استديوهات ميلتون الجديدة التي تقع على بعد شارع واحد من حيث نقيم، وأقول له حين ألتقيه: «إسمع، يا ميلتون، يجب أن تعلم جيّداً أنَّ لا مأخذ لي عليك، ولكنْ يجب أن تدرك جيداً أنه سيتوجب عليَّ أن أكمل طريقي؟ لقد أصبحت متزوّجة الآن». وكان يبدو حزيناً لسماعه ذلك، ويهزّ برأسه، فأغادره وأنا أسأل نفسي إذا

كنتُ من طينة أولئك الناس الذين يخاطبون الآخرين دائماً بما يريد الآخرون أن يخاطَبُوا به. «أنا أحبُّك يا ميلتون، كنتُ أقول؛ وبصرف النظر عمّا قد يفعله المحامون. فالأمر لا يعنيك بصفةٍ شخصية». وكنتُ في بعض الأيام أزوره مراراً في اليوم الواحد.

ثمَّ تمَّ الاتفاق على عقد اجتماع في شقّتي. وقد انضم إلى آرثر وميلتون كلٌّ من محاميَّ ومحاسبي ومحامي ميلتون ومحاسبه؛ أما أنا فكنتُ أنتظر في الحجرة المجاورة مرتديةً برنس الحمّام. وكنتُ أنتحب. وحين جاء محاميّ ليطلعني على ما جرى، قال لي: «إنَّ ميلتون غرين يريد أنْ يسمع منكِ شخصيّاً، أنَّ شركة مارلين مونرو للإنتاج السينمائي ما عادت موجودة». فغادرت حجرتي لأراه، ووقفتُ هناك أحدِّق في عينيه. قسمات غريبة كانت ترتسم على وجهه، بعينيه البنيتين اللامعتين، وراح يبرطمُ متأتئاً حين رآني. وبدوري أصبتُ بعدوى التأتأة، فقلتُ: «إذاً...» ورحتُ أنتحبُ وغادرتُ مسرعةً إلى الحجرة المجاورة. لم أتلفظ بالعبارة التي أرادوا أن أقولها. وتوصلوا إلى اتفاق. ووافق ميلتون على الحلِّ بالتراضي مقابل مئة ألف دولار لا غير. فهو لا يريد أن يكْسَبَ مالاً من تعبي. وفيما بعد، في مساء ذلك اليوم بالذات، قال آرثر إن موقف ميلتون قد فاجأه. ذلك أنه كان يعتقد أن ميلتون سيطلب نصف مليون دولار. «لم يكن في نيّتي، صرَّح ميلتون أمام الصحافة، أن أجني مالاً من طريق استغلال مارلين مونرو».

وذات يوم التقيت آمي بمحض المصادفة في الشارع. فأغرورقت عيناي بالدموع. صافحتها وقلت لها: «إنني آسفة». فأجابتني آمي بصوتها الرفيع الجاف: «ليس هناك ما يدعو إلى الأسف»، كما لو أنها

ما زالت أُمّي أو عمّتي، أو على الأقل، أُختي البكر.

كما التقيت ميلتون في الشارع أيضاً، فقال لي: «لقد جرت الأمور كما جرت. وهذا أمر جيّد جداً. لقد كنتُ عوناً لك، وربَّما كنتِ عَوْناً لي، فهل نلتِ ما كنتِ ترمين إليه؟ هل أحرزتِ تقدّماً؟ أخبريني».

بعد ذلك لم ألتقِ أحداً منهما إلى أن جمعتنا مناسبة العرض الافتتاحي لفيلم «الأمير والراقصة» في صالة «راديو سيتي ميوزيك هول»، حين أطلق في الصيفِ التالي. كانت آمي تنتظر مولوداً جديداً ففكَّرتُ: «إنَّ ما أتوق إليه أكثر من أي شيء في العالم، هو أن يكون لي طفل، لي». تبادلنا التحية، كأنَّنا التقينا من وراء سياج. «يوم سعيد، كيف أصبحت؟» سألتها. «على خير ما يرام، قالت، وأنتِ؟»، «لابأس» وأردفتُ قائلة: «تبدين في أحسنِ حال» وتبادلنا القبلات. حتّى أنني قرَّرت الاتصال بها في اليوم التالي لأدعوها إلى تناول طعام الغداء معي، غير أن المقالات التي تناولت «الأمير والراقصة» بالنقد ظهرت في الصحف. حتى أن بوزلي كراوثر، محرِّر الـ **نيويورك تايمز** وصفَ البَطَلَيْن بأنهما «مضجران إلى أبعد حدّ». وشعرتُ آنذاك أنني قادرة على قتلِ أيّ كان بيديّ. وكتبت الـ **نيويوركر**: «باستثناء فكرة الجمع بين أحد أفضل ممثلي إنكلترا وامرأة شابة تبلورت تجربتها في التمثيل خصوصاً من خلال تأوّدها في قوالب حلوى بالألوان من صنع هوليود، فإن الفيلم لا يُقدِّم للمشاهد ما يُذكر».

◆

لم أرَ آمي وميلتون طيلة أعوام، وفي الأثناء تقلَّبت عليَّ أحداث

كثيرة، وعلى آرثر أيضاً. فقد خُيّل إليَّ لبعض الوقت أنني سأرزق ولداً. غير أن الحملَ كان خارج الرحم. وأجهضت. مجدداً، عشنا، أنا وآرت فتراتٍ من الوفاق، غير أنَّ الأمور، بمجملها، كانت تسير بنا من سيىء إلى أسوأ. وحين كنتُ أعمل في تصوير مشاهد «العثرات»، (Mis fits)، الذي استغرق آرثر أربع سنوات لإنجاز كتابته، كانت الأمور بيننا وصلت إلى حدٍّ لا أتوانى معه عن التعرُّض له بالذمِّ علانية. وذات يوم دار بيننا شجار عنيف في موقع التصوير. فشعرتُ بإحراج كبير، فقد نعتُّ آرثر أمام الجميع، بأحقر الصفات. وصرختُ في وجهه: «حتّى أنَّك أبعدتني عن ميلتون غرين. وهو الرجل الوحيد الذي لم يستغلّني». وعلى أثر هذا الشجار العنيف مع آرثر، شعرتُ بأنني أفكِّر في ميلتون كثيراً. فهو لم يُنْتِجْ فيلماً واحداً منذ إنهاء شراكتنا؛ وكان يكتفي بأعمال التصوير الفوتوغرافي، وكنتُ أتساءل إن لم يكن ذلك تعبيراً منه عن حبّه لي، وكأنَّه يقول بذلك: «إسمعي، أنا لم استغلَّك فلو أني فعلتُ لأصبحت اليوم منتجاً سينمائياً». وأسأل نفسي إذا كان صحيحاً مثل هذا الكلام الذي يتراءى لي أن ميلتون يُسّر به إليَّ؛ المؤكد أنني كنت أبحث عن لقطاته التي تنشرها المجلّات، وأجد بعضها رائعاً. آهٍ! كم يستطيع أنْ يكون بارعاً، ميلتون العزيز الذي لم يكن قادراً على التعبير عن نفسه بوضوح! وأحياناً كنتُ أشْعرُ بأنني حزينة جدّاً لِمُجَرَّد التفكير فيه؛ وأشعر بأنّي تعيسة لمجرَّد النظر إلى لقطاته وصوره التي لا أكون فيها، فأرمي بالمجلة إلى الناحية المقابلة من الحجرة وأنا أقول كم أنَّ الفتيات قد أصبحنَ جميلاتٍ اليوم...

بين الحين والآخر، كنتُ أستعيد في ذاكرتي أفضل جلسة تصوير أنجزناها معاً. كان ذلك في أواخر شباط عام ١٩٥٦، قبيل البدء بتصوير فيلم «محطة الباص». أي خلال فصل الشتاء الرائع ذاك حين كنتُ أُقيم في والدورف. والآن إذ تُعاودني الذكرى، أدرك أنني حين كان كلّ شيء من حولي يُوهمني بأنني فتاة من ذهب، لم أكن قادرة على مُجاراةِ أي شيء. فذات صباح، اتصلت بميلتون وقلت له: «متى سَتُصَوِّرني مُجَدَّداً؟ الجميع يُصَوِّرونني، إلّا أنت». فأجاب ميلتون: «حسناً إذاً، لنتّفق على موعد». وتواعدنا على أن نقوم بذلك في النهار نفسه، وأخلفت بموعدي لأنني أردت أن أتناول طعام الغداء برفقة صديق، ثُمَّ وصلت متأخرة عن الموعد المُحَدَّد عند الثانية من بعد الظهر في الأستديو خاصته، القائم عند الرقم ٤٨٠ من جادة لكسنغتون. وكان الأستديو عبارة عن محترف رائع في الطبقة الحادية عشرة، ذي سقف مُزدوج وأعمدة، وحين وصلت إلى هناك، كانت الساعة الخامسة والنصف وقد أعتمت قليلاً. فبادر إلى تقديم كأس لي. والحقيقة أنه كان من المفترض أن ألتقي آرثر ذلك المساء عند السادسة والنصف، غير أن الساعة كانت تجاوزت هذا الوقت ولم نبدأ بالتصوير بعد. وعمد ميلتون إلى فتح زجاجة شمبانيا. لم يكن لميلتون

مساعدون في عمله، ولذا لم يكن هناك سوانا نحن الإثنين. كان ستار الخلفيَّة من المخمل الأسود، وكنت أرتدي ثوباً أسود، بالإضافة إلى جَوْرَبَيْن من النايلون الأسود كانت آمي قد احضرتهما لي ليتماشيا مع لون سكربينتي، فبدوتُ في حلّةٍ فاتنة. كانت آمي تعلم جيّداً أنَّ مثل هذا الزيّ سَيَسْتَهْويني، فأناقته غريبة بعض الشيء، أشبه بذلك الرجل الذي دسَّ مُثَلَّجات الفراولة في فَرْدَةِ حذائه ومثلجات الڤانيليا في الفردة الأخرى. في البداية كنتُ أرتدي كولان ومشداً أسودين، وسروال دانتيل أسود، وفوقها القميص الشفيف أشبه بغلالةِ نوم حاسرة عن الكتفين والنحر. ولكن سرعان ما خلعتها هي أيضاً. ورحنا نتبادل أطراف الحديث ونشرب خلال التقاطه الصور. وسرعان ما نسيت كلَّ شيء. وغاب عني موعدي مع آرثر لتلك الأمسية. نسيت كلَّ شيء. كانت أمسية ممتعة، فقد أمضينا، أنا وميلتون، ساعاتٍ من السعادة وعملنا حتى الحادية عشرة ليلاً. حتى أني ألغيت موعدي مع آرثر. وفي اليوم التالي اتصل بي ميلتون ليقول: «أقسم ألف يمين أنها أفضل صور أنجزتها في حياتي».

◆

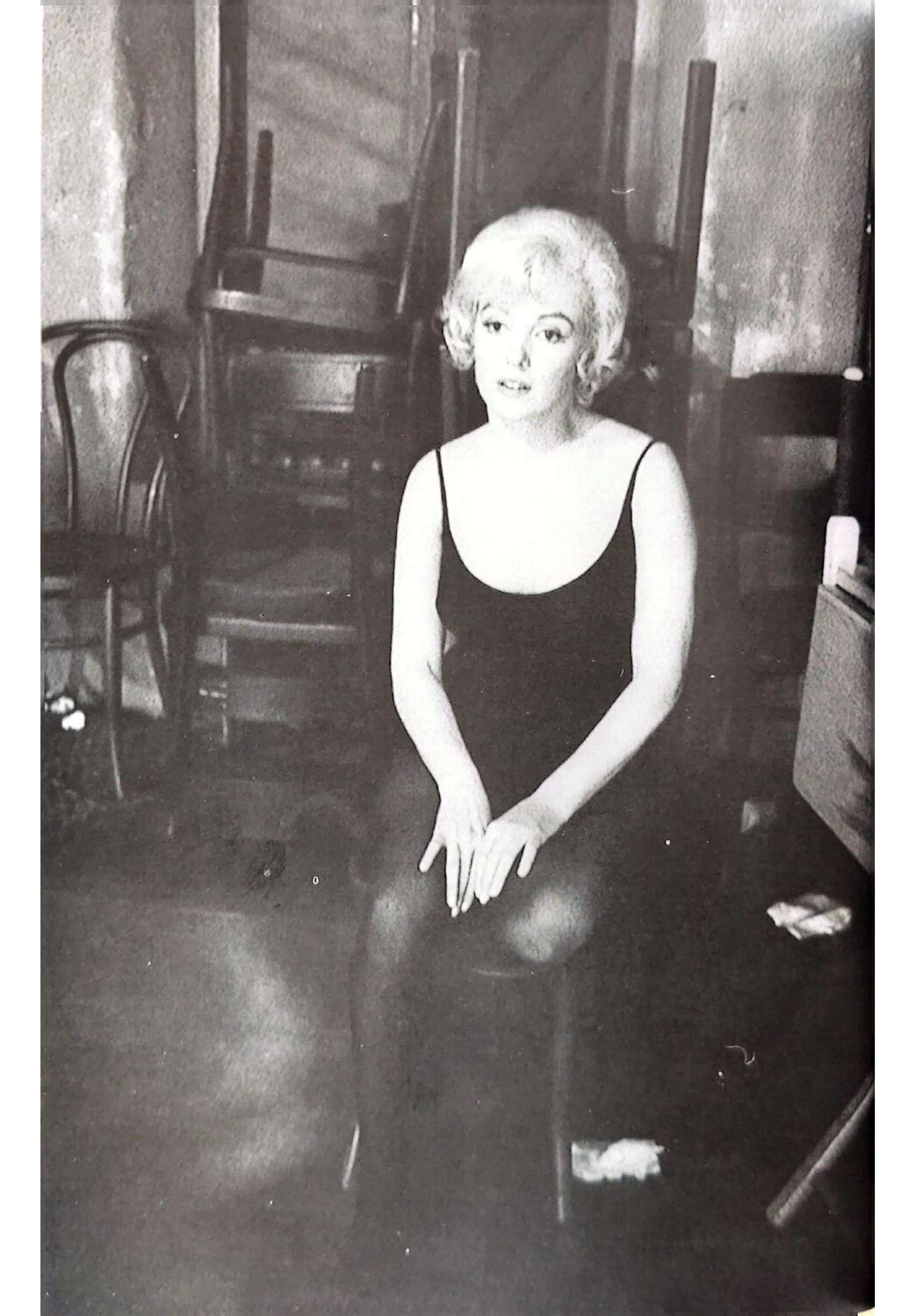
كانت المرّة الأخيرة التي التقيت فيها ميلتون، يوم رأيته في مطعم سكالا في بڤرلي هيلز. كان يجلس إلى إحدى الطاولات يتناولَ طعام عشائه وحيداً، فدنوت منه وقلت: «كيف حالك؟» فرفع عينيه وقال: «بألف خير. ما أخبارك؟» ثمَّ سألني: «كيف تجري أمورك؟». كان ذلك بعد وقتٍ طويل من طلاقنا أنا وآرثر، وكنت أعلم جيّداً أنني أبدو في

حالةٍ يُرثى لها. فقد تعمّدتُ أن أُكْثِرَ من المساحيق فبدت وكأنها طبقات من القذارة على وجهي. وشعري في أسوأ الحال. فالحقيقة أنني كنتُ أحمل هذا الإحساس بالبشاعة في داخلي. فقد حصل أن أقمت علاقة لبعض الوقت مع فرانك سيناترا، غير أنّه هجرني، وعلمتُ أنه قال لبعضهم: «تخلّصوا منها». لا أدري إذا كان هذا الأمر صحيحاً أم لا. ولا أدري إذا كان سيناترا قادراً على التّفَوُّه بمثل هذا الكلام في حقّي. وما أعرفه جيّداً أنه ما كان ليقول مثل هذا الكلام في وجهي؛ فربما قال لآخرين: «أبعدوها عنّي». وها أنذا أجلس إلى هذه الطاولة في صالة مطعم سكالا، في حالةِ انهيار. وندمتُ لأني لم أغسل وجهي. «كيف حالك؟»، كنت أُرَدِّد، وكان ميلتون يجيب: «بألف خير، وأنتِ؟» «في أحسن حال، كيف تجري أمور الحياة؟»، «على ما هي عليه دائماً»، قال ميلتون. ورحتُ أضحك. كان ميلتون يردد دائماً هذه العبارة: «على ما هي عليه دائماً» حتّى لو ربح مليون دولار أو أهدر ساعة كاملة قبل التمكن من الوصول إلى دارته، فإذا سأله الناس كيف حاله يجيب: «على ما أنا عليه». «وأنتِ، ما هي أخبارك؟» سألني «أوه! لا بأس». ورأيته حائراً، مُتَرَدِّداً. أعلم أنّه كان يودّ أن يقول: «لنعمل معاً مجدّداً»، والحقيقة أنّه لو فعل آنذاك لما وجدني واثقة من أنني أريد ذلك بالفعل. غير أنه لم يفعل، وَوَدَّعْتُهُ وغادرت، ومنذ ذلك اليوم لم أسمعْ خبراً عنه، حتى تلك الليلة. كانت ليلة من ليالي شهر آب عام ١٩٦٢، اتصل بي من حيث لا أدري ليقول لي: «يا مارلين، لقد رأت آمي في الليلة الماضية حلماً بدوتِ فيه وكأنّك تطلبين المساعدة. فأيقظتني ونصحتني بأن أستقل الطائرة لآتي إليكِ لأنَّكِ

تواجهين بعض المصاعب وتحتاجين للمساعدة». فأصابتني حالة انهيار ورحتُ أنتحب بمرارة. «أواه يا ميلتون، لقد مَرَرتُ بتجربة شاقة». وشرحتُ له كيف أنهم أبعدوني عن تصوير فيلم بعد أنْ أنجزت نصفه. والآن يريدون أن أعود غير أن حياتي العاطفية يُرثى لها، ولا أدري في أية ورطة أتخبَّط بالضبط، فقال: «أتودّين أن آتي إليكِ، يا مارلين؟» فقلت له: «ألست مشغولاً؟» فصمت لبعض الوقت. ثم أجاب: «بصراحة إنّي ذاهب إلى أوروبا في غضون هذين اليومين لأقوم بتصوير عروض أزياء لحساب مجلة **لايف**». «إسمع، الأمر تافه، قلت. وكل مخاوفي تافهة. إذهب إلى أوروبا، دون تردّد. ولا تقلق». وبعد أن أقفلت الخط، عاودتُ الاتصال به لأطلب منه أن يأتي لزيارتي فَوْرَ عودته من أوروبا. وتواعدنا على لقاء فور عودته، أي في مطلع شهر أيلول. وبالطبع، لم يُكتب لي أن أحيا لأرى نهاية شهر آب هذا. ولا حتى منتصفه.









مقتطف من المقابلة التي أجراها ريتشارد ميريمان، (Richard Meryman)، مع الآنسة مونرو ونشرتها مجلة لايف في عددها الصادر في ٣ آب ١٩٦٢، أي قبل ثلاثة أيام من وفاتها.

«عندما كنتُ في الحادية عشرة من عمري، شعرتُ بأن العالم بأسره الذي كان مغلقاً دوني قد شرَّع أبوابه فجأةً أمامي. حتى أن الفتيات بدأنَ يلتفتن إليّ لأنهنّ كُنَّ يَقُلْنَ في سِرِّهن "هذه الفتاة يجب أن يُحسب لها حساب!"؛ وكان عليَّ أن أقطع كلَّ تلك المسافة لأصل إلى المدرسة، أربعة كيلو مترات ذهاباً، ومثلها إياباً ـ وكان مشواري اليومي هذا متعة بالفعل. شبان يُطلقون مُنَبِّهَ سياراتهم حين يمرّون بي ـ عمّال في طريقهم إلى مراكز عملهم، يتحرَّشون بي بالغمز والإيماء، كما تعلم، وكنتُ أتجاوب معهم. فقد أصبح العالم ودوداً.

كافة موزعي الصحف يتعمدون المرور بمحاذاة البيت الذي أقيم فيه، وكنتُ دائماً في مثل ذلك الوقت أتسلّق غصن شجرة مرتدية قميصاً يصف تعاريج جسمي في أدق

تفاصيلها ـ ولم أكن أعرف في ذلك الوقت ما تثيره تلك القمصان من شؤون وشجون ـ كنت بدأت أشق طريقي في لفتِ الانتباه إليَّ، ولكن ليس كما يجب إذ لم تكن لديّ الإمكانات المادية التي تسمح لي بشراء الصدريّات الضيقة. غير أنهم كانوا يتوافدون على دراجاتهم، ويستبدّ بي الفضول لأن أدرك ماذا تقول الصحف التي يحملونها، وكانت العائلة مسرورة بذلك. كانوا يركنون درّاجاتهم حول جذع الشجرة، أما أنا فأمكث متشبثة بالغصن. كنتُ خجولة بعض الشيء ولا أجرؤ على النزول لأنضمّ إليهم. ولكن، في آخر الأمر، كنتُ أقفز إلى الرصيف بعد ترجُّحٍ أضربُ خلاله أوراق الشجر بقدميّ، وأجلس لأثرثر معهم، غير أني، في معظم الأحيان، كنتُ أصغي إليهم.

أحياناً كانت العائلة تُبدي قلقها حيال ضحكتي الرنّانة المرحة؛ وأحسب أنهم كانوا يرتابون بأنني ذات طباع هستيرية. غير أنَّ الأمر لا يعدو كونه، ببساطة، إحساساً بالحرية التي أتمتع بها، حتى أني سألتُ فتىً من موزعي الصحف: «أبإمكاني أن استعير دراجتك؟» فيقول: «بالطبع». وعندئذٍ أنطلق في الهواء مُسرعة، ضاحكة، فيمكث حيث هو بانتظار عودتي. غير أني كنتُ أعشق الهواء، كان يُداعبني...

تذييل من المؤلف

لقد رأى كثيرون إنَّ كتابي الأخير، **انشودة الجلّاد**، عمل لاروائي، لا سيما أنني كنتُ قد وصفته بـ«الرواية»، ما أثار جدالاً استغرق بضعة أشهر مع بعض النقاد. وإذا بي الآن أواجه مُشكلة أن أُصَنِّفَ هذا الكتاب. بصراحة، لا أدري. إنَّ مصدره عدَدٌ من الوقائع، وفيه مقاطع هي من نسج الخيال. ثمَّ، قد لا يكون بإمكان أحد أن يقول إنَّ الوقائع قد نُقلت، هنا، بحرفيّتها.

ربَّما أمكن أن نقول إنَّها مذكرات متخيَّلة، واعترافات جُمعت من سلسلة مقابلات لم تُجْرَ أبداً بين مارلين مونرو ونورمان مايلر. صحيح أنَّ مارلين قد التقت ميلتون في استديوهات شركة فوكس، وجاءت إلى نيويورك، وأقامت مع ميلتون وآمي في وستون في كونيكتيكوت وصوَّرت الأفلام التي ذكرتُ مع الناس الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب. كما أن بعض الحوارات التي وردت فيه قد جرت بالفعل، غير أنها لم تكتب اليوميّات التي نسبها إليها مؤلِّف هذا الكتاب. وفي المقابل، لقد قرأت بالفعل عدداً من كتب آمي لتكوِّن لها

بيبليوغرافيا قد تشمل *The Elegant Woman* لجرترود آرتز و *Demi Castors and Grand Horizontals*، لكورنيليا أوتيس سكينر، غير أن الكثير ممّا نُسب هنا إلى مضمون هذه الكتب قد اقتبس، في الواقع، من يوميّات الأخوين غونكور، (Goncourt).

غير أنَّ مارلين لم تلتق أحداً يُدعى السير فرنسوورث أو الآنسة بايزلي أو رود أو إدوارد أو روزالي أو أبراهام أو روبرت أو تشارلز أو بوبي دي بيرالتا أو كونور. ومن حقّ القارىء أن يسأل لم أُضيفت هذه الشخصيات الخيالية. فكيف يسع المؤلف أن يختلق علاقتها بالمدعو بوبي دي بيرالتا أوكونور الذي لم تعرفه على الإطلاق، لا بل كيف يختلق قصة رومولوس؟ ولا أملك، ردّاً على ذلك، إلّا أن أقول إنّه لا يمكن فهم عجزها عن التعايش مع شهرتها، ولا استحالة أن تمثل أفلاماً دون أن تُعَذِّب نفسها وتُعَذِّب مَنْ حولها، إلّا إذا افترضنا أنَّ ماضيها يكتنفه سِرٌ رهيب. فمِمّا لا شك فيه أنَّها لم تُقِمْ علاقة مع أشخاص مثل دي بيرلاتا أوكونور. غير أنَّ المرجَّح أنَّها أقامت علاقات مع آخرين، دزينة من الرجال، لا بل ربّما مئة ظلوا طيّ الكتمان حين كانت لا تزال في بداياتها المهنية، وخلّفوا أثراً ـ نابضاً لا يزال في قلبها ـ من الرُعبِ الذي لا يستكين، مِنَ الروح الشريرة التي رمت بثقلها على الشهرة التي حققتها فيما بعد.

من واجبي إذاً أن أُبرِّر أسلوبي على الرغم مما يكتنفه من ريبة، ومن واجبي أن أُبَرِّر ما لجأتُ إليه من تَوْليف وإعداد. ففي فعلتي هذه أكثر من شائبة، غير أنها لا تخلو من حسنة. إذ يجهد المؤلف في فهم موضوعه. فإذا وجد القارىء أنَّ الكتاب يكشف من حياة مارلين مونرو

الحميمة أكثر مما ينبغي، فلا بدَّ أن يلوم على ذلك الصور التي التقطها لها ميلتون غرين. فهي، (أي الصور)، بالغة الدلالة. إنَّها تروي الكثير الكثير عن النساء بعامة، وعن مارلين مونرو بخاصة، ما حثَّني على المغامرة الجريئة في استخدام مخيّلتي. وبأية حال، تروي الصور الفوتوغرافية تفاصيل تلك الأسرار التافهة التي تجبه النساء على طريق الفتنة، وهنا، على ما نعلم، نشأة كلّ أسطورة. عاشت مارلين، هيلانة طروادة، عاشت، عاشت عاشت...